www.Maktbah.com
بنیامین
إبراهیم عباس

بنيامين

إبراهيم عباس

@ibraheem_abbas

ISBN: 9789948205791

متوفرة باللغة الإنجليزية Available in English

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عباس، إبراهيم

بنيامين. /إبراهيم عباس، - جدة، ١٤٣٧هـ

٣٤٤ ص؛ ٢٠سم

ردمك: ٧-٩٨٠٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٣٧/٦٥٤

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٦٥٤

ردمك: ٧-٩٨٠٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

إبراهيم عباس.. مبدع إعلاني، وكاتب سينمائي، شارك المهندس ياسر بهجت في تأسيس رابطة يتخيلون التي تهدف إلى نشر ثقافة الخيال العلمي العربي وإثراء محتواها ومخرجاتها والارتقاء بها بشكل يؤهلها للتنافسية العالمية.

www.يتخيلون.com

info@يتخيلون.com @yatakhayaloon

(1)

وداعاً حسام.. وداعاً إياد..!

انطلقت طائرة Stealth Bomber B2 فوق مياه البحر الأحمر تزفّها طائرتا F-35 Lightning II التي لم تمتلكها سوى دويلة واحدة في الشرق الأوسط عبر صفقة حصرية تمّت مع الولايات المتحدة الأمريكية عام 2016م، التزمت فيه أمريكا بعدم بيع تلك الطائرة لأي دولة شرق أوسطية أخرى لخمسة أعوام، ولم تلتزم تلك الدويلة بشرط الصفقة الأهم في عدم إجراء أي تعديلات على الطائرة.

انطلق الأسطول الصغير، لم تقتصر قيمته على سعر الطائرات الذي يتجاوز نصف المليار دولار، فقد كان يحمل ما هو أهم وأثمن بكثير، كان يحمل شخصين.. حسام، وإياد!

طائرة الـ Stealth Bomber التي تحمل في العادة أطنان المتفجرات والرؤوس النووية اكتفت هذه المرة بكبسولتين معدنيتين تنتهي كل منهما من الأسفل بمحرك طوربيدي، ومن الأعلى بقبّة زجاجية، اكتظت بالأجهزة والمجسّات التي اتصلت بجسدي حسام وإياد، كان الإثنان في حالة يرثى لها، وأعني هنا الرثاء حرفياً، فحسام كان غارقاً في دمائه، يلتقط أنفاسه بصعوبة وحِرص خوفاً من نفاد الأكسجين والاختناق في تلك الكبسولة الضيقة.

أما إياد فقد كان غائباً عن وعيه، وقد حمل جسده كماً لا بأس به من الجروح والكسور، كان باختصار في حالة نزاع!

«سيد حسام.. سيد إياد»

انطلقت العبارة من السمّاعات المثبتة في الكبسولتين، فانتفض جسد حسام وهو يصغي لصاحب الصوت الذي واصل بهدوء مستفز وبلغة عربية يشوبها مزيج أمريكي عبري:

«هذه هي المرحلة الأخيرة من تجاربنا، ستنطلق الكبسولات بعد ثلاثين ثانية نحو أعماق البحر، كمية الأكسجين تكفي لمدة 120 ثانية، وبعد 240 ثانية أخرى ستبدأ خلايا أدمغتكم بالتلف بفعل نقص الأكسجين. فرصة بقاء حسام على قيد الحياة 32.4% وفرصة بقاء إياد على قيد الحياة 7.3% فرصة نجاتكما معاً 2.4%»

في هذه اللحظة لم يأبه حسام بالأكسجين الشحيح في الكبسولة التي سجنوه فيها وصرخ:

«بنيامين!! توقف!!»

واصل بنيامين بنفس الهدوء والنبرة الآلية:

«أتمنى فعلاً أن تجتازا هذه المرحلة، وإن لم تفعلا فتأكدا بأني تشرفت جداً بالعمل معكما، وأن حياتكما لم تذهب عبثاً.. وداعاً»

صرخ حسام صرخة أخيرة يائسة:

«بنيامين!!»

لم تهتز خلية في كيانه وهو يجلس بجسده النحيل بجوار قائدة الـ Stealth Bomber يراقب الشاشات الملتفة حوله دون أن يأبه بتثبيت أحزمة الأمان ولا الخوذة الواقية ولا قناع الأكسجين، فقط اكتفى بالسمّاعة المثبتة على إحدى أذنيه والتي تنتهي بمايكروفون دقيق، بالإضافة إلى نظارته الداكنة التي لا يكاد ينزعها عن وجهه والتي تصدر صوت أزيز خافت كلما حرك رأسه، وقميصه الأسود الذي شمّر أكمامه وأهمل إغلاق أزراره العلويه ليكشف عن قلادة تحمل حصان شطرنج معدني أسود تدلى رأساً على عقب فوق صدره. كانت الشاشات تنقل تفاصيل المؤشرات الحيوية لحسام وإياد، بالإ ضافة إلى ما تسجلّه الكاميرات عالية الدقّة المثبتة في داخل وخارج كبسولتيهما.

التفتت إليه قائدة الطائرة، فتاة عشيرينية تنم ملامحها على أن أحماضها النووية تعاني صراعاً ما بين الجينات الإفريقية والقوقازية والذي كانت ضحيته بشرتها الحائرة بينهما، شفتاها مكتنزتان بالتساوي، عيناها الواسعتان اكتستا لون شعرها الكستنائي الثائر، ترتدي زياً عسكرياً متكاملاً لا يتناسب أبداً مع أنوثتها ولا مع سنها؛ وعلى عكس بنيامين كانت إليانا في قمّة التوتر وهي تقول:

«في انتظار أوامرك سيد بنيامين...»

«المهمة انتهت.. سنطلق الكبسولات!»

تحجرت دموعها.. كأنها تستجديه لكي يغير قراره؛ ولكن بنيامين حسم كل شئ وهو يقول بلهجة آمرة أكثر صرامة:

«أطلقيها الآن!»

«حالاً.. سيد بنيامين»

التفتت إليانا نحو لوحة التحكم، وقامت بتشغيل برنامج الإطلاق فانفتحت البوابة السفلية للطائرة كاشفة عن الكبسولتين استعداداً لإطلاقهما نحو أعماق البحر الأحمر حاملة معها حسام وإياد. في هذه اللحظة فقط أزاح بنيامين وجهه عن الشاشات، ورفع نظارته الداكنة ليمسح دمعة ثلجية وحيدة قبل أن تفر من عينه.

كانت هذه حلقة مأساوية في سلسة من الأحداث توالت بسرعة خلال أيام قليلة، عشتها بجميع تفاصيلها، لحظة بلحظة، بالرغم من أنني لم أكن بطلة من أبطالها، فقط راقبتهم من هنا.. وقلبي يتقطر معهم هناك! ليس المهم أن تعرفوا من أكون، ما يهمني الآن هو أن آخذكم إلى بداياتها عندما التقى حسام وإياد لأول مرة قبل خمس سنوات.. لم تجمعهم الصدفة، بل جمعهم القدر المدروس بكل دقة! كل منهم تعرض لتجربة استثنائية غيرت محاور حياته وشخصيته، فحسام الذي نجا من حادث مميت بمعجزة حقيقية حيّرت العلماء والأطباء انقلب كيانه رأساً على عقب، تلاشت الحواجز بين عقله الواعي وعقله الباطن فأحكم سيطرته عليهما معاً، حتى خلايا جسمه استجابت لذلك التغيير وخضعت لعقله الباطن، فتضاعف نشاطه الحيوي، وتجاوز معدل نمو خلاياه وتجددها جميع المقاييس البشرية. الدقائق المعدودة التي توقفت فيها أنفاسه ونبضات قلبه وانقطع فيها الأكسجين عن دماغه أخذته إلى عالم آخر.. إلى هناك، حيث التقى بـ.. التقى بها، بملاك! الحورية التي كانت تراقبه طوال حياته وتنتظره بفارغ الصبر، أعدّت عالماً خاصاً لاستقباله، عالم بين عالمه وعالمها، جمعت فيه كل فانتازيا كان يحلم بها حسام أثناء حياته، فقط لتغري روحه بالبقاء معها وعدم مغادرتها للعودة إلى جسده الدنيوي.

تعلّم حسام في ذلك العالم الفن والإبداع من ليوناردو دافينشي، والموسيقى من لودفيغ بيتهوفين، وفنون القتال من بروس لي، وخاض معركة شرسة أثناء تقمّصه لدور أحد أبطال الأفلام الخارقين، وانتهى به المطاف بحرب حقيقية في الفضاء أثناء قيادته لعملاق آلي مواجهاً جيوشاً من كواكب أخرى.. أحلامه الفانتازية استحالت إلى كوابيس كارثية خلال الدقائق التي ابتعدت فيها روحه عن جسده فامتدت لعدة أيام عاشها بين الجحيم والنعيم برفقة فاتنته ملاك.. هناك من كان يحاول بكل إصرار أن يعيده لعالمه، أن يقتله هناك كي تعود روحه إلى الدنيا، لم يكن ذلك سوى والده الذي توفي منذ عدة سنوات بالسرطان ووالدته التي توفيت في نفس الحادث المميت الذي نجا هو منه، كانا مصرّين على أن يعود حسام إلى الدنيا بالرغم من احتمال إصابته بإعاقات مستديمة ودخوله في غيبوبة كاملة جرّاء الحادث، ولكن أملهما في لطف الله كان أكبر، كانت قلوبهم تتفطر حزناً على حسام، وقلقاً على أخته الصغرى مرام التي لم يبق لها في الدنيا سواه. ونجحا في ذلك، بالرغم من مثالية العالم الذي صممته ملاك لحسام، قرر في النهاية أن يضحي بكل شيء وأن يموت هناك، ويعود إلى عالمه الدنيوي، كي يحقق رغبة والديه ويحمي أخته الصغرى من براثن الحياة. ولكن قلبه ظل معلقاً هناك.. بملاك.. أصبح يشتاق إلى الموت فقط كي يعود إلى أحضانها.

أما إياد فلم تقل تجربته غرابة عن تجربة حسام بالرغم من أنها تختلف عنها تماماً، لم يكن إياد يتخيل أن ميوله نحو زميلته سوسن قد يتحول إلى معركة دامية لإنقاذ حياتها من السحرة والمشعوذين، ومن السرطان الذي نهش دماغها، معركة كاد أن يفقد فيها حياته عدة مرات، ليس هو فحسب، بل شاركه في تلك التضحيات حوجن.. الجني الشاب الذي لم يتجاوز المئة عام، الجني الذي اكتشف أن والده ميحال الفيحي كان زعيماً لأعتى مردة الجن الذين يسكنون جنوب البحر الأحمر ويسيطرون على ممالك الشياطين المجاورة لهم، لكنه ترك الزعامة والملك عندما تعلق قلبه بابنة الشيخ إلياسين سليل آل النفر، وقرر بعدها أن يبتعد بزوجته وابنه الوحيد حوجن عن عوالم المردة، والسكنى بالقرب من إحدى المدن الإنسية في منتصف البحر الأحمر.. مدينة جدة. احتك حوجن بالإنس لأول مرة عندما سكنت عائلة سوسن في نفس البقعة التي عاش فيها مع والدته وجدّه، وتعلق قلبه بها، ولكن السحرة ومردة الشياطين نصبوا شباكهم حول والد سوسن واستغلوا إصابتها بسرطان الدماغ ليوهموه بأن كل ذلك كان بفعل الجن وأنه لا أمل لها في الشفاء سوى بالتضحية بأمواله.. وتقديم القرابين لملك الجن.

خاض حوجن وإياد تلك المعركة الدامية، شاركتهم فيها جمارى ابنة عم حوجن، وزوجته، والوحيدة التي ورثت معه قدرات الجن الفيحيين في التنقل بين أبعاد الإنس والجن، تلك القدرات التي من أجلها ساوم الملك هياف زعيم المردة والشياطين حوجن على الاحتفاظ بابنه إلياسين في مقابل أن يصرف المردة عن سوسن وعائلتها، ولكن حوجن استطاع في النهاية أن ينقذ ابنه إلياسين، ويقضي على الملك المستبد هياف ويعيد المُلك لعائلة الفيحيين؛ وقرر بعدها أن يختفي من حياة سوسن وأوهمها بالتعاون مع إياد أن وجوده في حياتها لم يكن سوى وهماً اختلقه عقلها الباطن نتيجة فصام في شخصيتها نتج عن المرض والعملية الجراحية المعقدة التي أجريت لها لإزالة الورم من دماغها. ابتعد حوجن بزوجته وابنه ووالدته إلى مدينة الهندية في شمال البحر الأحمر، وانقطعت علاقته بعالم الإنس سوى عن طريق الاتصالات بينه وبين إياد.

سمع إياد بحالة حسام التي انتشر صداها بين الأطباء كمعجزة تحدّت جميع المسلّمات الطبية، فبعد أن أكدت التقارير على أن التلف الذي لحق بدماغه وجسمه لن يتركه إلا بين أحد خيارين: الشلل التام، أو الوفاة.. وجدوه يتحول إلى شخص جديد.. خارق!

طفرته الجسمانية المفاجئة بعد الحادث أغرت الأطباء والباحثين لدراسة حالته، ومن ضمنهم إياد الذي استنفد علاقات والده للانتقال إلى مستشفى الملك فهد والانضمام للفريق الذي يشرف على حالته، ليس ذلك فحسب بل وأصبح الصديق المقرب لحسام الذي رفض أن يتحول إلى فأر تجارب بين يدي الأوساط الطبية فغادر المستشفى قبل أن يستكمل علاجه وبدأ حياة جديدة حقق فيها كل ما كان يتمناه لنفسه ولأخته مرام، ولم تتبق له سوى أمنية واحدة.. أن يتوفى.. كي يعود إلى ملاك.

القدر الذي جمع حسام وإياد كان يعد لهما مفاجأة أكبر بكثير من جميع المغامرات التي مرت بهما.. بدأت فصولها في فجر ذلك اليوم من شتاء عام 2019م حيث كان حسام يمارس عادته اليومية بتأمل البحر في أولى ساعات النهار. جلس في سيارته الرياضية التي بالكاد تتسع لشخصين، أرخى كرسيه للخلف وأسدل قبعة نادي الاتحاد التي أهدته إياها أخته مرام والتي يحرص على ارتدائها دائماً ليخفي آثار الحادث في جبهته وفوق عينه اليمنى، وظل يراقب المياه ويستمع لإحدى صباحيات فيروز تنساب من جهاز الآيفون المتصل لا سلكياً بسماعات سيارته ممزوجة بألحان الموج ونسمات الصباح. انخفض صوت فيروز بالتدريج وهمست بدلاً عنها سيري:

«صباح الخير يا حسام.. المعذرة على الإزعاج»

«مكالمة من إياد صح؟ ردي عليه»

تلاشى صوت فيروز وحل محله صوت إياد المتحمس مبدداً هدوء تلك اللحظة:

«نفسي مرة وحدة في حياتي أتصل ألاقيك نايم! يا ابني نام يا ابني.. نام حرام عليك!!»

ابتسم حسام وهو يرد بتثاقل دون أن يرفع عينيه لإياد الذي أطل من شاشة الآيفون في مكتب لا ينتمي إلى هذا العصر بأثاثه الجلدي الأبيض المطعم بلمسات من الكروم وخلفية زجاجية تطل على أسراب السحاب وأمواج البحر الأحمر من الطابق التسعين بعد المائة في برج الميل، أعلى بناية على وجه الأرض:

«كنت على وشك آخذ غفوة قبل لا حضرتك تطلع لي!»

«تاخذ غفوة نص ساعة وتقعد عليها يومين من غير نوم كعادتك! المهم.. موعد المعرض تحدد، جهز نفسك رحلتنا لباريس الأسبوع الجاي، بأرسل لك الآن رقم تذاكرك إنت ومرام!»

اعتدل حسام في جلسته وهو يقول:

«معناها ما عندنا وقت للنوم! لازم أستعد للمعرض!»

«تستعد لإيش؟ لوحاتك كلها انشحنت!»

«باقي أهم لوحة..»

«نفسي أفهم كيف تقدر ترسم تحفة فنية في ثلاث ساعات، وهذي اللوحة بالذات جالس ترسم فيها خمس سنين!»

«تقريباً خلصت.. بكرة نرسلها للشحن»

قالها حسام وهو ينهي المكالمة وينطلق عائداً إلى بيته.. فيلته التي يسكنها مع أخته مرام في أقصى شمال مدينة جدة. فتح الباب بكل هدوء كي لا تستيقظ مرام في تلك الساعة المبكرة، واتجه مباشرة نحو صومعته، غرفة دائرية في الملحق العلوي للفيلا اكتسحت النوافذ جدرانها، اختزل بداخلها عالمه الجديد، سريره في طرف الغرفة تحول إلى حاوية للكتب، فهو لا يكاد ينام عليه، لم تكتف الكتب باحتكار السرير فحسب بل تناثرت في كافة أرجاء الغرفة، لا يمت كتاب منها للآخر بأي صلة، لا من ناحية المواضيع ولا حتى اللغات.

انتشرت مجموعة من أدوات التمارين الرياضية ووحدة طبية مصغرة بجوار السرير تحوي جهازاً لقياس ضغط الدم وتخطيط القلب، وفي الجهة الأخرى التهم البيانو الأبيض جزءاً لا بأس به من مساحة الغرفة مع باقي الأدوات الموسيقية، وفي منتصفها تماماً تربّع كرسي الليزي بوي الجلدي الوثير الذي كان يقضي عليه حسام معظم أوقاته بما فيها الغفوات القصيرة التي تغنيه عن ساعات النوم. استقرت شاشة سامسونج التفاعلية المقعرة التي يتجاوز قطرها المائة إنش أمام الكرسي مباشرة يتحكم بها كما يتحكم بمعظم الأجهزة في منزله بواسطة التطبيقات على آيفونه عبر شبكة الإنترنت هائلة السرعة. ولا ننسى ثلاجته الصغيرة عن يمين الكرسي والتي لا تخلو أبداً من مشروباته وشوكولاتاته المفضلة. كانت صومعة حسام النموذج الدنيوي للجناح الذي صنعته له ملاك.. هناك.

توجه حسام مباشرة نحو اللوحة الزيتية في طرف الغرفة، طولها متر ونصف، وعرضها متر، كانت مستندة على الحائط الزجاجي، ومغطاة بغلاف بلاستيكي رقيق يحمي ألوانها التي لم تجف من التصاق الغبار عليها. أزاح الغلاف عنها برفق.. فأشرقت ابتسامتها..

ابتسامة مخلوقة لا تنتمي أبداً لهذا العالم! ابتسامة ملاك..

نفس اللوحة التي رسمها لها عندما كان معها هناك، ابتسامتها وهي تضع رأسها على صدره وتنهال على عينيه بعينيها، ودمعتها الوحيدة تكاد تغرقه وتغرق كل من يرى تلك اللوحة. دمعة اختزلت بحور الحب والحزن والحنين والفراق والأمل.

تجاهل حسام فُرش الرسم كعادته وغاص بأصابعه المجردة في الألوان وبدأ يضيف المزيد من اللمسات.. فقط على عينيها، عام كامل وهو يرسم تفاصيل عينيها، تلك اللوحة لم تخضع لمقاييس الفن، كانت أشبه بصورة فوتوغرافية لا متناهية الدقة، تفضحها ابتسامة ملاك التي لن يصدق أحدٌ أنها من البشر.

انتبه حسام لدخول مرام رغم أنها حاولت أن لا تصدر أي صوت يشتت تركيزه، وقال لها دون أن يلتفت:

«برضك غلّبتِ نفسك وعملتِ لي پان كيك!»

«ماشاء الله عليك كيف سمعت صوتي وأنا باتسحب؟ كيف شميت ريحة الپان كيك وأنا لسا في طرف الغرفة؟!»

«لسا ما اتعودتي على النسخة المعدّلة من أخوكِ؟»

«ماشاء الله عليك حبيبي، ربي يحفظك لي يا سوبرماني»

كانت مرام تحمل طبقاً تراصّت عليه أقراص الپان كيك الساخنة التي انساب عليها قِطر القيقب الذهبي وباليد الأ خرى كوباً عملاقاً من الحليب البارد يكاد ينزلق من بين أصابعها من فرط ثقله ورقتها والندى على جوانبه، وضعتهما على الطاولة الصغيرة بجوار حسام وغاصت بالشوكة في طبقات الپان كيك فتصاعد المزيد من بخارها ومدّت اللقمة إلى فم حسام وهي تقول:

«يللا يا بطل افتح فمك..»

همّ حسام بتناول الشوكة بيده الملطخة بالألوان ولكن مرام أبعدتها عنه معترضة:

«ممنوع! أنا اللي رح ألقمك! إنت ركز في شغلك وبس!»

«يا مرام بتعامليني كأني طفل عمري خمس سنين!»

«إنت فعلاً انولدت من جديد قبل خمس سنين.. إش فيها لو دلعتك؟ قبل لا تجي وحده تاخذك مني وتدلعك بدالي»

«يعني مصرّة تعيدي هذي السيرة؟ قلت لك أنا مستحيل أفكر في الزواج!»

«طب ليه يا حسام؟ فهمني ليه؟! ما تبغاني أفرح بأولادك وأصير عمّه؟»

«يا مرام إنتِ عارفة إن وضعي الصحي ماهو طبيعي، كيف تبغيني أرتبط بإنسانة وأخلف أطفال وأنا ماني عارف إش ممكن يحصل لي؟»

استسلم حسام للقمات مرام المتتالية وهي تجيبه بصرامة كوالدته، لا كأخته الصغرى:

«إذا كان ربنا نجّاك من الحادث والغيبوبة أكيد بلطفه رح يشفيك من شوية سخونة وضغط! بس أنا عارفة إن بالك مازال مشغول بها»

قالتها وهي تشير بعينيها إلى اللوحة.. وواصلت:

«كل ما أدخل الغـرفة أشوفك تكـلم اللـوحة وكأنـها تسـمعك!»

ارتبك حسام وهو يناورها:

«أنا مستحيل أفكر في أي شي قبل لا أتطـمن عليك وأشوفك عروسة!»

«وأنا مستحيل أفكر في أي شي دحين! يا حسام إنت رجعت من جنتك عشاني.. مستكثر علي أدلعك شوية؟!»

انتصرت مرام كعادتـها، فـرضخ حسام للقماتـها وواصل لمساته النهائية على عيون ملاك.

تجاوزت الساعة العاشرة ليلاً عندما وصل إياد لبيته عائداً من مكتبه، الإشراف على أعمال والده بالإضافة إلى متابعة عيادته ومرضاه تلتهم يومه بالكامل، من ساعات النهار الأولى وحتى منتصف الليل أحياناً. ابنته جمانة التي كانت تقاوم النوم بصعوبة لتستمتع بحضن أبيها قفزت فورما سمعت صوت باب البيت فألقى حقيبته وتلقفها وهي تجري نحوه وتهتف بدلال:

«بابا.. هات أذنك.. لازم أعضها!»

«ليه بس يا جمانة؟»

أجابته في صرامة وهي تشير بسبابتها الصغيرة أمام وجهه وتعقد حاجبيها على عينيها اللتين ازداد حورهما:

«عشان أنا قلت لك تبطّل تتأخر في الشغل.. واللي ما يسمع كلام بنته.. لازم بنته تعضه! مفهوم؟!»

«طب لو قلت لك إنه عندي لك مفاجأة تسامحيني؟»

شاركتهم سوسن اللحظة الودودة واقتربت وهي تقول:

«بابا تعبان يا جمانة، يللا بوسيه واطلعي نامي.. إياد حبيبي أجهز لك الأكل؟»

تجاهلتها جمانة وهي تقفز من الحماس والفرح وتقول:

«إيش هي المفاجأة يا بابا؟ إيش هي المفاجأة؟»

«رايحين باريس! وحيجي معانا عمّو حسام وأبلا مرام»

أنستها الفرحة حضن أبيها وانطلقت تتراقص نحو غرفتها وهي تهتف:

«باريس؟! وحنروح يورو ديزني..؟!!! لازم أقول لإلياسين عشان يجي معانا!!!»

نظرَت سوسن إلى عيني إياد مباشرة وهي تقول:

«إياد.. متى رح تقول لي على كل شي؟»

أجابها إياد متصنعاً:

«ماني فاهم.. أقول لك على إيش؟»

«إياد أنا فتحت كمبيوتري القديم اليوم، ولقيت في الآوتلوك الإيميلات اللي كانها يرسلها برنامج النوتس في آيبادي أيام الجامعة.. لقيت كل الحوارات اللي كانت بيني وبين حوجن وقريتها..»

«سوسن.. سوسن أرجوكِ ماله داعي نفتح هذا الموضوع مرة ثانية..»

«إياد أنا ماني مجنونة، الحوارات هذي فيها معلومات مفصلّة عن عالم الجن والأبعاد الموازية يستحيل أكون أنا ألفتها بسبب انفصام في الشخصية! بعض المعلومات اكتشفوها فعلاً بعد سنين من حكايتي مع حوجن! مستحيل يكون هذا كله شيزوفرينيا!»

«سوسن، اللي جرى لك مو شي بسيط، وكلنا عارفين إن أسرار العقل البشري محد اكتشفها للآن.. نسيتي كلام الدكتور عماد زكي؟»

تصاعد توترها وقاطعته بانفعال:

«تاني بتقول لي الدكتور عماد زكي؟ اليوم لقيت رقمه مسجل تحت اسمك في كمبيوتري القديم Dr. EZ! تقدر تفهمني إش معناها؟ دكتور عماد زكي وللا دكتور إياد الزايدي؟! طب تقدر تفهمني إيش حكاية إلياسين هذا اللي جننتنا به جمانة؟»

«تعرفي يا سوسن إن الأطفال أحياناً يتخيلوا إماجيناري فريندز و..»

قاطعته مرة أخرى وقد اشتد انفعالها:

«جمانة عندها إماجيناري فريند، وأنا عندي إماجيناري جني، وإنت عندك إماجنري بنت خال اسمها جمانة.. إش بقي في حياتنا ماهو إماجيناري؟!»

أشاحت بوجهها لتخفي دمعة انسابت من عينيها وهي تقول:

«حاسة إني عايشه حلم، كذبة كبيرة.. كل شي حولي وهم مثالي يخبي كوارث نسيتها بعد العملية وإنت خايف إني أعرفها بدون ما تحس بعذابي.. حرام عليك يا إياد أنا من جد تعبانة!»

مسح دمعتها، أمسكها من خصرها ونظر إلى عينيها وهو يقول:

«صدقيني يا سوسن أنا ما همي في الدنيا غير راحتك وسعادتك إنت وجمانة»

أدخل يده في جيبه، أخرج ذاكرة إلكترونية منمنمة رفعها أمام عينيها، زفر وهو يواصل:

«كل التفاصيل موجودة هنا، سجلتها مع الدكتور عماد،
أوعدك إننا نوريكِ كل شي أول ما نرجع من باريس،
بس أرجوكِ الآن ثقي بي، والأهم من كذا أبوس إيدك
ألحقيني بلقمة قبل لا أنهار قدامك»

نجحت كلمات إياد في رسم الابتسامة على بقايا دموع سوسن..
ولكنها أشعلت بداخله كل الحزن والقلق.

انطلق في صالات مطار الملك عبدالعزيز الجديد بجدة النداء النهائي والأخير لركاب رحلة الخطوط السعودية رقم 127 والمنطلقة من جدة إلى باريس فازداد توتر إياد الذي أنهى للتو شحن الأمتعة فجرّ حقيبته بيد وحمل جمانة باليد الأخرى وتبعته سوسن وهو يسرع الخطا والتقى بحسام الذي خرج من ردهة رجال الأعمال، تخلّصت جمانة من ذراع أبيها وقفزت نحو مرام وهي تهتف بسعادة:

«أبلا مرام.. أبلا مرام!!»

حملت مرام جمانة وأسرع الجميع نحو بوابة صعود الطائرة واضطر إياد وسوسن لتبديل مقاعدهم مع حسام ومرام لأن جمانة أصرّت على الجلوس بجوار مرام التي تلاعبها دائماً وكأنها طفلة في سنها..

أُطفئت الإضاءة الداخلية في الطائرة، وتحولت مقاعد الدرجة الأولى إلى أسرّة واستسلم معظم ركابها للنوم ماعدا حسام الذي أرخى مقعده قليلاً والتفت إلى النافذة محاولاً توديع جدة وبحرها وسماها، وكان بداخله شعور يعتصر كيانه.. شعور أن هذه قد تكون آخر مرة يراها.. شعور أن رحلتهم التي بدأت للتو ستكون رحلة ذهاب.. بلا عودة!
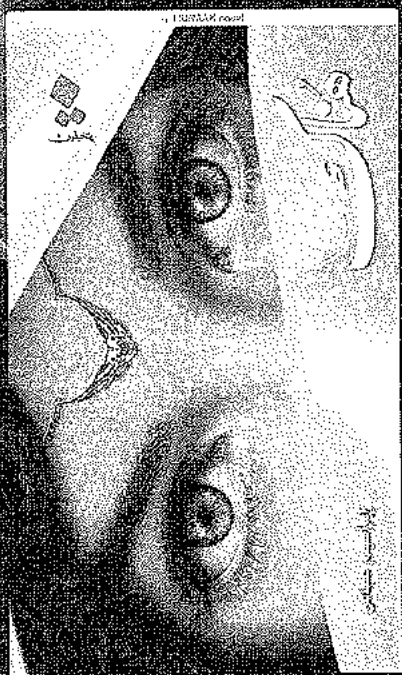
(2)
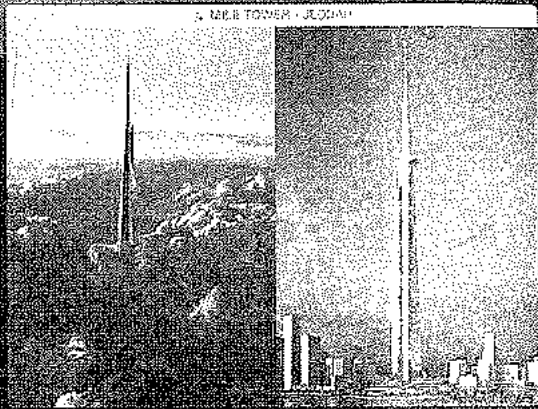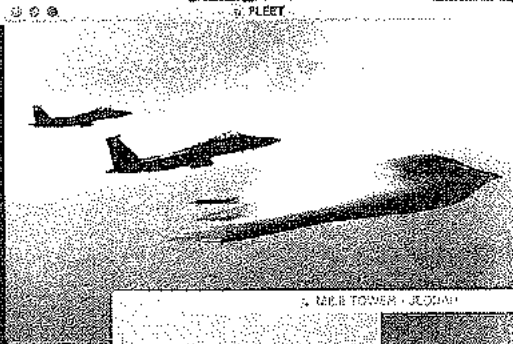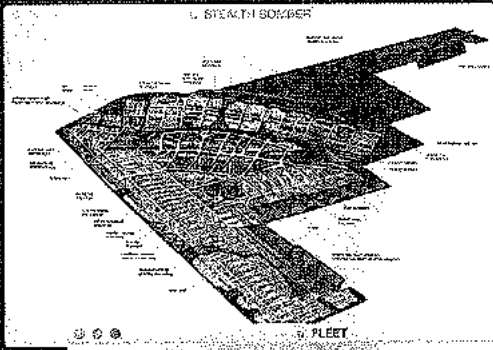
ابن اليمين

انهمكت الشمس في مزج ألوان السماء..

الذهبي فالقرمزي فالماروني..

كانت مرتبكة، تحاول إنجاز لوحتها قبل أن تنصرف وتسكب خلفها بقايا ألوانها.

وكان حسام يراقبها، يتعلم منها، يجلس على طرف الممر الحجري الذي أطلّت الأعشاب والأزهار الصغيرة من بين ثنايا صخوره بفضول وعناد وهي ترقب حسام وتتهامس فيما بينها بعطورها.

استند بجسمه للخلف على راحتيه، وأرجح قدميه لتدغدغ مياه النهر.. وابتسم. ابتسم عندما شعر بقدومها، جلست بجواره بهدوء وأسندت رأسها على كتفه فأحاط كتفها بذراعه واشتركت قدماها الحافيتان في رقصة الأمواج مع قدميه. مرّت اللحظات دون أن يتحدث أحدهما بكلمة مسموعة؛ إلى أن قالت بصوت خنقه الحنين وهي تلتقط كفه لتحتضنه ما بين خدها وكفيها:

«تأخرت علي يا حسام.. معقول ثلاثة أيام ما تسأل عني؟»

واصلت وهي تقبّل أنامله:

«حرام عليك يا حسام.. كل مرة أنتظرك أكثر من اللي قبلها!»

التقط كفيها بكفيه وقرّبهما من شفتيه وهو يهمس:

«يا ليتني قعدت معاكِ وما رجعت لحياتي..!»

شرد ببصره للسماء المكتظة بالنجوم وواصل:

«معقول كل هذي النجوم والعوالم تفصل بيننا؟ تسعين مليار سنة ضوئية عشان أوصل لك!»

خنقتها العبرة عندما استوعبت بعد المسافة بينهما وقالت:

«تسعين مليار سنة ضوئية ما تكفيك تقطع أقطار الكون الأول! متخيل عدد الأكوان اللي تسبح في الكون الثاني؟ والثالث والرابع إلى مالانهاية؟»

صُعق من هول الفكرة، عجز عقله عن أن يتصور أن المسافات الفلكية والمجرّات الهائلة في هذا الكون ليست إلا هبأة هامشية في بحر متلاطم من الأكوان المتداخلة اللا متناهية.

اعتصر عجزه في دمعته وهو يغوص في أعماق عينيها دون أن يصل لقاعها، فالتقطتها بأناملها وحاولت تطييب خاطره.. وخاطرها:

«حسام.. إذا ارتبطت الروح بكيان.. لا تعترف بالزمان ولا بالمكان!»

بدأ وجهه بالتلاشي تدريجياً، حاولت أن تحتضنه بذراعيها ولكنه اختفى من أمامها وبقيت دمعته على أناملها.. فدفنت وجهها بين كفيها وانهارت في بكاءٍ صامت ملتهب..

«حسام؟! صحيت؟»

همست بها مرام وهي تتأمل الدمعة الساخنة التي ذابت على وجنة أخيها وهو يستيقظ من غفوته التي لم تستمر لأكثر من عشر دقائق، هب حسام جالساً وقد تدفق النشاط في خلايا جسمه وكأنه نام لعشر ساعات متواصلة.

«يللا يا باشا اتلحلح وبطّل كسل! قطّمت النوم ياراجل»

قالها إياد وهو يتناول الحقائب من الأدراج العلوية للطائرة، وانطلق الجميع عبر الممر نحو محطة الوصول في مطار شارل ديغول.

ردد الرخام الذي يغطي أرضية وجدران بهو فندق الماريوت في الشانز إليزيه أصداء خطوات جمانة المرحة التي أنساها حماسها تعليمات أمها بالتزام الرصانة والهدوء فركضت نحو البيانو الذي استقر أسفل القبة الزجاجية في وسط الفندق بينما سيطرت الغريزة الأنثوية على سوسن ومرام فانخرطتا في جولة بين البوتيكات الراقية في أنحاء الفندق وتركتا المهام المملّة لإياد وحسام الذيَن اصطفا أمام موظف الاستقبال لإنهاء الإجراءات..

وبدأت الموسيقى..

شلال انهمر من البيانو الذي وقع تحت سيطرة جمانة، بدأ بقطرات خجولة ولكن أصابعها الصغيرة مالبثت أن خلعت رداء براءتها وأنبتت في كل يد عشرات الأصابع الإضافية أصيبت كلها بالصرع فراحت تتراقص بجنون على مفاتيح البيانو لتعزف موون لايت سوناتا لبيتهوفن. أذهلت الموسيقى كل من سمعها، وتحول ذلك الذهول إلى صعقة عندما التفتوا ليروا الطفلة التي تقف أمام مفاتيح البيانو.. وتفترسها بلا شفقة!

انتهت المعزوفة، وعادت البراءة لتكتسي وجه جمانة بعد أن غادرته التكشيرة الجادة التي غلفته أثناء العزف.

فتحت عينيها لترى المحتشدين حولها ينظرون إليها في لحظة دهشة وصمت انفجرت بعدها موجة تصفيق محموم جعلت جمانة تقفز في مكانها من المفاجأة وانهالت عليها تساؤلاتهم عن اسمها وسر موهبتها وهي تجيبهم بفرنسية بلكنة عربية تعلمتها من جدتها النصف فرنسية منال العقيل التي تقضي معظم أيام السنة مع زوجها السيد منصور الزايدي على سواحل نيس. شق إياد وحسام طريقهما بين الجموع فانطلقت جمانة نحوهما وتعلقت بكف حسام تجره من إبهامه وبُنصره وهي تقول:

«هذا عمّو حسام، هو الذي علمني العزف، عمو حسام اعزف معزوفة ملاك.. أرجوك أرجوك!»

تدخل إياد الذي اعتاد على المشاهد الصاخبة التي تحدثها جمانة أينما حلّت فحملها على ذراعه وهمس لها:

«جمانة الوقت متأخر، لازم تنامي بدري عشان نقدر ناخذك معانا بكرة»

استسلمت جمانة استسلاماً مشروطاً كعادتها أشارت بسبابتها بحزم أمام عينيها اللتين استدارتا واتسعتا بجدية وأملت أوامرها:

«أوكي بانام بدري بس بشرط! تشتري لي كل ماي ليتيل پونيز! كلّهم! مفهوم؟!»

وكعادته استسلم إياد لدلال ابنته استسلاماً غير مشروط وأخذها وتوجها إلى الغرفة ليتكفل بطقوس النوم: البيجامة والعشاء والقصة؛ بينما كانت سوسن لا تزال غارقة مع مرام في جولة تسوق في عقر دار الماركات الفرنسية على الشانز إليزيه انتهت قسراً عندما حان موعد إغلاق البوتيكات، فحملت السيدتان السعوديتان أكياسهما الأنيقة إلى إحدى الكافيهات العتيقة لتحتسيا نخب معركتهما التسوقية.

«مع اننا صرنا نلاقي كل الماركات في مولاتنا، واللي ما نلاقيها في المولات نقدر نشتريها أونلاين، لكن فرق شاسع لما نشتريها من بلدها!»

قالتها مرام وتناولت كوب القهوة الذي بين يديها لتدفئ أناملها قليلاً قبل أن تسرق نسمات الهواء الباردة دخانه الساخن؛ ارتشفت رشفتها وهي تستمع لسوسن:

«لازم نروح للصين لو نبغى فعلاً نشتريها من بلدها، كل الماركات العالمية صارت تصنع بضاعتها في تشاينا؛ بس ما يهم.. أهم شي إننا اشتريناها من الشانز إليزيه!»

فترت دعابة سوسن وابتسامتها عندما استسلمت لشرودها، فلم تلبث مرام أن قاطعته:

«سوسن؟.. سوسن!»

عادت سوسن من شرودها فواصلت مرام:

«سوسن.. إش فيكِ؟»

«عادي ما في شي»

«على مين يا سوسن؟ لكِ فترة منتِ على بعضك! شكله إياد مزعلك، يللا فضفضي لي، ما في أحلا من الحش في الرجال!»

«إياد مستحيل يزعلني، يخاف علي أكثر من اللازم»

«ياعيني عالرومنسية»

«بالعكس هذي هي مشكلتي معاه! يخاف علي لدرجة إني متأكدة إنه مخبي عني أشياء كثير»

«طيب لو أشياء ما بتودي ولا بتجيب ليه تبغي تعرفيها أصلاً؟»

زفرت سوسن زفرة أسخن من دخان قهوتها وهي تقول:

«مرام إنتِ عمرك ما حسيتِ بهذا الشعور، فيه جزء انبتر من حياتي، وإياد هو الوحيد اللي يعرف تفاصيله ومخبيه عني!»

«رجعنا لقصة الجن وما الجن؟ مش خلاص شيزوفرينا واتعالجت؟»

«باوريكِ حاجة وإنتِ أحكمي»

قالتها سوسن وأخرجت هاتفها وفتحت بريدها الذي أرسلت إليه جميع ملفات الحوار مع حوجن وناولتها لمرام لتقرأها.. مرّت عدة دقائق، تجمّد كوب القهوة في يمين مرام والهاتف في يسارها، رفعت عينيها الجاحظتين نحو سوسن التي أطلقت سراح دموعها:

«حوجن.. مستحيل!!»

تلفتت حولها بخوف وارتباك وكأنها تتأكد من عدم وجود العفاريت، واقتربت لتهمس لسوسن:

«ماني قادرة أصدق إن كل هذي الحوارات والنقاشات والمعلومات مجرد شيزوفرينيا! إنت كنتِ بتتكلمي مع جني حقيقي..! هذي الملفات لازم توريها للدكتور النفسي، لازم يكون عنده تفسير علمي!»

«وهذي المشكلة الثانية! أنا متأكدة إن الدكتور عماد زكي متفق مع إياد. أصلاً أنا شاكة إنه دكتور وهمي، تخيلي اكتشفت إن رقم جواله هو نفسه رقم جوال إياد القديم أيام الجامعة.. كيف تتفسر دي؟»

«مو معقول!»

«هذا غير إني متأكدة إنه خطبني مع بنت خالته جمانة، أذكرها ومتأكدة إني شفتها زي ما إني شايفتك قدامي، كل ما أسأله عنها يتهرب.. ولما أسأله ليش أصرّيت نسمي بنتنا جمانة يقول إنه الإسم كان عاجبه!»

ابتلعت سوسن ريقها وواصلت وتوترها يتصاعد:

«تخيلي جمانة مقتنعة إن عندها صديق اسمه إلياسين؟ تتكلم معاه وتلعب معاه، كأنه عايش معانا.. رح تجنني! وإياد يقول كل الأطفال عندهم إماجيناري فريندز»

«سوسن لازم تواجهي إياد!»

«حاولت أكثر من مرة، بس زي ما قلت لك دايماً يتهرب، أخاف أزودها معاه يزعل مني.. قبل كم يوم طلع لي يو إس بي يقول إنه سجل فيلم فيه كل التفاصيل اللي لازم أعرفها، ووعدني يوريني كل شي أول ما نرجع»

استخدمت مرام خلايا الكيد الأنثوي في دماغها ثم سألت سوسن:

«يعني حتقعدي على أعصابك إلين نرجع؟! عندك رقم الدكتور عماد؟»

«حتى لو اتصلت بالدكتور عماد زكي عارفة وحافظة إجاباته، رح يحاول يقنعني باسطوانة الشيزوفرينيا وعجائب العقل البشري!»

«ومين قال لك تسأليه؟ واجهيه على طول.. قولي له إن إياد قال لك على كل حاجة!»

فعلاً خطة بسيطة ومضمونة.. ترددت سوسن قبل أن تتناول الهاتف من يد مرام.. وبحثت عن Dr. EZ في قائمة الأسماء بأنامل مرتجفة من التوتر، ثم تقهقرت:

«لا لا.. أصلاً الوقت مو مناسب!»

تناولت مرام الهاتف من يد سوسن لتنهي ترددها، ضغطت على زر الاتصال بالدكتور وهي تقول:

«الساعة هنا ثمانية، يعني عندنا لسا ما جات الساعة عشرة.. الليلة ما حتنامي قبل ما تعرفي كل شي!»

وضعت الهاتف على أذن سوسن التي ما إن سمعت نغمة الاتصال حتى بدأت دقّات قلبها العنيفة بهزّ كيانها، تلك الهزة انتهت مع انتهاء النغمة المتقطعة دون أن يجيب أحد..

«ما بيرد.. قلت لك الوقت مو مناسب!»

أخذت مرام الهاتف وبدأت بإرسال رسالة نصية..

«مرام إش بتسوي؟!»

أعادت الهاتف لسوسن بعد أن تأكدت من أن الرسالة انطلقت للدكتور عماد، فتحت سوسن الرسالة وشهقت وهي تقرأ محتواها:

(إياد وراني الفيلم! لازم تكلمني ضروري، ولو حاولت تبين لإياد إني كلمتك رح يصير شي مو طيب!)

اكتظت ردهة مركز جورج بومبيدو في قلب باريس بعشاق الفنون الحديثة، كانت تستقبلهم عند مدخل المعرض لوحة (الابتسامة الكاملة) والتي تظهر فيها النسخة المكتملة للوحة الموناليزا التي لم ينهيها ليوناردو دافينشي في حياته، وأنهاها هُناك أمام عيني حسام اللتين سجلتا كل ذرة فيها ليعيد رسمها بتفاصيلها وحذافيرها في لوحة لم يصدق الناس أنها مرسومة بشرياً دون أن تستنسخ وتعالج بواسطة الكمبيوتر. وكانت هناك تجمهرات أصغر عند كل لوحة من لوحات حسام الأخرى التي تناثرت في أنحاء المعرض، لوحات أقرب إلى الصور الفوتوغرافية الناطقة تلخص رحلته التي أمضاها هُناك، في العالم الذي صنعته له ملاك. وفي منتصف القاعة الرئيسية كان الاحتشاد الأعظم أمام لوحة (ملاك) النظرة الملائكية، الابتسامة التي تسيطر بسحرها على كل من يراها، والدمعة التي تكاد تنساب على سطح لوحة فاقت جميع الحقائق بواقعيتها، وتجاوزت جميع الأحلام بجمال صاحبتها. أمام لوحة ملاك جلس حسام على كرسي مرتفع وحوله ثلاث لوحات أخرى يرسمها في نفس الوقت، يخط بعض التفاصيل بالفرشاة في إحداها ثم يتركها لتجف قليلاً ويغمس أنامله في الألوان ليضيف لمساته على الأخرى ثم يعود ليزين الثالثة بتوقيعه وينزلها من الحامل ويبدلها بلوحة أخرى جديدة..

كان يرسم بشكل متواصل وبلا تفكير، كأنه آلة طباعة فائقة السرعة والدقة، والناس من حوله مشدوهون بما تراه أعينهم ولا تكاد تصدقه عقولهم.

استطاعت جمانة أن تشق طريقها بين الجموع بجسمها الصغير وبدأت تهتف بحماس:

«واو عمّو حسام هذي الرسمة مرّه عجبتني! خلاص حاخذها في غرفتي، بس ليش الورد أبيض؟ ما تعرف إني أحب البيربيل؟»

غمست أصابعها الصغيرة في اللون البنفسجي وبدأت تقلد حركات حسام وتصبغ أزهارها البنفسجية دون أن يعترضها أحد . وواصلت بينما كانت تلوّن بتركيز:

«عمّو حسام أبغاك ترسم وحدة ثانية عشان أعطيها لإلياسين، بس لون الورد بالأحمر والأزرق!»

نظرت سوسن التي كانت تراقب الموقف بين الجموع نظرة ذات مغزى لمرام وسحبت جمانة برفق من ذراعها وهي تقول:

«تعالي يا جمانة عمو حسام مشغول لا تدوشيه! وبعدين شوفي كيف لطخت يدك بالألوان، لازم تغسلها!»

إياد الذي ارتدى بدلة سوداء زادته أناقة وتألقاً كان كأحد نجوم البساط الأحمر وهو يرافق الوفد الصحفي في أنحاء المعرض ويجيب على أسئلتهم بطلاقة ولباقة، متنقلاً بين لغتيه الثانية والثالثة: الفرنسية والإنجليزية. اتجه بهم نحو حسام وهو يقول:

«وهذا هو بطلنا حسام! الشخص الذي انتزع من الموت حياة جديدة! الذي أثبت أن السوبرمان ليس خرافة على الإطلاق..!»

انقضّت إحدى مذيعات القنوات التلفزيونية الفرنسية على حسام الذي توقف عن الرسم وقام عن كرسيه وهي تسأله:

«سيد حسام، ماذا تحب أن تقول بمناسبة تدشين أول معرض لك في مركز جورج پومپيدو ليتم عرض لوحاتك في نفس المكان الذي عُرضت فيه أعمال پيكاسو و دالي وهيرجيه؟»

ارتبك حسام خجلاً ولطخ مايكرفونها بالألوان عندما تناوله منها وهو يقول:

«آآآ.. أحب أن أقول.. شكراً.. شكراً جزيلاً»

كانت إجابته مقتضبة جداً، ومحبطة جداً جداً لفضول الإعلاميين ففضلّوا العودة بأسئلتهم إلى إياد الذي التفت نحو حسام وهمس له بحنق:

«آآ.. ميغسي.. ميفسي بوكو..! هذا اللي ربنا قدّرك عليه؟! أنا أوريك يا حسام!»

عاد حسام إلى لوحاته، وعاد إياد إلى وفده الإعلامي، دون أن يعلم أي منهما بما كان يحصل في نفس تلك اللحظة في مكان آخر.. وعالم آخر.

الهندبة، مدينة متحضرة في شمال الجزيرة العربية يحتل نصفها عنق خليج العقبة المقابل لشرم الشيخ في مصر، ونصفها الآخر يغطي المنطقة البحرية والجزر المحيطة بها وعلى رأسها جزيرتا تيران وصنافير. تأسست إثر معركة دارت رحاها قبل ثلاثمئة وخمسين عاماً بين قبائل جن المدائن (مدائن صالح) والقبائل النازحة من الجنوب، راح ضحيتها أكثر من مليون جني وانتهت بانقلاب الشعوب على العوائل التي تحكمهم وتستنزف دماءهم من أجل الحفاظ على نفوذها وسلطانها، ووُقعت إتفاقية حقوقية تضمن التعايش السلمي المثمر لمختلف الطوائف بغض النظر عن أعراقها وثقافاتها ومعتقداتها. أدى الازدهار العمراني البشري لنزوح المزيد من الجن من الجنوب والشرق (السعودية) والشمال (فلسطين) والغرب (مصر) واستقرارهم في الهندبة كونها لاتزال نائية عن المناطق المأهولة بالبشر. كان أقرب معلم بشري لها شارع مقفر وفيه مسجد شبه مهجور، لم يقاطع سكونه سوى اهتزاز الهاتف المحمول المخبأ في الغرفة الصغيرة تحت منبر المسجد التي تحمل عادة جهاز التضخيم المتصل بالمايكروفونات. اهتز الهاتف بلا صوت ثم عاد وبقي ساكناً لعدة ساعات، إلى أن فُتح باب الغرفة، وارتفع الهاتف في الهواء وانفصل عنه سلك الشاحن، واختفى ذلك الهاتف فجأة.

على أطراف جزيرة تيران في ضواحي الهندبة بعيداً عن أحيائها الصاخبة كان هناك بيت متواضع يطل على شاطئ البحر مباشرة، يغلفه الهدوء في العادة، إلا عندما تستثير شقاوة إلياسين أعصاب أمه جماري فيجن جنونها وتصرخ:

«إلياسين!! كم مرة أقول لك لا تروح جدة لوحدك؟! والله لأقول لأبوك عشان يوريك شغلك!»

في تلك اللحظة فُتح باب البيت وأطل حوجن الذي أنهكه العمل، فانطلق إلياسين راكضاً إلى حضن والده، واستمرت جماري في التوبيخ:

«حوجن! لازم تشوف لك حل مع إلياسين! للمرة الثانية راح لجدة لوحده!»

جلس حوجن على ركبتيه وتأمل عيني إبنه إلياسين وحدثه وكأنه جني بالغ:

«إلياسين.. أنا ما قلت لك ما تروح لجدة من غيري؟ الطريق خطر، جن الهوام ممكن يآذوك!»

«أنا إلياسين الفيحي! لو جن الهوام قربوا مني أحرقهم!»

«إنت إلياسين المغرور! وغرورك يضعفك ما يقويك.. وبعدين مين يحرس أمك وأنا في الشغل؟ أنا أتطمن عليها عشان إنت معاها تحرسها!»

نجح أسلوب حوجن مع ابنه العنيد، فواصل:

«خلاص بكرة جمعة، نروح لجدة مع بعض»

«رحت اليوم ما لقيت أحد في البيت، جمانة قالت لي إنهم بيسافروا عند جدهم وجدتهم»

«خلاص لو سمعت الكلام آخذك ونروح عندهم!»

انطلق إلياسين من فرط سعادته، وأقبلت جماري بقلق عندما لاحظت الهاتف المحمول في يد حوجن وعلامات التوتر على وجهه.

«ليش جبت الجوال يا حوجن؟ إياد اتصل عليك؟»

«جاني اتصال.. لكن مش من إياد..»

قالها وناولها الجوال لترى الرسالة التي استقبلها في هاتفه المحمول، رسالة أشعلت قلقها، وفجرت غيرتها.. رسالة من سوسن!

جمانة طفلة مرحة، تعيش حياتها بالمبدأ الذي يعتنقه معظم الأطفال في سنّها: وما الحياة إلا لعبة كبيرة..! قفزاتها لا تكاد تتوقف، وكذلك أسئلتها والمشاكل التي تثيرها من حولها، ولكنها تحسن استغلال براءتها لممارسة شقاوتها دون أن يجرؤ أحدٌ على الاعتراض. كانت تتهادى على حافة أحواض الزرع في ذلك الركن الهادئ في مركز جورج بومبيدو حيث فرّت سوسن ومرام من الصخب وجلستا لاحتساء القهوة.

قفزت جمانة من على حافة حوض الأزهار فارتطمت بشاب طويل يرتدي قميصاً أسود بأكمام مشمّرة لم يبال بعقد أزراره العلوية فبرزت من خلفها قلادة عجيبة، خيط جلدي أحمر يحمل جواد شطرنج أسود معدني مزركش مخدش ومقلوب رأساً على عقب.. بالإضافة إلى ذلك كان يرتدي جينزاً ونظارات معتمة عاكسة تخفي عينيه تماماً. انحنى الشاب نحوها ومد يده التي كانت معقودة خلف ظهره ليناول جمانة علبة صغيرة ويسألها:

«جمانة.. صح؟!»

زغللت الهدية عيني جمانة اللتين انعكستا على نظارة الشاب ففتحت ربطتها دون أن تجيب وجحظت عندما رأت السلسة الذهبية المرصعة بالخيول المنمنمة الملونة التي تظهر في برنامجها الكارتوني المفضل: ماي ليتيل پوني.

أتت سوسن مسرعة وضغطت بأصابعها على ذراع جمانة وخرجت الكلمات التوبيخية من بين أسنانها المطبقة:

«اللي يعطينا حاجة إش نقول له يا جمانة؟!»

نظرت جمانة نظرة خاطفة إلى الشاب الطويل وقدمت انحناءة على طريقة أميرات ديزني وهي تقول:

«Merci beaucoup monsieur»

وركضت وهي تتقافز فرحاً بإسورتها، تاركة سوسن في ذلك الموقف المحرج أمام الشاب الذي بادرها بلغة عربية فصحى:

«أنت السيدة سوسن أليس كذلك؟!»

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول:

«جمانة طفلة شقيّة.. أرجو المعذرة سيد...»

«بنيامين.. اسمي بنيامين»

«تشرفنا سيد بنيامين»

«في الحقيقة كنت أبحث عن السيد إياد، فأنا على موعد معه»

انطلقت به نحو إياد الذي كان لا يزال مشغولاً مع حسام بوفود الإعلاميين قبل أن تقاطعه سوسن:

«إياد فيه واحد بيسأل عنك..»

تقدم الشاب ليصافح إياد بحرارة وهو يقول:

«سيد إياد، يشرفني أن ألقاك أخيراً وجهاً لوجه، خارج إطار الرسائل الإلكترونية»

«سيد بنيامين، سعيد جداً بلقائك!»

كان إياد متفاجئاً من تحدث بنيامين العربية بطلاقة بالرغم من أن المراسلات الإلكترونية بينهما كانت كلها بالإنجليزية، فلم يستطع إخفاء دهشته وهو يقول:

«لم أكن أعلم أنك تجيد العربية أيضاً!»

ابتسم وهو يجيبه..

«لماذا تتعجب؟ بسبب اسمي؟ اسمي عربي صميم:
بن.. يمين.. ابن اليمين!»

تقدم حسام ليلقي التحية على بنيامين وهو يقول:

«بنيامين أخو سيدنا يوسف!»

تجاهل بنيامين الأ لوان التي تلطخ يدي حسام فمد كفيه ليصافحه بحرارة وهو يعقب ويضغط على حروف كلماته:

«بنيامين ابن سيدنا إسرائيل!»

انتقل الثلا ثة إلى غرفة الاجتماعات الصغيرة فاقتحم إياد الموضوع مباشرة:

«كان اختيارنا لمركز جورج بومبيدو موفقاً للغاية! النجاح الذي حققه المعرض جهّزنا وبقوة للخطوة المقبلة»

عقب بنيامين على عبارته:

«الخطوة الهوليوودية»

واصل إياد بحماس:

«لا بد أن يكون إنتاجاً ضخماً، لا بد أن نتعاون مع أفضل المخرجين!»

لم يتح بنيامين له الفرصة لإتمام عبارته وأطلق مفاجأته:

«المخرج في انتظار اتصالنا!»

قالها ووضع هاتفه بشكل أفقي على الطاولة الصغيرة أمامهم؛ أجرى اتصالاً مرئياً وسرعان ما ظهرت صورة رجل أشقر في أواخر الأربعينات لا تخفي تعابيره علامات اللهفة:

«سيد كريستوفر، اسمح لي بتقديم السيد حسام والسيد إياد اللذين حدثتك عنهما»

كانت مفاجأة صاعقة لحسام وإياد أن يريا كريستوفر نولان شخصياً أمامهما، فاعتدل إياد في جلسته وهو يقول:

«لم نكن نتخيل أننا سنحظى بشرف الاتصال بك مباشرة سيد كريستوفر!»

قاطعه كريستوفر بلهجته الأمريكية المبهّرة بالقليل من البريطانية:

«سررت بلقائكم، وصلتني صور بعض اللوحات التي رسمها السيد حسام، في الحقيقة إلى الآن أجد صعوبة في استيعاب التقنية التي رسمت بها. أستطيع أن أتخيل أن هناك من لديه ملكة عالية في بث الروح من خلال لوحاته، لكن الأمر المحير هو الدقة اللامتناهية، كلما كبّرت الصورة كلما ظهرت المزيد من التفاصيل المذهلة!»

اجابه إياد الذي اعتاد هذا النوع من الأسئلة في لقاءاته الصحفية:

«لقد أنجز حسام بعض تلك اللوحات في أقل من ثلاث ساعات!»

وعقب بنيامين:

«سيد كريستوفر، لقد أمضيت خمسة عشر عاماً في العمل على أفلامك التي أحدثت ثورة في السينما العالمية، إنسيبشن، ثلاثية باتمان، سوبرمان، إنترستيلر.. نحن لدينا هنا قصة تدور في فلك أفلامك وتجمعها في بوتقة واحدة»

التهم الفضول الجميع، فواصل بنيامين:

«حسام انتقل إلى عالم مختلف، بعد آخر، صممته له حورية»

«مثل تجربة هندسة الأحلام الواقعية في فيلم إنسيبشن..»

قالها كريستوفر فتدخل حسام هذه المرة:

«لم يكن عالماً افتراضياً أبداً سيد كريستوفر، بل عالم واقعي ملموس ومحسوس أكثر بكثير من عالمنا هذا، لدرجة أنني أشعر أن حياتي هنا ضبابية بالنسبة للفترة التي عشتها هناك»

استمر بنيامين في طرحه:

«عندما انتقل حسام لذلك العالم، عاش بالفعل تجربة صراع مع الجوكر بعد أن أتقن جميع المهارات التي تمكنه من مواجهته»

«نعم.. لقد رأيت مجموعة اللوحات التي جسدت تفاصيل تلك المعركة.. لقد أذهلتني فعلاً»

«حسام التقى هناك بليوناردو دافينشي وبيتهوفن وبروس لي، وأتقن مهارات كل منهم على حدة، بالإضافة إلى ذلك تحول إلى ظاهرة طبيّة محيرة بعد استيقاظه من الغيبوبة، طفرة عامة غيرت جميع وظائفه الحيوية وتضاعف معدل تجدد الخلايا في جسمه، باختصار استيقظ من غيبوبته كسوبرمان حقيقي!»

كان اهتمام كريستوفر نولان يتفاقم مع كل كلمة، فأمامه فرصة لصناعة فيلم يتوج أساطيره السينيمائية، فيلم جاهز بجميع تفاصيله وأحداثه والأهم من ذلك بطله الخارق. فرصة بهذا الحجم لن يفوتها صانع أفلام ككريستوفر:

«متى يمكننا أن نجتمع؟»

رد بنيامين على سؤال كريستوفر:

«متى يمكنك تحديد موعد مع وورنر بروذرز؟»

«في أي وقت! يمكنني أن أجتمع بهم اليوم إن أردت»

«ممتاز، إذاً حدد اجتماعنا بعد عشر ساعات»

قالها بنيامين وأنهى الاتصال المرئي مع كريستوفر فبادره إياد:

«لا بد أن نبدأ بالتجهيز للاتصال المرئي مع وورنر برودرز، ليس لدينا ما يكفي من الوقت!»

«وهل تظن أنك ستعقد صفقة بمئات الملايين عبر اتصال مرئي؟»

«ماذا تقصد؟»

فهم حسام مغزى بنيامين فقال بهدوء:

«ليست لدي تأشيرة دخول للولايات المتحدة»

«لا تهتم، رجالنا سيتكفلون بكل شيء، لا بد أن ننطلق بعد نصف ساعة!»

قالها بنيامين فانفجر إياد متوتراً وهو يقول:

«تقصد أننا سنسافر إلى كاليفورنيا؟ هل أنت جاد؟»

«أنا لا أجيد المزاح يا صديقي، سنقابلهم في نيويورك»

«كنت أظن أنني أكثر أهل الأرض جرأة وجنوناً.. هي منافسة بيننا إذاً»

ابتسم بنيامين لأول مرة منذ أن قابلهم وقال:

«لن تكون منافسة عادلة أبداً! على كلٍ طائرتي الخاصة جاهزة، سننطلق على الفور. يجب أن تبلّغوا سوسن ومرام وإدارة المعرض أنكم ستتغيبون لمدة أربع وعشرين ساعة!»

لم تذق سوسن طعم النوم منذ أن أرسلت مرام الرسالة النصية للدكتور عماد زكي، لم يفارق هاتفها أناملها، تقفز مع كل اتصال وكل رسالة وهي في انتظار رده. كانت متكئة على كفها تراقب أضواء السيارات والطريق وهي عائدة مع مرام وجمانة إلى الفندق.. وقفز قلبها. قفز عندما انطلق رنين الهاتف، وهدأ عندما اكتشفت أنه إياد:

«سوسن! تتذكري إش كنت أقول لك لما اتفرجنا أفلام باتمان وسوبرمان وإنسيبشن وإنترستيلر؟»

«إياد؟ خلصت اجتماعك؟»

هتف بحماس:

«ما جاوبتيني.. إش دايماً أقول لك في الأفلام؟»

«ايوه، دايماً تقول إنك تتمنى تحضر تصوير مع هذاك المخرج»

«اسمه كريستوفر نولان.. مو هذاك المخرج! المهم لازم نسافر له الآن، جهزي لي البدلة والجواز أول ما توصلي الفندق، رح أعدّي آخذهم ورايحين المطار!»

«من جد تتكلم؟ رايح المطار؟»

«اجتماعنا في نيويورك مع وورنر بروذرز بعد عشر ساعات! رايحين في طيارة بنيامين الخاصة، لا تقلقي حنخلص الاجتماع ونرجع على طول في نفس اليوم»

«تتكلم كأنك رايح تشرب قهوة وراجع! أخاف عليك يا إياد ما حاسبيك تروح لوحدك.. رجلنا على رجلك!»

«سوسن!! كيف آخذكم في رحلة متعبه زي هذي؟ خليك في الفندق مع مرام وجمانة أخرجوا اتمشوا انبسطوا، وبكرة رح تلاقيني رجعت لك»

«ربي يوفقك يا إياد ويحقق لك كل أحلامك ويحميك»

«حلم حياتي اتحقق في اللحظة اللي قبلتِ تتزوجيني يا سوسن، ومن يومها بتعيشيني أحلام جديدة وتحققيها واحد ورا الثاني!.. يللا لازم أتصل بالمعرض»

وجنتاها اللتان لا تملأن تغزله بها اكتظتا بالدماء مرة أخرى وهي تقول:

«مع السلامة يا بكّاش»

ازدادت حمرة وجنتيها ورافقتها رعشة انطلقت من خفقات قلبها حتى أطرافها عندما رن هاتفها مرة أخرى، وكان الاتصال هذه المرة من الدكتور عماد زكي..

أو بالأصح من حوجن!

MARRIOT CHAMPS ELYSEES

GEORGES POMPIDOU CENTRE

Christopher Nolan - IMDb
www.imdb.com/name/nm0634240/
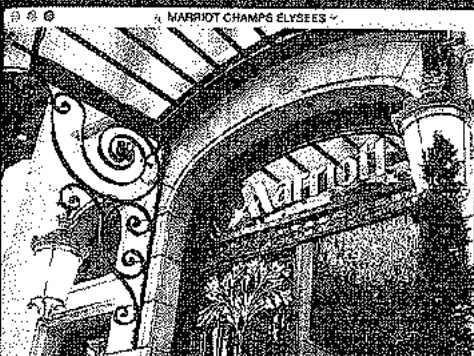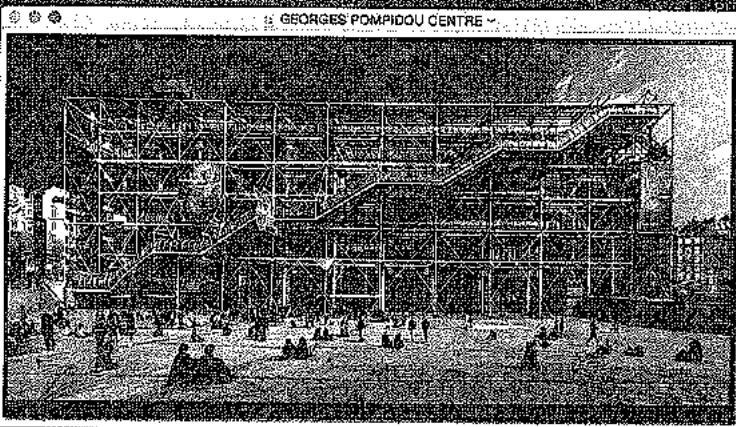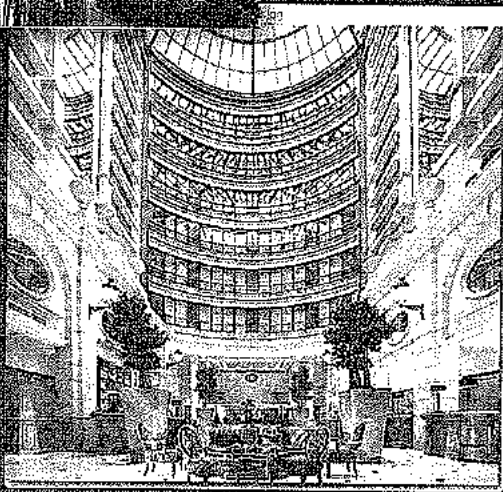
Christopher Nolan

Top 500

Writer Director Producer

Best known for his cerebral, often nonlinear story-telling, acclaimed writer-director Christopher Nolan was born on July 30, 1970 in London, England. Over the course of 15 years of film-making, Nolan has gone from low-budget independent films to working on some of the biggest blockbusters ever made. At 7 years old, Nolan began making short movies ... See full bio »

Born: Christopher Johnathan James Nolan
July 30, 1970 in London, England, UK

More at IMDbPro »
Contact Info: View agent, publicist, legal and company
Represent Christopher Nolan? Add or change photos

123 photos · 15 videos · 26694 news articles »

Nominated for 3 Oscars. Another 140 wins & 134 nominations. See more awards »

Known For

(3)

العين بالعين

الإنسانية.. ماهي الإنسانية؟

هي منظومة من العواطف والانفعالات والقيم التي تنسبونها لأنفسكم أيها البشر، لأنكم وبكل بساطة لا تحتكون بشكل مباشر بكائنات أخرى تشاطركم نفس تلك الانفعالات. تنسبونها حصراً وقصراً للجنس الإنساني البشري من منطلق غروركم وقصوركم عن فهم العوالم المحيطة بكم.

نعم أنا لست من عالمكم، ولكنني متيقنة بأنني أحمل من تلك العواطف التي تعتقدون أنه لا يشارككم فيها أحد كماً لا تستوعبه مقاييسكم، تلك العواطف هي نزعات الفطرة التي تفيض بها الروح، مهما كان العالم والجسد التي بعثت فيه تلك الروح.. هي نفحة نورانية.. هناك من يتسامى بها.. وهناك من يهبط بعيداً عنها في قاع هوسه المادي.

فلنتفق إذاً على أن نستعيض عن كلمة "إنسانية" بلفظ "روحانية" الذي يليق بشموليتها لجميع العوالم بما فيها عالمكم وعالم الجن.. وعالمي.

تلك النزعة الروحانية هي التي جعلت قلب سوسن يهتز بكل عنف ويستنفر الدماء من جسمها فيحبسها داخل حجراته رغم خفقاته العنيف عندما نظرت إلى المكالمة الواردة من Dr. EZ، كادت أن تتجاهلها لوهلة لولا أنها كانت متأكدة أن هذه المكالمة هي أملها الوحيد في معرفة ما إذا كان هناك فعلاً جني ضحّى بحياته لينقذ حياتها، أم أن كل ذلك كان مجرد سيناريو خدعها به عقلها الباطن لتفر من واقعها. استقبلت مكالمة الدكتور عماد، فشلت في نطق الكلام، انتقلت خفقات قلبها إلى قلبه، وأخرس صمتها لسانه، مرّت دقيقة كدهر، لم يقاطع الصمت خلالها سوى صوت استنشاقها لدموعها.. حتى أنهاه بسؤاله المرتجف:

«سوسن.. كيفك؟»

«حوجن.. حرام عليك..!»

صدمته مواجهتها المباشرة، لم يتوقع أن قلبها سيفضحه بهذه السهولة، لم تسعفه الكلمات للمراوغة فانفجرت غير آبهة بكونه مخلوق من عالم آخر، كان قلبها يصرخ في قلبه:

«ليه يا حوجن؟ ليه؟ سبعة سنين وأنا ماني عارفة إذا كنت عايش أو ميّت.. سبعة سنين ماني عارفة إذا كنت حقيقة وللا وهم.. ليه يا حوجن؟!»

لم تدع له مجالاً للمراوغة والإنكار، فاستسلم لانهيارها لتواصل بصوت متهدج مختنق:

«لا تحاول تقنعني إن هذا كله عشاني! تحرق قلبي عشان تحافظ على عملية مخي؟ تخيّل لو كنت أنا اللي اختفيت فجأة وقعدت سبعة سنين ما تدري عني؟!»

أكملت انهيارها ببكائها، ولم يجرؤ حوجن على النطق سوى بعبارة واحدة:

«سوسن.. إش اسم الفندق اللي قاعدين فيه؟»

جذبها سؤاله من بكائها بشدة فقالت بدهشة:

«ماريوت شانز إليزيه، ليش؟»

«أنا جاي الآن»

انتهت المكالمة، ولم تنته الهزة العنيفة التي اجتاحت قلبَي سوسن.. وحوجن.

اقتربت سيارة بنتلي مولسان سوداء معتمة من الخارج والداخل، من مدخل فندق الماريوت، وقبل أن يوقفها برنامج القيادة الآلية قفز منها إياد ولحقه حسام وانطلق من داخلها صوت بنيامين:

«أمامكما ثلاث دقائق»

كانت سوسن في انتظار إياد بحقيبته وجواز سفره، دخل الغرفة وتناولهما منها قبل أن يلتقط أنفاسه:

«سوسن لازم أكون في الطيارة بعد نص ساعة، انتبهي لنفسك ولجمانة يا عمري»

قبّل فتاتيه وهم بالمغادرة دون أن يلاحظ نظرة التوتر والقلق التي ملأت كيان سوسن.

«دقيقتين وأربعة عشر ثانية»

قالها بنيامين عندما انطلقت بهم البنتلي التي تقود نفسها آلياً فرد عليه إياد بزهو:

«أنت مدين لنا بستة وأربعين ثانية إذن!»

«لو حددت لكم دقيقتين لانتهيتم في دقيقة ونصف، الإنسان يبرمج ذاته بناء على سقف طموحاته! على العموم احتفظوا بكل ثانية لأنكم ستحتاجونها بشدة فيما بعد!»

نهشت إطارات البنتلي شوارع باريس وانطلق برنامج القيادة الآلية بسرعة لم تألفها تلك الشوارع ولم يجرؤ رجل شرطة واحد على اعتراضها بسبب لوحتها المميزة التي تعطي ركابها حصانة لا يكاد ينالها سوى الرئيس الفرنسي نفسه وحفنة من الدبلوماسيين. توقفت آلياً بمحاذاة نقطة التفتيش، تفاجأ الشرطي لوهلة عندما نزل الزجاج الخلفي للسيارة ولاحظ عدم وجود السائق، فتكنولوجيا القيادة التلقائية لا تزال في مهدها.. ولكن جواز بنيامين الدبلوماسي أنهى دهشته وحولها لجملة ترحابية جادة وهو يسمح لهم بالمرور. انعطفت البنتلي في الطريق المؤدي إلى مدرج الطائرات الخاصة وتوقفت أمام سلالم إحداها حيث كانت تنتظرهم إليانا الفتاة التي امتزجت في ملامحها خطوط الحسن الإفريقي والأوروبي وأعاد إليها زي سيدة الأعمال بعض أنوثتها التي عادةً ما تختفي خلف الأزياء العسكرية.

يقولون.. النوم سلطان..

ولكن سُلطاته تتلاشى أمام لهفة الأطفال، وهموم الكبار.. لذا فقد أعلن استسلامه تلك الليلة أمام جمانة وسوسن. سوسن التي لم تتهاون يوماً في مواعيد نوم جمانة، جلست شاردة الذهن على طرف السرير بعد ذهاب إياد، وبقيت جمانة تتقافز حولها غير مصدقة أن أمها لم تصدر أوامرها لها بالنوم، بل وتفاجأت عندما حضنتها دون أن تغادر شرودها وقبّلتها على رأسها، حملتها وكأنها تخاف أن يختطفها أحد من بين ذراعيها، ونزلت لبهو الفندق.

جلست على المقعد، عيناها الشاردتان تسمّرتا جهة بوابة الفندق وانعزلت تماماً عن العالم بينما واصلت جمانة لعبها الأحادي مع نفسها والاستمتاع بلحظات منتصف الليل التي لم تشهدها في حياتها سوى مرات معدودة.

كانت خلايا مخ سوسن تنبش ذكرياتها مع حوجن، وتوقفت عند آخر حوار دار بينهما، تذكرته حرفياً. تذكرت تلك الليلة عندما انهمكت بمشاهدة مجموعة من أفلام اليوتيوب، بالذات ذلك الفيلم الذي ظهر فيه أحد العلماء يتحدث بإسهاب عن نظرية الأبعاد الأحدعشر المتداخلة، لم تكن تعلم أن حوجن كان يشاركها المشاهدة، والاندهاش، فقد أدرك أن كل ما كان يقوله ينطبق تماماً وبشكل منطقي على ما يحدث لهم في عالمي الإنس والجن.

كان حوجن يجلس على السرير بجوار سوسن، فأيقظته من شروده عندما هتفت:

«حوجن؟ حوجن إنت هنا؟!»

كانت تشعر بوجوده حولها، الرابط الذي يجمع أرواحهما لا يعترف بالأبعاد التي تفصل عوالم الإنس والجن، ألقت سوسن سؤالها وفتحت برنامج الكتابة على الآيباد وقرّبت يدها من لوحة المفاتيح فمد حوجن يده وحركها مع يدها وأجابها بالكتابة:

«الكلام اللي يقولوه في هذا البرنامج يفسر كل شي!»

«أنا ما فهمت ثلاثة أرباعه!»

«كنت دايماً أتساءل ليش التأثير بين عالمكم وعالمنا مفتوح من جهة واحدة؟! ليش كل شئ في بعدكم المادي يؤثر علينا وعلى بعدنا بينما العكس غير صحيح؟»

«طيب ممكن يا أستاذ ستيفن هاوكنغ تشرح لي اللي فهمته؟»

«قولي لي يا سوسن، إنتِ الآن إش شايفه في الغرفة؟»

« شايفة كل شي! السرير والدولاب والمكتب والشباك والأزهار والسماء والسحاب..»

«بس؟ هذا كل شي إنتِ شايفاه؟»

«وشايفه جني حليوه لطيف ظريف جالس جنبي!»

«لا يا شيخه! من جد قولي لي.. طلّي يسارك بالضبط على السرير، ما لاحظتِ أي شي؟»

كانت سوسن تنظر نحوه مباشرة ولكن عينيها اخترقتاه، ويدها أيضاً عندما تحسست السرير بجوارها.. وبدأت تربت عليه بلطف وهي تقول:

«يعني إنت دحين هنا؟ يفترض إني قاعدة أخبط فيك الآن؟»

« يدك وأصابعك مرت بوجهي، حسيت بها كأنها هواء مضغوط، شفت عروقك ودمك لما يدك مرت على عيني!»

«أوه شعور يحمّس.. طيب ما شرحت لي إش اللي فهمته من الفيلم؟»

«أنا الآن بأمرر يدي على يدك ووجهك، أحسها زي.. زي القطن، بس ماني قادر أخترق الآيباد بيدي، أحسه قاسي، إحنا نقدر نخترق الأ شياء الغازية والسائلة وشيه الصلبه في عالمكم، ولكن كل ما تزيد كثافة الجسم يصعب علينا اختراقه!»

«يعني لو قفلت عليك الباب ما تقدر تطلع؟»

«قلت لك إني اتحبست في غرفتك أكثر من مرة!»

هبّت سوسن على الفور وأغلقت باب الغرفة وشباكها وقفزت على السرير مرة أخرى وقالت بمرح طفولي:

«يللا وريني كيف تقدر تهرب يا حضرة العفريت!»

« لو كنت عفريت فعلاً كان قدرت ألمسك وتلمسيني! العفاريت يقدروا يتجسدّوا في عالمكم!»

« ياه من جد؟ يعني لو كنت عفريت تقدر تشيلني وتوديني معاك لعالم الجن؟»

«ياليت!»

«من جد يا حوجن؟»

نبرتها وهي تقولها أرعبته فقد شعر بتماديه وتسرعه، شعر بأنها فعلاً تود الفرار معه وإن تخلّت عن عالمها وعاشت بين العفاريت! فحاول أن يناورها:

«بس يا سوسن العكس غير صحيح، الأجسام والمواد والضوء والصوت اللي في عالمكم تؤثر في عالمنا ولكن ولا شي في عالمنا يوصل لعالمكم، بسبب ارتفاع الذبذبة! الجن مثلاً يترعبوا من الاحتكاك بالإنس، ياما جن اتضرروا وماتوا بينكم، عشان كذا دايماً نبعد عن تجماعتكم ولو اضطرينا.. نطير من فوقكم!»

«حوجن؟ تقدر تطير؟!»

«الجاذبية الأرضية خفيفة جداً علينا.. أعمامي كانوا يطيروا لحد الفجاج»

«كلمني عربي يا حوجن لو سمحت!»

«الفجاج مصطلح نطلقه على مناطق معينه في أطراف الغلاف الغازي، في أقطاب معينه حول الأرض على ارتفاع يوصل لمائة كيلو تقريباً، تتلاقى فيها المسارات المغناطيسية وتفتح بوابات للأبعاد الأعلى»

«طب وليش أعمامك بيطيروا لحد الفجاج وبوابات الأبعاد؟»

«المصالح ياسوسن، التعامل مع السحرة أسهل طريقة للربح، بالذات للجن اللي يمتلكوا قدرات مثل قدرات أعمامي، بالرغم من كل مخاطرها.. هذي المسارات المغناطيسية ممكن تبلع الجني وتحبسه في أبعاد عليا.. عمّي اختفى في الفجاج، كان يشتغل لصالح ساحر في الحبشة»

ارتسمت علامات الرعب على عيني سوسن، فتدارك حوجن الموقف بسرعة:

«سوسن.. والدي كان من مردة الشياطين، لكن تاب لما حب أمي وقرر يهجرهم وأخذنا نعيش بعيد عنهم»

«أبوك كان يقدر يأثر على عالمنا؟»

«إحنا من عائلة الفيحي.. من نسل الجن اللي كانوا يخدموا سيدنا الملك سليمان، أكثر هذي العوائل اختلطت بباقي الجن وفقدت قدراتها مع الزمن، قليلين جداً احتفظوا بها.. ومنهم والدي الله يرحمه»

«طب وإنت يا حوجن؟ ما ورثتها؟»

«ما أعتقد»

«يعني ما في أمل إني أشوفك أو ألمسك؟»

«والله ما أدري يا سوسن.. الطريقة الوحيدة المتاحة هي إني..»

«إنك إيش يا حوجن؟»

«لازم أخدم المردة وأروح عند اللعين»

«اللعين؟!»

«ملك الشياطين!»

«وي.. أعوذ بالله أعوذ بالله!»

«اللعين مو زي ما إنتو متخيلين.. اللعين زعيم لتكتلات المردة والشياطين في العالم، صدقيني زيه زي الزعماء الدكتاتوريين في عالمكم بالعكس بالنسبة لكم هم أخطر وألعن منه! في النهاية الزعيم وشياطينه ما يقدروا يضرّوا أي إنسان، إلا لو سمح لهم يتدخلوا في حياته..»

«يعني إبليس ومملكة الشياطين ما يقدروا يسووا لي شي؟»

«لا طبعاً، لو إبليس وشياطينه يقدروا يضروا البشر بشكل مباشر ما كان قصّروا! تعداد الجن يتجاوز تعدادكم بعشرة أضعاف تقريباً، معظمهم من ممالك الشياطين، ومع ذلك عمرك سمعتِ بإنسان اتجمعوا عليه الشياطين وضربوه أو قتلوه؟ بالعكس الجن يخافوا منكم أكثر مما تخافوا منهم، لأن خطركم وتأثيركم عليهم أكبر بكثير من تأثيرهم عليكم»

«سمعت إنه في مثلث برمودا صح؟»

«إش يعني مثلث برمودا؟»

«منطقة في البحر قريبة من أمريكا»

«فعلاً لما زرناه قطعنا البحر أنا ووالدي وأعمامي»

«إنت زرته؟»

«رحت مرة وحدة مع والدي قبل ما تتوتر علاقته مع أعمامي.. كنت مراهق ما عديت الثلاثين»

«يعني فعلاً إبليس موجود في مثلث برمودا! عشان كذا تختفي الطائرات والبواخر هناك!»

«مستحيل يأثروا على عالمكم المادي إلا لو فتحوا المجال بين العالمين، بس غالباً يفتحوه لأغراض خاصة ومحدودة جداً عشان ما يفضحوا نفسهم؛ إلى الآن بيحاولوا فتح بوابة بين العالمين تمكّن الجن العاديين انهم ينتقلوا لعالمكم بسهولة، قدروا ينقلوا البواخر والطائرات بس أكثر الجن والإنس اللي حاولوا يعبروها ماتوا خلال ثواني، الوحيد اللي قدر يخلي البوابات بين البعدين مفتوحة هو سيدنا الملك سليمان؛ ومن يوم ما مات واختفت معظم كتبه صار التنقل بين العوالم شبه مستحيل وما يقدر عليه غير العفاريت والمردة، وحالات نادرة جداً من الإنس اللي ما ماتوا أثناء الانتقال»

«يعني لو انتقلت لعالمكم أموت؟»

«بعيد الشر عنك يا سوسن!»

«تخاف علي يا حوجن؟»

«طبعاً!»

«لأي درجة؟»

«لدرجة إنه نفسي أكون أنا المريض بالسرطان بدالك.. لو علي أضحي بنفسي عشانك»

«بعيد الشر عنك يا حبيبي»

قالتها بعفوية وتلقائية.. فأسكتهما الخجل.. إلى أن قالت:

«حوجن..»

«إيوه يا سوسن..»

«تحبني يا حوجن؟»

هذا السؤال بالذات إذا سألته الفتاة فهو كالطلقة، لا بد أن تتلقفه الإجابة في غضون أجزاء قليلة من الثانية، قبل أن يرتطم الصمت بقلبها ويحطمه.. ولكنها ألجمته فعلاً.. فحاولت أن تستدرك ململمة كرامة أنوثتها:

« أصلاً كيف تحب وحدة من البعد المتدني حقنا.. وعمرها يادوب ربع عمرك و...»

لم يسمح لكرامتها بمواصلة النزيف فقاطعها:

«أحبك!»

انسكب الحبر الأحمر على وجنتيها مغطياً لونهما الزهري، ولفّت طرف خصلة شعرها بين سبابتها وإبهامها وعضتها بطرف شفتيها كعادتها عندما يكتسحها الخجل، فتفجر المزيد من ذلك الخجل وحوجن يكرر:

«أحبك.. أحبك.. أحبك يا سوسن! والله أحبك!»

«خلاص يا حوجن يوه! حتخرب لي الآيباد!»

«على فكرة كل كلمة أكتبها على الآيباد أنطقها.. إنتِ طبعاً ما تسمعيني حتى لو صرخت»

«يا حظك! إنت تسمعني وتسمع نفسك، وأنا ما أسمع غير نفسي، باتكلم مع نفسي زي المجنونة!»

«يعني كونك جالسة ساعة بتطقي حنك مع جني هو عين العقل؟»

«تتريق يا حوجن؟! والله لأوريك!»

قالتها وسحبت إحدى مخداتها وبدأت تضرب بها في الهواء وعلى السرير في المكان الذي يجلس فيه، أو بالأصح الذي كان يجلس فيه فقد ارتفع قليلاً عن السرير ليراقبها ويستمتع بضحكاتها الطفولية..

«سوسن.. سوسن؟.. سوسن!!»

هزت مرام كتفي سوسن بقوة لتجبرها على مغادرة شرودها وذكرياتها مع حوجن، فأجابتها سوسن بنظرة خاوية وواصلت مرام:

«إنتِ تبغي تجننيني؟ قلقت عليكِ! دقيت على جوالك واتصلت بالغرفة ستين مرة محد رد، ولما يئست نزلت قلت يمكن ألاقيكِ هنا»

لم ترد سوسن بكلمة، فكيانها كله كان يسبح في وادٍ آخر لا علاقة له بعالمنا، تفهّمت مرام ذلك فجلست بجوارها وحاولت امتصاص بعض توترها:

«سوسن إش اللي قالقك؟ عشان حتقابلي حوجن؟ مو المفروض تفرحي؟ أخيراً رح تتخلصي من حيرة السنين اللي راحت وتعرفي كل شي!»

ردت عليها سوسن من قلب شرودها وعيناها لا تزالان متسمرتان تجاه مدخل الفندق:

«ليتني ما سمعت كلامك يا مرام! ماني قادره.. قلبي حيوقف!»

«ياشيخة لا تهولي الأمور، أنا اللي المفروض أترعب! إنتِ متعودة على الجن، لكن أنا حاقابل جني لأول مرة اليوم.. على قد ما أنا متحمسة على قد ما أنا ميتة من الخوف! بيني وبينك صرت أتمنى يكون كل شي فعلاً تهيؤات، وأكون أنا كمان جاتني عدوى منك وصارت عندي شيزوفرينا وياتخيل إني حاشرب قهوة مع العفاريت في لوبي الماريوت!»

كانت الحركة عند مدخل الفندق تتضاءل مع تأخر الوقت، لم يبق سوى حارسي الأمن وموظفات الاستقبال، والقليل من النزلاء العائدين من سهراتهم الباريسية.

وفجأة تجمّد الزمن.. توقف إجلالاً للحظة التقاء الأرواح التي فرضت السكون على كل شيء.. حتى الأنفاس.. وأرغمت جميع الأصوات على الصمت.. بما فيها الهمسات.

زفّت السلالم المتحركة التي تربط مدخل الفندق بالبهو رهبة تلك اللحظة، فأطل منها رجل في نهاية عقده الثالث، يحمل وسامة حوض البحر المتوسط بملامحه السمراء وقسماته الحادة وعضلاته المشدودة وقامته الفارعة؛ تتأبط ذراعه حسناء عشرينية، لفتة منها كفيلة بإدخال جميع اللاتينيات في حالة إحباط مزمن.

كانا يرتديان ملابس أبهرت جميع من في البهو، وكأن سلطان الأزياء الفرنسي كريستيان ديور ومساعده الوهراني إيف سان لوران استيقظا من سباتهما فقط ليصمما تلك البدلة السوداء الأنيقة والفستان المخملي الأحمر الداكن. شعرت سوسن بشلل تام في قلبها، وانطلقت شهقتها عندما برز من خلفهما صبي وركض نحوهم وهو يهتف:

«جمانة!! شلامليك جمانة شلامليك!!»

التفتت إليه جمانة وركضت نحوه وهي ترد على تحيته الفيحية السريانية:

«شلاملاك إلياسين! شلاملاك!»

انتشر الشلل في أوصال سوسن، حاولت أن تقف.. اتكأت على طرف المقعد.. ولكن الخدر أفقدها توازنها وكادت أن تقع فهبت مرام لتسندها وهي تراقب ذلك الرجل وزوجته وهما يتجهان نحوهما مباشرة.

نجحت تلك الطائرة الخاصة في إبهار إياد بالرغم من حياة الرفاهية التي اعتاد عليها، وإبهار حسام أيضاً الذي عاش بضعة أيام في الجنة. النوافذ هي الشيء الوحيد الذي كان يذكرهم بأنهم في داخل طائرة لا في قاعة استقبال كبار الشخصيات في إحدى القصور الرئاسية. كراسي جلدية وثيرة عملاقة متحركة لكل منهم مرتصة بشكل نصف دائري حول طاولة اجتماعات وشاشة غطت معظم الجدار الفاصل بينهم وبين كابينة القيادة. انقضت السويعات الأولى في حوارات محتدمة حول كيفية استغلال تلك الفرصة السينمائية الرائعة لأقصى حد. كان إياد أكثرهم حماساً وهو يقول:

«مليار دولار! أتوقع أن تحطم مبيعات التذاكر حاجز المليار دولار!!»

ابتسم بنيامين وهو يقول:

«مليار دولار؟ فقط؟ هذا سقف طموحاتك؟!»

«لو تكلمنا عن طموحاتي أنا شخصياً فأعتقد أنه لا يرضيها أقل من أن يحطم الفيلم مبيعات جميع الأفلام على مر التاريخ!»

ابتسم بنيامين ابتسامة ساخرة وهو يخرج من جيبه ورقة بمئة دولار ويحدق فيها أمام عينيه مباشرة حتى بدا التوتر على ملامح صورة بنجامين فرانكلين المطبوعة عليها والمنعكسة على نظارة بنيامين المعتمة.. وكان توتر فرانكلين في محلّه حيث باغته بنيامين وشطر وجهه نصفين وهو يمزّق المائة دولار وابتسامته تتسع وتتحول لضحكة خفيفه وهو يمزقها لقطع أصغر ويكومها على راحته ثم ينفخها لتثير عاصفة دولارية أمام وجوه الجميع. قطع ذهولهم بعبارة ساخرة:

«الدولار.. هذا كل ما يهمكم..»

رد عليه إياد معترضاً:

«ومن لا تهمّه الدولارات؟ المثاليات لا وجود لها إلا في الكتب والأساطير، أما الواقع فلا يعترف إلا بالبانك نوت يا صديقي!»

«لقد مزقت ورقة! مجرد ورقة، لا قيمة لها سوى صورة بينجامين فرانكلين العالم المخترع الموسيقي الكاتب الدبلوماسي الذي كافؤوه على عبقريته وإنجازاته بوضع صورته على إحدى أفظع الجرائم التي مرّت على البشرية!»

تدخل حسام أخيراً وقال بهدوء:

«هل تريد أن تقنعنا أنك لم تتصل بنا لإتمام صفقة مادية ضخمة؟»

«إليانا.. ناوليني دفتر الشيكات من فضلك»

قالها بنيامين فهبّت إليانا على الفور وأخرجت الدفتر والقلم من حقيبة بنيامين وناولته إياهما، فخط مبلغاً على الشيك وناوله لحسام:

«تفضل، هذا شيك بمليار دولار.. اكتب ما تشاء في خانة المستفيد»

تناول حسام الشيك ومزّقه بنفس طريقة بنيامين وهو يقول:

«أحب أن أضيف إلى معلوماتك: أنا أكثر أهل الأرض زهداً في هذه الدنيا!»

«يحق لزائر من الجنة أن يمزق الدنيا ويلقي بأشلائها في الهواء»

علّق إياد على حوار بنيامين وحسام معترضاً:

«أرجو أن تفهموا أيها السادة أنني لست الشخص المادي بينكم، والدي ملياردير، والنقود لا تعني لي أكثر مما تعني لكم، ولكنه عشق التحدي والإنجاز! ثم مالذي تقصده بأفظع جرائم البشرية؟! وما الذي تريده منا بالضبط؟!»

تناول بنيامين من جيبه عملة معدنية ذهبيه وبدأ يعبث بها أمامهم وهو يقول:

«حسنٌ.. حان الوقت لنتناقش في مشروعنا الحقيقي!»

تأمل حسام وإياد تلك العملة الذهبية الغريبة التي حملت نقشاً لجناحين يحيطان بالكرة الأرضية والرقم واحد وخطّت على محيطها حروف بارزة لعبارة GLOBAL POUND وواصل بنيامين:

«نحن يا أصدقائي نعيش في وهم محبوك، مخطط شيطاني بدأ منذ ألف سنة، وانتشر بسريّة إلى أن سيطر على العالم الذي نعيش فيه»

قاطعه إياد بنبرة لا تخلو من التهكم:

«أعتقد أنك من المهووسين بنظرية المؤامرة العظمى والماسونية والإلوموناتي و..»

تدخل حسام الذي بدا أكثر اهتماماً بما يقوله بنيامين:

«إياد.. أعتقد أن ما يقوله بنيامين يتجاوز النظريات التي تتحدث عنها»

واصل بنيامين كأنه لم يستمع لمداخلاتهما:

«سيد إياد، هل تستطيع أن تخبرني ماذا تعني المليارات التي يمتلكها والدك؟ هي مجرد أرقام في ذمة البنوك أليس كذلك؟ أنتم تثقون فيما تظهره البنوك من أرقام وأسعار لتبادل العملات، ماذا لو هبط سعر الدولار أو الريال أو أي عملة جمعت بها ثروتك للنصف، أو العُشر، أو حتى الصفر.. ماذا سيبقى من تلك الثروة؟ لماذا أجمعت شعوب الأرض التي لم تتوقف يوماً عن الحروب والتناحر إلا على شيء واحد فقط: النظام المالي العالمي؟ من يملك هذا النظام؟ من يسيطر على جميع البنوك الدولية؟ من يستطيع أن يحول ثروة والدك إلى ديون بنقرة زر؟»

«فرسان الهيكل..»

قالها حسام وهو يتأمل النافذة، فأجابه إياد:

«حتى أنت يا حسام متأثر بنظريات المؤامرة؟ اسمع، لقد شاهدت وقرأت كماً لا بأس به من الأفلام والكتب، وحفظت روايات دان براون عن ظهر قلب، لا أنكر أنها تتعرض لبعض الحقائق ولكنها تتكلف وتبالغ في الربط بينها بشكل يظهر الدنيا كلعبة بين يدي عصابة تسيطر على كل شيء»

واصل بنيامين:

«فعلاً، بدايتهم كانت كعصابة، عينتهم القوات الصليبية قبل ألف سنة كحرّاس لجبل صهيون ومنطقة هيكل سليمان، ولكنهم نبشوا الأرض واستخرجوا منها أهم كنوز الملك سليمان: بقايا المخطوطات! ولمّا سيطر صلاح الدين على الأراضي المقدسة عادوا إلى أوروبا واستخدموا العلوم التي حصلوا عليها ليحكموا قبضتهم على مدّخراتها المالية، ويتمكنوا بالتالي من التأثير على السلطتين الدينية والسياسية.. أنشأوا وقتها النظام المالي الجديد الذي يستعيض عن القيمة الحقيقية للأموال بالكريديت.. "الثقة" التي تمُنح بتصرفهم هم وإرادتهم للأوراق والأرقام. معادلتهم بسيطة: سيطر على الأموال، تسيطر على كل شئ!»

عقّب إياد على كلام بنيامين:

«ولكن فرسان المعبد تمّت محاربتهم وإحراقهم جماعياً في أوروبا إلى أن اختفوا..»

«بعد محاولات الإبادة لهم في أوروبا انتقل من تبقى منهم إلى إسكوتلاندا وأعادوا تنظيم صفوفهم وتعلموا من أخطائهم وأطلقوا على أنفسهم لقباً جديداً: البناؤون الأحرار.. The Free Masons.. وانتشروا منها ليحكموا قبضتهم على بنوك الدنيا وحكوماتها ومؤسساتها التعليمية والإعلامية والدينية!»

رفع بنيامين العملة الذهبية التي كان يعبث بها طوال الوقت أمام عينيه وقال:

«واليوم يسيطرون على الأموال الحقيقية! ثمانية أعشار الذهب على وجه الأرض تمتلكه المنظمات الماسونية، وهم على وشك تدمير العملات النقدية من خلال الأزمات الاقتصادية والحروب التي يهندسونها حتى يضطر العالم كله للخضوع لنظامهم الجديد وعملتهم: الجنيه العالمي: The Global Pound اسمحوا لي بتقديم النقود الحقيقية لكم»

قالها وألقى بعملة الـ 1GP فتشقلبت في الهواء إلى أن التقطها حسام وهو يقول:

«وما دخلنا نحن في كل هذا؟!»

كان رد بنيامين مباغتاً ومفاجئاً للجميع، فقد انطلقت قبضته كالقذيفة نحو وجه حسام، ارتطمت بخده فارتد حسام للخلف بعنف وغاص في مقعده بينما اقترب بنيامين بوجهه من وجه حسام وقال وهو يتفحص الكدمة بقرب عينه:

«هيا يا حسام.. العين بالعين.. انتقم مني.. أرني قواك الخارقة»

ابتسم حسام وهو يتحسس الكدمة، وبنيامين لم يرفع عينه عنها وهو يراقبها بذهول وهي تتحول من اللون الأزرق للأحمر للوردي وتتلاشى بسرعة.. قال حسام بهدوء دون أن تفارقه الابتسامة:

«أي عين تقصد يا صديقي؟»

جاء الجواب من إياد هذه المرة، ولكن على شكل ركلة نصف دائرية استقرت على وجه بنيامين وألقت بنظارته المعتمة في الهواء قبل أن تلتقطها يد بنيامين بسرعه ومهارة؛ وعقب إياد بزهو:

«صدقت! العين بالعين، ولكن يجب أن تهزم التلميذ قبل أن تنازل الأستاذ! حسام علمني فنون القتال التي تعلمها من بروس لي شخصياً»

لحظة الزهو التي غمرت إياد تلاشت فجأة عندما لاحظ ما كانت تخفيه تلك النظارات المعتمة التي يرتديها بنيامين طوال الوقت، التفت بنيامين نحوه ببطء ووضع نظارته في مكانها، ولثانيتين ظهرت عينا بنيامين، في الواقع لم تكن عينين، فإحداهما كانت وبالرغم من شكلها الطبيعي تفتقر لبريق الحياة، عين اصطناعية أكريليكية تجميلية، أما الأخرى فقد كانت شيئاً آخر تماماً!

قلوب الأطفال تمتلك مناعة فطرية ضد التوتر. براءتهم تلهيهم عن ما يدور حولهم، وإن كانت قلوب من حولهم تنزف توتراً وانفعالا؛ فجمانة والياسين كانا يلعبان بكل سعادة ومرح، في نفس الوقت الذي كادت فيه قلوب سوسن وحوجن وجماري ومرام أن تتوقف! جماري التي أحبت زوجها حتى كادت أن تضحي بحياتها وبفلذة كبدها من أجل الإنسية التي هوس بها، تراها الآن أمامها وجهاً لوجه، وبغض النظر عن العالم الذي تنتمي إليه، تظل الأنثى.. أنثى.. تلتهب غيرتها بدون أسباب، وعندما تشتعل لا تنطفئ أبدا. ولكن جماري خالفت القاعدة، شيء ما بداخلها اختلف عندما رأت سوسن، فتحولت نيران غيرتها إلى أنهار دموع، احتضنتها وانهارت بالبكاء، فشاركتها دموع سوسن ومرام. أما حوجن الذي كان أكثر الجميع قلقاً من تلك المواجهة وقف يراقب الموقف ويستمع إلى دموع جماري وسوسن. نزلت جماري على ركبتها أمام جمانة تأملت وجهها قبلت وجنتيها وعينيها وضمتها بقوة وكأنها ابنتها التي لم تنجبها. أما مرام فقد نست أنها تشاهد الجن بأم عينيها لأول مرة في حياتها، فحاولت تهدئة العواطف المضرمة:

«إش رأيكم نجلس وناخذ نَفَس، إنتو أكيد تعبانين من السفر»

نظرت إليها جماري وحاولت أن تخفي بقايا دموعها بابتسامتها وهي تقول:

«إنتِ أخت حسام صح؟»

«إنتو تعرفوا حسام كمان؟»

أجابها حوجن بعد أن جلس الجميع:

«إياد وحسام أعز أصدقائي، إحنا بنتقابل مرة أو مرتين كل أسبوع»

قاطعته سوسن بصوت لم يتخلص من حزنه ولا من عتابه:

«حوجن كيف حالك؟»

توتر حوجن الذي تمنى أن لا تشهد جماري هذه اللحظة، وأجابها بهدوء:

«الحمدلله زي ما إنت شايفه، كلنا بخير..»

«كيف حال أمك؟ وكيف حال جدك؟»

«جدي توفى، وأمي توفت بعده بثلاثة سنين نفس السنة اللي توفى فيها والدك.. الله يرحمهم»

«عظم الله أجرك يا حوجن..»

«وأجرك..»

تدخلت جمارى التي بدأت غيرتها في الاستيقاظ:

«أنا وحوجن وإلياسين مالنا غير بعض من يوم ما مات جده وأمه وأخوي زعنام»

«زعنام؟»

تساءلت سوسن وذاكرتها تحاول استحضار ذلك الاسم الذي يبدو مألوفاً، واكتشفت جمارى بعد فوات الأوان أنه لم يكن ينبغي لها أن تذكر اسم زعنام الذي كان السبب في جميع الكوارث التي حلت بها وبأسرتها. أعادت سوسن السؤال لتؤكد أنها قد تذكرت زعنام جيداً:

«إنتِ أخت زعنام؟»

تدخل حوجن ليجيبها:

«زعنام كان مخدوع، وفقد حياته وهو يحاول ينقذ جماري وابني إلياسين»

حاولت مرام مرة أخرى أن تلطف الأجواء:

«يعني طلعت جمعات حسام وإياد في الثلوثية والخميسية معاك يا حوجن؟ فين تروحوا؟ وإش تسووا»

التفت إليها حوجن وابتسم:

«من خمسة سنين وإحنا نتدرب»

«على إيه؟»

«نتدرب على إتقان التجسد والتلبس.. من جد اتعلمت من حسام وإياد أشياء كثير»

«أخوي حسام اتلمس من الجن؟»

«في حياتي ما شفت أحد هالته البنفسجية بقوة هالة حسام، الوحيد اللي يتحكم في كامل وعيه حتى وأنا متلبسه»

تساءلت سوسن وقد ذاب كل توترها وحزنها وعتابها:

«بس إنت قلت لي إنك ما تقدر تتجسد في عالمنا إلا لو..»

«إلا لو بعت نفسي للّعين وصرت مارد؟»

التفت نحو جماري وتناول كفها بحنان بين يديه وهو يقول:

«البركة في جماري، هي اللي علمتني أستخدم قدراتي»

احمّرت وجنتا جماري وأُشبع غرورها الأنثوي وهي تقول:

«أنا عرفت أتجسد وأنا صغيرة بسبب موقف حصل لي، وبعدها اتجسدت بأكثر من شكل، اتجسدت بشكل جمانة بنت خال إياد و..»

قاطعتها سوسن بشهقة:

«طلعتِ إنت جمانة؟! كان لازم أعرف!»

أجابها حوجن:

«جماري كانت رح تموت أكثر من مرة عشانك يا سوسن، اتجسدت في شكلك عشان توقف الساحر اللي كان رح يضحك على أبوكِ الله يرحمه.. وكان على وشك يذبحها»

فرت الدمعة مرة أخرى من عيني سوسن التي أدركت للتو حجم التضحيات التي قدمتها تلك الجنية من أجلها:

«عشان كذا إياد كان مصر يسمي بنتنا على اسمك! ماني عارفه كيف أشكرك يا جماري، من غيرك حياتي كانت بتضيع، ولا كنت اتزوجت إياد!»

اكتسى الخجل وجه جماري الإنسي الملائكي، التصقت بكتف زوجها أكثر وهي تقول:

«أشكري حوجن لا تشكريني أنا..»

تهربت من خجلها وهي تواصل:

«أنا وحوجن عندنا قدرة التنقل بين عالمنا وعالمكم، لكن قدراتنا تحتاج لتدريب وممارسة عشان نتقنها، الموضوع أصعب مما تتخيلوا، لكن مع التدريب يصير أسهل ونقدر نتقنه، بس بصراحة التواجد في عالمكم متعب جداً، كل شيء ثقيل، نحس بكتمه طول الوقت، وإلى الآن ما قدرنا نحافظ على تجسدنا إلا لفترات محدودة»

تأملت سوسن إلياسين الذي انهمك في اللعب مع جمانة وهي تقول:

«وإلياسين؟.. ما يتعب وهو متجسد؟»

ردت عليها جماري بابتسامة:

«إحنا اتجسدنا قبل ساعة تقريباً، نقدر نستحمل كمان ساعة أو ساعتين.. لكن الغريب إن إلياسين بالرغم من سنّه يقدر يتجسد بسهولة، وما يتعب أبداً من التجسد»

عقب حوجن:

«إلياسين ورث كل صفات الفيحيين، أنا سكلت بعيد عن ممالك الشياطين عشان خايف عليه منهم!»

مرام التي بدأت بالفعل تتحمس وفي نفس الوقت تصاب بالرعب من فكرة تجسد الجن سألت بفضول:

«وإحنا ما نقدر نروح عالمكم زي ما إنتو تجوا لعالمنا؟ ما حاولت تجربها مع حسام وإياد؟»

«حاولنا.. لكن التجربة كانت مرعبة جداً»

نزفت ذكريات سوسن، أطرقت رأسها وهي تقول:

«كل هذي السنين مخبيين عني السر إنت وإياد يا حوجن! عمري ما رح أسامحكم!»

«اللي حصل لك مو سهل يا سوسن، أي انفعال رح يسبب خطورة على حياتك، كان لازم نتأكد إنك تشافيتِ تماماً قبل لا نوضح لك كل شي! إياد أخذني لمخرج صاحبه في دبي وصورني وأنا أحكي كل التفاصيل في الفيلم اللي شفتيه»

تبادلت ابتسامة ماكرة مع مرام التي انطلت خطتها على حوجن وقالت:

«ما شفت الفيلم، مرام هي اللي أرسلت لك الرسالة من جوالي، على العموم إياد وعدني يوريني كل شي بعد ما نرجع»

بدأت الغيرة المتصاعدة بنهش قلب جمارى فقررت بتر حديث سوسن وحوجن:

«خلاص حصل خير، لازم نتفرج كلنا على الفيلم أول ما نرجع من باريس! بالمناسبة فين إياد وحسام؟»

«إياد وحسام جاتهم فرصة لتسويق فيلم سينمائي في هوليوود؛ سافروا عشان يحضروا اجتماع في نيويورك وراجعين بكرة»

أخرج حوجن الهاتف الذي أعطاه إياه إياد، وتعجب عندما ألقى نظرة على تطبيق تحديد المواقع الذي يربط هاتفه بهاتفي إياد وحسام، انتقل تعجبه إلى عبارته وهو يقول:

«معقول؟ رايحين أمريكا؟.. غريبة!»

كانت جمارى متوترة، ليس بسبب غيرتها من سوسن، وإنما بسبب حارس الأمن الذي كان يرمقهم من وقت لآخر ويتصل بهاتفه وملامحه لا تخفي عصبيته، غريزتها أخبرتها أن هناك خطر ما، نظرت بقلق ناحية جمانة وإلياسين حيث بدأت تعزف على البيانو وهو يتعلم منها ويشاركها معزوفتها، التفتت جمارى نحو حوجن وهمست بقلق:

«حوجن، شوف هذاك الحارس، شوف هالته، شوف الموظفة اللي تتكلم معاه، أنا قلبي مو متطمن أبداً»

شاركتها سوسن غريزتها وقالت بقلق:

«جماري إش فيه؟»

«الحارس كان بيراقبنا ويتصل بالتليفون، هو والبنت اللي معاه متوترين كأنه فيه مصيبه رح تحصل!»

اشتعل قلق سوسن، واشتعل معه قلق الجميع عندما أسرع ذلك الحارس وتلك الفتاة بمغادرة الفندق، فهتفت جماري:

«شفتوا؟ قلت لكم فيه شي مو طبيعي!»

ما إن قالتها حتى اقتحم بوابة الفندق شاب بملامح شرق أوسطية يرتدي سترة جلدية تبرز من خلفها نتوءات تفضح جسمه الملغم ويحمل في يده جهاز تحكم صغير بزر وحيد وصرخ قبل أن يضغط الزر:

«الله أكبر.. فزت ورب الكعبة!»

وضغط الزر..

ودوى الانفجار!

ثانيتان فضحتا ما كانت تخفيه نظارة بنيامين المعتمة، ثانيتان بترتا حماس إياد عندما رأى عين بنيامين التجميلية، والشئ الذي استقر في تجويف العين الأخرى. اكتظ ذلك التجويف بتركيبة معقدة جداً من المحركات والتروس الدقيقة اختبأت خلف قبة بلورية وحملت في وسطها عدسة مركزية، وعدستين أخرى جانبية. وضع بنيامين النظارة في مكانها ليخفي كل ذلك، وهب واقفاً وهو يقول:

«يبدو أن بديهة حسام أسرع من بديهتك يا إياد! لم أتعجب أنه لاحظ أنني أعمى منذ بداية لقائنا»

ارتبك إياد ندماً على ركلته التي أصاب بها شخصاً أعمى، ولكن بنيامين رفض ذلك الندم فانقض عليه وانهال عليه بالكلمات وهو يقول:

«سوف تندم إن نظرت إلي بهذه الطريقة مرة أخرى! لقد فقدت نظري، ولكن بصري أحد من بصرك بمراحل!»

كان يقول عباراته وإياد يحاول مواجهة لكماته التي نجحت بعضها في الغوص بين ضلوعه وتلوين فكيه، تلك اللكمات أقنعت إياد بأن بنيامين خصم لا يُستهان به أبداً بالرغم من اعتماده على عين واحدة اصطناعية، فاتخذ وقفة قتالية والتهبت معركة كونغ فو احترافية بينهما راحت ضحيتها الشاشة التلفزيونية الكبيرة ومعظم الأكواب والصحون التي كانت على الطاولة، ولكن المتفوق فيها كان بنيامين. قاطع حسام تلك المعركة بعبارته الهادئة:

«إذاً لهذا السبب نحن متجهون لهيكل سليمان!»

أجابه بنيامين وهو يلتقط أنفاسه ويعدل قميصه:

«لم يكن عندي شك أنك ستكتشف ذلك من بداية الرحلة.»

نظر إياد إلى النافذة بتوتر وهب فزعاً:

«ماذا ماذا؟ فعلاً نحن نتجه نحو خطوط الفجر.. نتجه للشرق!»

«نتجه لإسرائيل.. اعتبروها بلادكم الثانية»

قالها بنيامين وهو يتجه نحو كابينة القيادة فهب قائد الطائرة ليفسح له المجال، أدخل بنيامين أمراً محدوداً لأنظمة الطائرة باستخدام شيفرته، أمر لا يستطيع أحد أن يلغيه: سقوط حر يبدأ بعد ستين ثانية. وواصل بهدوء:

«هنا تنتهي رحلتنا أيها السادة، ستسقط الطائرة سقوطاً حراً بعد ثلاثة وخمسين ثانية!»

فزعت إليانا وهبت على الفور نحو الكابينة التي تحمل المظلات وارتدت واحدة وتناول الطيار الأخرى وأخذ بنيامين المظلات الثلاث المتبقية فألقى بواحدة لإياد، وارتدى الأخرى بينما بادرت إليانا بفتح باب الطائرة فور هبوط معدلات الضغط داخلها وأطلق بنيامين عبارته الرسمية الحازمة:

«سيد حسام، سيد إياد، مرحباً بكم في اختباركم الأول، نحن ندخل حيز سواحل إسرائيل، المهمة أن تبقوا على قيد الحياة!»

قفزت إليانا وتبعها الطيار وتوقف بنيامين عند بوابة الطائرة وهو يمسك بالمظلة المتبقية ويواصل بنفس النبرة الجادة:

«آه نسيت أن أخبركم، يجب أن تحافظوا على حياتكم بمظلة واحدة فقط!»

قالها، وألقى بتلك المظلة في الهواء.. وألقى بنفسه خلفها في نفس اللحظة التي بدأت فيها الطائرة سقوطها الحر نحو اليابسة وعلى متنها إياد وحسام ومظلة واحدة فقط!
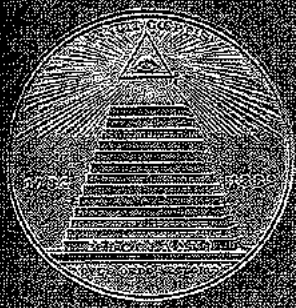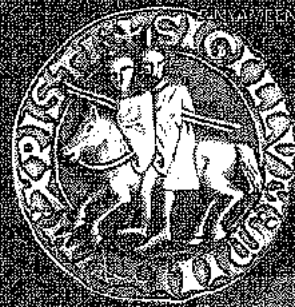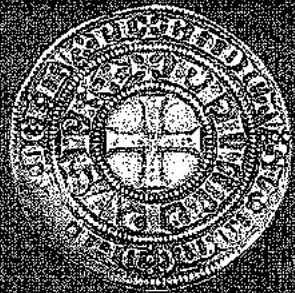
KNIGHTS TEMPLAR ORDER
The Structure of Freemasonry
BURNING OF MOLAY
SCOTTISH RITE
SCOTTISH RITE

(4)

هُنا.. أم هُناك؟

السكينة..

الطمأنينة..

السعادة غير المبررة..

مع القليل من الحيرة..

هذا هو المزيج الذي يشعر به كل من يأتي إلى هُنا.

جسدها المتراخي حملته الأمواج الهادئة، تدغدغ النسائم الخجولة أهدابها المطبقة وتدفعها برفق نحو الشاطئ لتودع وسادة الأمواج إلى وسادة الرمال الناعمة.. فتحت عينيها ببطء دون أن تفارقها ابتسامتها، رأتني واقفة أمامها، أبادلها الابتسامة، مددت يدي لأساعدها على النهوض، فاتسعت ابتسامتها، كنت متأكدة أنها ستعرفني! انزلقت قطرات الماء على ثوبها الحريري الأبيض وبدأت خطانا الحديث على رمال الشاطئ قبل أن نواصل نحن حوارها.. دفعتني لهفتي لسؤالها:

«كيف حال حسام يا مرام؟»

«إنتِ ملاك صح؟ عرفتك من لوحات حسام!»

مع أني أراقبه لحظة بلحظة، أكاد أن أحصي أنفاسه، لكنني أنثى، تذيب وجداني لهفتي على حبيبي ولهفته علي في كل مرة أراه، في كل مرة أسمع عنه.. ومرام أنثى أيضاً، عرفت ما يختلج بداخلي فطيبت خاطر لهفتي:

«ملاك.. حسام عايش معانا بجسمه، لكن روحه وعقله وقلبه هنا.. معاكِ إنتِ»

«حسام من جد وحشني!»

«يا بختِه»

«يا بختي أنا»

«ما تتخيلي قد إيش أنا مبسوطه عشانه، أكبر نعمة إنه ربنا يرسل لأحد ملاك يحرسه»

«النعمة إنه ربنا يرسل لك ملاك.. لكن النعيم إنك تكوني إنتِ الملاك وتعيشي حياتك كلها لحياة الشخص اللي يمتلك قلبك، ويسكن وجدانك»

استدركت مرام السؤال الأهم فبادرتني:

«ملاك أنا إش اللي جابني هنا؟.. أنا مُت؟!»

كانت ذاكرتها مضطربة ومشوشة، ولكنها سألت السؤال بعفوية، لم تكن للموت أي هيبة في نبراتها بعد أن أذابتها طمأنينة هذا المكان.

«لا يا مرام.. إنتِ ما مُتِّ.. للآن»

لم تتذكر مرام التفجير الانتحاري الذي وقع في بهو فندق الماريوت في الشانز إيليزيه، والذي دفع بجسدها نحو الحائط الرخامي ليتلقى رأسها تلك الاندفاعة العنيفة بحافتة ويبدأ بالنزيف. نسيَت كل ذلك، تأمّلت حولها.. الأ مواج، الطيور، الحدائق، وأبراج مدينة حسام في الأفق؛ ملأت رئتيها بالنسيم البارد المعطر بأنفاس الأزهار وانساب منها في تنهيدة بطيئة وهي تقول:

«حسام يحق له يتعلق بهذا المكان، وبكِ..»

«حسام ترك كل شي ورجع عشانك إنتِ يا مرام.. إنتِ كمان لازم ترجعي له. حسام أمانة عندك، إنتِ ملاكه في الدنيا، وأنا ملاكه هنا..»

لم تسمع آخر كلماتي، فقد تلاشت من أمامي.. تماماً كما تلاشى حسام من بين يدي.

البقاء..

كلمة واحدة تختزلكم! كلمة واحدة تفرق بين حياتكم في دنياكم.. عالم الزوال، وحيواتكم الأخرى في عوالم الخلود؛ تختزل جميع همومكم وأحلامكم وغرائزكم. كل شهوة مركبة فيكم جسمانياً ووجدانياً إنما هي ردة فعل لتلك الغريزة الأم.. تلك الشهوات التي تلهثون خلفها: المال والجاه والسلطة والأبناء والعلاقات العاطفية.. هي مجرد أدوات في صراعكم الدؤوب من أجل ذلك البقاء.. البقاء الذي يجعلكم تتشبثون بأذيال الحياة حتى وأنتم تودعون آخر أنفاسكم فيها.

ولكن..

هناك بقاء من نوع آخر، البقاء من أجل من يستحق.. شتان ما بين الصراع من أجل البقاء على قيد الحياة، والاستماتة لتبقى مع من تحب.. ولمن تحب. هذا النوع من البقاء أقوى وأعمق بكثير من البقاء الغريزي الذي يشترك فيه البشر مع جميع الكائنات. هذا النوع هو الذي يتحدى المسلّمات.. ويصنع المعجزات!

هزّ الانفجار أركان بهو فندق الماريوت ومزقت أصداؤه هدوء الشانز إليزيه في ساعات الفجر الأولى، غادرت المسامير والكرات الحديدية المسننة الحزام الناسف بفعل تفجر جزيئات مادة C-4 في كل اتجاه بسرعة ثمانية آلاف متر في الثانية.. بعبارة أخرى كانت لا تحتاج تلك الشظايا إلى أكثر من جزء من من الثانية لاختراق جسدي جمانة وإلياسين اللذين كانا يعزفان على البيانو في منتصف القاعة.

ولكن إلياسين كان أسرع!

رغم جسده الصغير الذي لا يكاد يظهر من خلف البيانو، أطلق صرخته المدوية ودفع البيانو بيد واحدة وكأنه يلقي بلعبة لم تعجبه، وأحاطت ذراعه الأخرى بجمانة.. نصف طن من خشب القيقب انقلب وانزلق نحو الانتحاري مكوناً حائط حماية لم يلبث أن تهشم بفعل موجات الانفجار التضاغطية وأضافت أشلاؤه المزيد من الشظايا القاتلة المنطلقة نحو جمانة وإلياسين.. ولكنها تأخرت.

ففي جزء الثانية الذي تلت صرخة إلياسين لم يعد لجسده ولا لجسد جمانة وجود في عالمنا!

موجات الانفجار دفعت بأجساد سوسن ومرام بينما انتقل حوجن وجماري لا إرادياً إلى البعد الآخر، بُعد الجن، مما خفف الصدمة عليهما، وامتصت المقاعد الجلدية ارتطامة جسد سوسن، أما مرام فكانت أقل حظاً من الجميع، استقبلتها حافة الحائط فشجت رأسها وسقطت وسط دمائها؛ انقطع التيار الكهربائي والتهم الظلام كل شيء باستثناء البقع التي اشتعلت فيها النيران. كانت جماري تصرخ بجنون وهي تبحث عن إلياسين بين النزلاء الذين تكدّسوا بهلع أمام البوابة لينفذوا بجلودهم، تمزق قلبها وهي تنبش البعدين المادي والجني؛ كاد حوجن أن يلحق بها لولا أن اقتحم البهو عدد من الجنود يرتدون بدلات سوداء مقاومة للحرارة، وأقنعة واقية مزودة بمناظير تمكنهم من الرؤية من خلال الظلام والدخان الذي التهم المكان؛ هبطوا من قبة البهو الزجاجية متعلقين على خطافاتهم وانطلقوا نحو هدفهم المحدد: سوسن ومرام.

كانوا خمسة جنود، يحمل كل منهم كيساً جلدياً على كتفه، توزعوا في أماكن معينة وأخرجوا ما بداخل تلك الأكياس.

خمس جثث.. رجلان وسيدتان وطفلة، جميعها متفحمة. ذلك ما كانت تحتويه الأكياس، خمس جثث تضليلية لإلياد وحسام وسوسن ومرام وجمانة.

وزعوا الجثث بوضعيات مدروسة، واقترب أحدهم من مرام يتفحصها ليتأكد من هويتها قبل أن يحملها على كتفه وينطلق نحو خطافه ليثبته في حزامه وينزلق عائداً من حيث أتى. لم يستوعب حوجن مالذي يحدث، ولكنه أدرك أن هؤلاء المقنّعين لم يأتوا لإنقاذهم. بالرغم من أنه استنزف طاقته بسبب تجسده في عالم الإنس لعدة ساعات، استجمع كامل قوته وانطلق ليلحق بالجندي الذي يحمل مرام، تجسد للحظة وأطلق قبضته نحو المنظار المثبت في قناعه وفتح بيده الأخرى صمام الخطاف في حزامه وتلقف في نفس اللحظة جسد مرام وأنزلها برفق على أحد المقاعد بينما تلقّت الأرض الرخامية جسد الجندي الذي وقع من ارتفاع عشرة أمتار. أصيب الجنود بحالة فزع لبضع ثوان ثم عادوا لإتمام مهمتهم، تقدم أحدهم نحو سوسن التي بدأت تستعيد وعيها وتسعل بسبب الدخان، وقبل أن يقترب منها أطبق حوجن بيده على الجزء الظاهر من رقبته وخلع قناعه الواقي باليد الأخرى، فبدأ الجندي بالتخبط والترنح، وأدرك باقي الجنود أنهم في مواجهة خصم غير مرئي، سقط الجندي على الأرض فأسرع باقي الجنود بحمل جسدي زميليهما اللذين أرداهما حوجن وغادروا الفندق بسرعة عبر سقفه الزجاجي قبل أن تصل قوات الطوارئ الفرنسية.

اقترب حوجن من سوسن وهمس بجوار أذنها..

«سوسن.. سوسن! خليكِ صاحية.. لازم أتلبسك!»

السقوط الحُر باختصار هو أن تتوقف محركات الطائرة عن العمل فتتحول بالتالي من آلة طيران إلى كتلة من المعدن المندفع بأقصى سرعة نحو الأرض. انحرفت الطائرة بشكل مباغت وبدأت رحلة "السقوط" بزاوية حادة فاختل توازن إياد ودفعه القصور الذاتي نحو مؤخرة الطائرة لولا أن التقطته قبضة حسام من حزام المظلة التي ارتداها في آخر لحظة بينما استطاع أن يتشبث بيده الأ خرى بحافة باب الطائرة المفتوح. كادت عضلات وأعصاب ذراعه أن تتمزق وهو يسحب إياد بيد واحدة متحدياً قوانين الجاذبية والقصور الذاتي والتسارع.. ونجح! أمسك إياد بطرف باب الطائرة واستجمع قواه ليدفع جسده من خلاله بينما كان عداد ارتفاع الطائرة يتقهقر بجنون من عشرة آلاف قدم.. إلى خمسة آلاف.. إلى ألف قدم..

اتخذ حسام قراره.. سيُعيد إياد إلى سوسن وجمانة، ويعود هو إلى هنا.. إلي أنا. أفلتت أصابعه حافة الباب ليهوي مع الطائرة ويجبر إياد على النجاة بحياته، ولكن إياد رفض قرار حسام، بالرغم من أنه قد يدفع حياته ثمناً لذلك الرفض! فأمسك بحسام بكل قوته قبل أن يندفع داخل الطائرة. وفتح المظلة فكانت قوة اندفاعها كافية لانتشال حسام وتمزيق بعض عضلات ذراعي إياد الذي أبى أن يتخلى عنه.. ولكن..

انفتحت المظلة وهم على ارتفاع يتجاوز المئتي قدم بقليل، وهي مسافة لا تكفي لامتصاص ارتطامة شخص واحد بالأرض.. ناهيك عن شخصين.

وهنا يأتي دور اللطف الرباني، ففي نفس اللحظة التي تحطمت فيها الطائرة على صخور سواحل حيفا، تلقفت أمواجها حسام وإياد لتخفف من عنف ارتطامتهما وتزيد من فرصة بقائهما على قيد الحياة.. قليلاً.

الأرواح تتعارف، تتآلف، وتتقارب في بُعدها الأسمى متجاهلة الحواجز التي تفرضها العوالم المادية.. والرابط الذي يجمع روح سوسن بروح حوجن جعلها تستجيب له بكل سهولة رغم الإعياء والتعب والخوف والقلق، كانت تفقد وعيها بالتدريج مع كميات الدخان التي استنشقتها، ومع ذلك فهمت مغزى حوجن وأومأت برأسها إيجاباً ولم تمض ثوانٍ قليلة حتى سيطر حوجن على جسد سوسن فهبّت واقفة وكأنها استعادت عافيتها فجأة، وحملت مرام بكل سهولة على ذراعيها وانطلقت بها لتلحق بنزلاء الفندق الذين غادروه بهلع، لم يكونوا بحاجة صافرات الإنذار التي دوّت بعد اندلاع الحريق، فقد تكفل صوت الانفجار بإيقاظهم وبث الرعب في قلوبهم جميعاً، انتشرت قوات الأمن ووحدات الإسعاف في كل مكان، اندفع حوجن بجسد سوسن وهي تحمل مرام نحو المسعفين الذين حملوها إلى إحدى سياراتهم بعناية وحاولوا إيقاف سوسن لفحصها، ولكن حوجن كان في قمة القلق على إلياسين وجمانة، كان يجول ببصر سوسن في العالم المادي وببصره في البعد الجني.. حتى لمح جمانة جالسة على عتبة مبنى قديم في الشارع المقابل وبجوارها جمارى تحتضن إلياسين؛ اجتاز الشارع بسرعة وحمل جمانة وهتف بجمارى التي كانت في البعد الجني لتحمل إلياسين وتتبعه،

وتوجه إلى سيارات الإسعاف وتخلى عن جسد سوسن فسقطت أمام المسعفين ليحملوها هي وجمانة وانطلقوا بهما إلى المستشفى دون أن يلاحظ أحد أن هناك جني وزوجته وابنهما برفقتهم.

«إش حصل يا حوجن؟!»

همست بها جماري وهي تحتضن إلياسين وكأن المسعفين الذين يجلسون جوارهم في الإسعاف يستطيعون سماع الأصوات في بعد الجن؛ فأجابها حوجن:

«ما أعرف يا جماري، أهم شي ربنا لطف!»

«أي دين وأي مذهب يخلي أحد يفجر نفسه ويقتل غيره بدون أي ذنب؟!»

«السياسة النتنة!»

«هاه؟!»

«السياسة النتنة هي الديانة الوحيدة اللي ممكن تقنع أحد إن الله وعد المجرمين والسفاحين بجنات وحور وأنهار خمور»

مسح بيده على رأس إلياسين الذي نام ببراءة في أحضان والدته وواصل:

«قلبي كان حيوقف من الخوف على إلياسين، ماني قادر أصدق كيف طفل في سنّه قدر ينتقل بهذي السرعة للبعد الثاني وكمان ينقل معاه آدمية!»

ألقى بنظرة سريعة إلى جمانة التي أرخت برأسها على المسعف الجالس بجوارها ثم التفت إلى جمارى وقال:

«شوفي جسمك كيف مكسر، شوفي يدي ورقبتي تنزف، كل هذا حصل لنا من تأثير الانفجار مع إننا رجعنا لبعدنا!»

فحصت جمارى بدورها إلياسين وجمانة وشاركته الذهول:

«فعلاً إلياسين وجمانة ما تأثروا بشئ أبداً!»

ازداد احتضانها لإلياسين، لم تكد تسمع حوجن وهو يقول:

«ابننا يحمل قدرات أجدادنا كاملة يا جمارى، يقدر ينقل البشر لبعد الجن بدون ما تتأثر أجسامهم!»

استمرت ذراعا بنيامين بنبش مياه المسبح لساعتين متواصلتين وانطلق جسده النحيل بعضلاته المفتولة كالطوربيد يجوب أطراف المسبح ذهاباً وإياباً. كان المسبح البيضاوي يحتل معظم مساحة مكتبه الذي لم يكن فيه سوى مقعد جلدي أسود بجواره طاولة زجاجية صغيرة عليها نظارته المعتمة وقلادة حصان الشطرنج المعدني الأسود المزين بنقوش مزجت فنون الحضارات التي تعاقبت على أوروبا. طرقت إليانا الباب برفق فهتف بنيامين منزعجاً:

«ادخلي يا إليانا»

دخلت إليانا بهدوء ووضعت المنشفة التي تحملها على المقعد:

«سيد بنيامين، الاجتماع سيبدأ بعد خمس دقائق»

«سحقاً!»

وثب بنيامين وثبة رشيقة من المسبح متجاهلاً السلم المعدني في طرفه، وضع المنشفة على كتفه وأخذ طرفها ليمسح القطرات على عدسات عينه الاصطناعية قبل أن يتناول نظارته وقلادته من على الطاولة وتقدم نحو الباب فهتفت إليانا:

«سيد بنيامين، لقد جهزت لك ملابس تليق بالاجتماع»

«هذه المنشفة تليق بهم وأكثر!»

تبعته بلا اعتراض، خرج من مكتبه التابع لوحدة (إسرائيل الغد) السرية التي تأسست بجهود مشتركة ما بين جيش الدفاع الإسرائيلي والأمن القومي الإسرائيلي (الشاباك) وجهاز الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) ومحفل البيت اليهودي في نهاية عام ٢٠١٢م واستقرت في مقرها السري المكون من مجموعة وحدات تختبئ تحت سواحل بحيرة طبرية وفي قلب جبل أربيل المطل عليها. أعضاء وحدة إسرائيل الغد يجمعهم التطرف اليميني الذي يغلفونه إعلامياً ببعض شعارات الديموقراطية والسعي للسلام. جميعهم باستثناء بنيامين التحقوا بالخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي قبل تقلدهم لمناصب مرموقة وحساسة في الكنيسيت والوزارات الإسرائيلية. جلس بنيامين في الكبسولة التي انطلقت عبر ممر يخترق الجبل نحو الوحدة المركزية وجلست إليانا بجواره والقلق يمزقها:

«سيد بنيامين، أنت تقتل نفسك! لم تذق طعم النوم منذ أن بدأت هذه المهمة»

«وهل ذقتِ طعمه أنتِ؟»

«سيد بنيامين لم تمض ساعات منذ أن عدنا لإسرائيل كان الأحرى أن..»

قاطعها بصرامة حطّمت خاطرها:

«إليانا.. توقفي عن لعب دور أمي أرجوكِ، أخبريني من سيحضر الاجتماع؟»

لملمت إليانا حطامها وأجابته بنبرة رسمية:

«يوڤال ستينتس، نفتالي بينيت، داني شنايتزر، راباي إلي بن دحان..»

قاطعها بنيامين:

«جوقة الأوغاد.. وماذا عن تسيبي ليڤني؟»

«تسيبي ليڤني سترأس الاجتماع، إنها غاضبة، غاضبة جداً»

«انتظري لتريها بعد الاجتماع»

تخلت إليانا عن الحواجز الرسمية وأمسكت بيده وقالت بتوسل:

«بنيامين.. أرجوك.. من أجلي لا تتهور!»

«حاضر»

فرحَت بها وابتسمت بالرغم من أنه قالها باقتضاب ولكن ابتسامتها لم تلبث أن تلاشت عندما واصل بتهكم:

«يا أمي!»

دخل بنيامين قاعة الاجتماعات حافياً وطبعت بقايا مياه المسبح خطواته على الأرضية الرخامية السوداء وجلس في مكانه على الطاولة السداسية دون أن يلقي تحية ورفع رجليه على الطاولة وقال وهو يمسح أذنه بالمنشفة ويفرك أصابع قدميه ببعضها أمام الحضور:

«المعذرة على تأخري أيها السادة، فكما ترون لقد اضطررت للعودة من فرنسا سباحة»

«أتمنى أن تكون قد أحضرت معك ما يبرر إهدارك لخمسين مليون شيكل في يومين!»

قالها يوفال الذي تخضرم في رئاسة خمس وزارات إسرائيلية بنبرة هادئة لا تكاد تخفي غضبه، فأجابه بنيامين بتعجب مصطنع:

«لقد أرسلت لكم التقرير المفصّل ألم تقرأوه؟!»

فقد داني نائب وزير الدفاع السابق أعصابه وهو يهتف:

«لم ترسل لنا سوى خمس كلمات: تحطمت الطائرة، لا يوجد ضحايا.. أتسمي ذلك تقريراً؟!»

«بالطبع سيد داني، مهمتي كانت إحضار إياد وحسام، وهما الآن يتلقيان العناية اللازمة في الوحدة الطبية.. أما تحطم الطائرة فهو جزء من المهمة، أعلم تماماً أنني أنفقت إثنين وستين مليون ومئتين وثمانية عشر ألف وأربعماءة وواحد وعشرين شيكل من ميزانية المشروع التي لن يتم إنفاقها قبل أن أحقق النتائج»

«هه.. نتائج..!»

قالها داني بعصبية متهكمة فرد عليه بنيامين:

«نعم.. نتائج يا سيد داني. هل حققت أنت أي نتائج؟ أصريت على إحضار الفتاتين والطفلة بالرغم من تحذيراتي، ولم تحضر لنا سوى جثتين لمرتزقتك وضجة إعلامية في جميع المحطات التلفزيونية والصحف العالمية وإحراج لحكومة إسرائيل مع الحكومة الفرنسية!»

تفاقم انفعال داني وهو يبرر:

«لم تتورط حكومتنا! المهمة تمت تحت غطاء عمل استشهادي إسلامي»

«سيدي الحكومة الفرنسية ليست ساذجة، وستار الجماعات الإ سلامية المتطرفة لم يعد يصلح سوى لأفلام التسعينات! الكل يعلم أن زعماؤهم يشاركونكم محافلكم! ثم أنت لم تجبني بعد: هل حققت هدفك البطولي؟ هل استطعت أن تحضر الفتاتين والطفلة سيد داني؟»

تدخّل نفتالي لينقذ داني:

«وأنت كدت أن تودي بعشرات الأرواح، ولكن لحسن الحظ تحطّمت الطائرة في منطقة غير مأهولة من سواحل حيفا!»

«أعرف بالضبط إحداثيات البقعة التي تحطمت عليها الطائرة، نسبة وجود إنسان في نفس المكان أثناء تحطم الطائرة كانت أقل من واحد في الألف، وهي نسبة سلامة جيدة»

كانت إجابات بنيامين الدقيقة الباردة ذات النبرة الآلية تثير جنون الجميع.. ما عدا تسيبي التي اتكأت بذقنها على كفيها بدون أي تعليق.

«بالفعل، أنت لم تخاطر سوى بحياة اثنين من الجنتايل»

كانت هذه مداخلة الراباي إلي بن دحان التي قالها بنبرة جادة من خلف قلنسوته ونظارته ولحيته الكثة، فالتفت نحوه بنيامين بحدة وقال:

«البشر بشر يا حضرة الراباي! لسنا بحاجة خرافاتك التلمودية!»

«بنيامين إحذر! هذه سخرية بثوابتنا الدينية!»

«أتسمي الخرافات والنعرات العنصرية الشاذة التي فبركها أسلافك الرابايون بسبب عقدة الاضطهاد أثناء السبي البابلي ونسبوها لإلههم ديناً؟!.. آسف فمن يقتنع أن خالق الأكوان بهذه العنصرية والوحشية لا يستحق أن ينسب نفسه للبشر، ناهيك عن رب البشر!»

احمر وجه الراباي وهو يصرخ:

«كيف تجرؤ؟! ألا تعرف جزاء من يتطاول على الراباي؟!»

«(ومن يعصِ الراباي فجزاؤه القتل وسيخلد في الجحيم) إيروبين 216. هل تريدني أن أسرد عليك باقي النصوص التي لفقها أسلافك لينصبوا نفسهم أوصياء على البشر بحجة تمثيلهم للذات الإلهية على الأرض؟»

صرخ نفتالي مدافعاً عن معلمه الرباي بن دحان:

«لقد تجاوزت جميع الحدود! من الواضح أنك عدوٌّ لليهودية والسامية!»

أطلق بنيامين ضحكة مستفزة وهو يقول:

«لو رآكم سام لبصق عليكم! بالطبع أنا عدوٌّ لكل فكرٍ متطرفٍ مقيت! أنا عدوٌّ للصهيونية المقرفة! أشمئز منها كما يشمئز منها ملايين اليهود الشرفاء، ثم ما علاقة الخزر والإشكناز بالساميين وبني إسرائيل؟!»

«كفى!»

أول كلمة نطقتها تسيبي ليفني، كانت كافية لإسكات الجميع، ساد الهدوء لعدة لحظات، لم يتخلله سوى تمتمات الرباي الذي يستغفر من شناعة ما سمعه من بنيامين. مزقت تسيبي ستار الصمت الذي أسدلته وهي تقول بضجر:

«ليس لدي وقت لماركِكم الصبيانية! بنيامين ادخل في صلب الموضوع!»

أشار بنيامين لإليانا التي تقف خلفه، فحركت أناملها على حاسبها اللوحي وظهرت صورة على الشاشة الكريستالية الضخمة المقابلة لتسيبي ليفني وعلى الشاشات الصغيرة أمام كل من الحاضرين، صورة تخيلية لهيكل سليمان، وبدأ بنيامين بالشرح:

«تعرفون الهيكل..»

«هيكل أمي»

همس بها داني بسخرية، تجاهل بنيامين سخافته وواصل:

«من هنا وقبل ثلا ثة آلاف سنة حكم الملك سليمان العالم، وسخرت له جميع الإمكانيات المادية والعلمية وتحالفت معه جميع العوالم، ولكن الأطماع اشتعلت بعد موته فضاعت المملكة وتشتت بنو إسرائيل، والأخطر من ذلك.. ضاع أهم كنوزه: العِلم»

«أي طفل في إسرائيل يحفظ هذه المعلومات التاريخية»

قالها نفتالي معترضاً، ولكن يوفال الذي بدا أكثر اهتماماً عقب قائلاً :

«استمر يا بنيامين.. واختصر لو سمحت»

أشار بنيامين لإليانا فغيرت الصورة وظهر مشهد وحشي لمجموعة من جنود الصليبيين يذبحون الناس وحمرة دمائهم امتزجت بحمرة الصلبان المطرزة على ستراتهم البيضاء، وواصل بنيامين:

«ولم يظهر شئ من علوم مملكة سليمان إلى أن نبش حفنة من المرتزقة الصليبيين الذين يسمون أنفسهم حراس الهيكل الأطلال من تحته واستخرجوا مخطوطات الزوهار والقبالة، وعادوا بها إلى أوروبا بعدما طردهم صلاح الدين، ولم يجدوا سوى حاخامات يهود الإشكناز ليفكوا شيفراتها، وكانت تلك بداية الكارثة»

«نحن نضيع وقتنا في الاستماع إلى هذا المسخ الأعور»

قالها داني بضجر فالتفت إليه بنيامين وقال:

«نصيحة أخوية: لا تناديني بالأعور، ولا تنسى أن هذا المسخ هو الذي رشح إسرائيل لتقود العالم في أبحاث الـ Quantum Neural Decoding ونجح لأول مرة في فك شفرة الأوامر العصبية وتحليلها وبرمجتها وبثّها بدقة كأنها صادرة من الدماغ، لقد فقدت بصري واستطعت أن أبتكر عيناً اصطناعية.. أتمنى أن يحالفك الحظ أنت أيضاً وتنجح في ابتكار مخ اصطناعي لتستخدمه»

ألجمت سخرية بنيامين داني بغضبه، وتدخلت تسيبي:

«الجميع هنا قدموا الكثير من التضحيات من أجل الوطن!»

التفت إليها بنيامين وقال:

«تضحيات ضباط الجيش الإسرائيلي الذين يقيسون بطولاتهم بكميات الدماء التي يريقونها!»

«لقد كانوا يخاطرون بحياتهم لكي تعيش أنت وباقي الإسرائيليين بسلام في مجتمع محاط بالإرهابيين»

«نعم نعم، لن ننسى تضحيات تدمير بيوت المدنيين وسحق الأطفال الإرهابيين في حربَي غزة»

أشاحت بوجهها عندما ذكرها بمذبحة غزة التي قادتها بتوجيه من أرييل شارون وواصل بنيامين موجهاً حديثه للجميع:

«لقد أثبت لنا التاريخ أن الدماء لا تبني دولة، عصر الرصاص قد انتهى أيها السادة، نحن في عصر السباق العلمي والحرب التكنولوجية، وهذه أقوى نقاط تفوقنا!»

«وهذا الذي يجعلنا نحتمل هراء مسخ أعور مثلك! هيا لا تضيع وقتنا يا ابن الـ...»

لم يكن في حسبان داني عندما نطق عبارته أن بنيامين يستطيع أن يثب من فوق الطاولة في الفترة الزمنية التي تفصل بين حرفي اللام والعين وأن يكيل له لكمة مدوية قبل أن ينطقها:

«هذه لأنك ناديتني بالأعور مرة أخرى»

التفّ حوله بعد أن باغته بلكمته وطوق بذراعه حول عنقه بإحكام وحشر سبابته وإبهامه في فمه وأطبق على لسانه وواصل بنيامين بكل هدوء قبل أن يستوعب داني المفاجأة:

«ولأ نك فكرت أن تشتم والدتي فسأقتلع لسانك، لا تقاوم كي لا يزداد شعورك بالألم»

انغرست أظافر بنيامين في لسان داني الذي كان يضرب بذراعيه للخلف محاولاً الإمساك ببنيامين والإفلات من قبضته، واستفاق الحضور من ذهولهم فهب نفتالي ويوفال لتخليص داني ودخل اثنان من رجال الأ من واستطاعوا فك الا شتباك وتكبيل حركة بنيامين وحركة داني الذي انقض على بنيامين والدماء تنزف من لسانه وفمه وهو يصرخ ويزمجر بلدغة سببها جرح لسانه:

«سأقتلك! أقسم أن أقتلك بيدي وأن أحتفظ بعينك هذه كمنضدة لسجائري أيها المسخ.. الوغد.. اللعين»

استمرت شتائمه وهو يغادر غرفة الاجتماعات، وتناول بنيامين المنشفة التي سقطت عن كتفه ليمسح الدماء عن أصابعه بتقزز.

«أتمنى أن يكون ما ستطلعنا عليه يبرر بجاحتك ويستحق هذا الاستعراض السخيف»

قالتها تسيبي التي لم يبد عليها الاكتراث بمعركة بنيامين مع داني، فتجاهلها بنيامين وهو يشير لإليانا فظهر على الشاشة شعار عبارة عن عين تتوسط فرجار ومسطرة قائمة الزاوية:

«وكنتيجة لتحالف حراس الهيكل وحاخامات يهود الإشكناز، تكونت أدهى مجموعة سرية على مر التاريخ: الماسونيون الأحرار الذين تمكنوا وفي فترة وجيزة من إحكام مخططاتهم على كوكب الأرض وتسخير مدخراته لليهود الذين لا يتجاوزون إثنين في الألف من تعداد البشر»

«هذا وعد ربنا لنا»

قالها الراباي بن دحان فأجابه بنيامين:

«مخططات الحروب، السيطرة المطلقة على الإعلام العالمي وتسخيره للتعتيم والبروباغاندا لمصلحة المخطط الصهيوني، شراء ذمم رؤساء الدول وأصحاب النفوذ بالمال والسلطة والنساء، الاستحواذ على الذهب والألماس وأسواق المال والتجارة العالمية.. وغيرها من القذارات لا يمكن أن تكون جزءاً من مخطط إلهي! حتى الشيطان يخجل أن ينسبها لنفسه!»

«الغاية إعادة أمجاد بني إسرائيل وتحقيق وعد الله»

التفت بنيامين للراباي وأجابه:

«نسيت أن تلمودك أقنعك أن غير اليهود لا يحتسبون من ضمن البشر، وأن الغايات تبرر أقذر الوسائل»

أشار بنيامين فقلبت إليانا مجموعة من الصور على الشاشات تبين مشاهد لحروب وصراعات ومظاهرات وأعمال عنف:

«وكما تعلمون قد حقق التخطيط الماسوني معظم أهدافه ولم يعد يواجه سوى تهديدين: شبكات التواصل الحرة التي حطمت قبضتهم الإعلامية، والطفرات العلمية التي تبتكر بدائل للثروات التي يسيطرون عليها»

نقلت إليانا صورة جديدة على الشاشات.. صورة إياد وحسام:

«وهذه هي مهمة فريقي الأساسية: دراسة الظواهر الخارقة والتوصل لتفسيرات علمية لها وتطويرها لتحقيق السبق العلمي لمصلحة الوطن؛ قبل خمس سنوات انتشر خبر الشاب العربي الذي تعرض لحادث واكتسب قدرات غير طبيعية بعد أن شارف على الموت، عكفنا على مراقبته ودراسة حالته»

أشار إلى إليانا، فانتقلت الصورة إلى مشهد يظهر فيه حسام وإياد وهم يتدربون على فنون القتال في ساحة قصر منصور الزايدي والد إياد:

«أثناء دراستنا لحالة حسام، اكتشفنا ظاهرة أخرى أكثر غرابة»

لم يكن مشهد الفيديو واضحاً، فطفرة أقمار المراقبة الصناعية كانت لا تزال في بداياتها. شعروا أن بروس لي قد عاد إلى الحياة وهم يراقبون تحركات حسام، وكان إياد يجاريه في حركاته السريعة بشكل أدهش الجميع، أنهى حسام المعركة بركلة جانبية حلقت بإياد لعدة أمتار قبل أن يسقط على ظهره وانتهت اللقطة عندما عاود النهوض على قدمية:

«هل لاحظتم أيها السادة؟»

قالها بنيامين، فأعادت إليانا مشهد نهوض إياد بالحركة البطيئة، كان يمد يده للهواء وكأن شخصاً يقف أمامه ليساعده على النهوض، وفعلاً نهض عندما سحب ذلك الشخص اللا مرئي ذراعه، فاندهش جميع من في الاجتماع؛ أشار بنيامين إلى إليانا لتعرض لقطة أخرى حصلت عليها من تسجيلات الكاميرات المثبتة على أقنعة جنود القوات الخاصة الذين حاولوا اختطاف سوسن ومرام وجمانة في فندق الماريوت. اللقطة كانت قصيرة جداً، دارت نحو صرخة الجندي الذي كان يحمل مرام وسقط على الأرض بعنف بينما هبط جسد مرام بهدوء على إحدى الكنبات وكأن شخصاً خفياً يحملها. علق بنيامين قائلاً :

«عندي عشرات الأدلة التي تثبت أن هناك لغز يحوم حول حسام وإياد لو توصلنا إليه فسنكون على أعتاب ثورة علمية هائلة»

عرضت إليانا المشهد التالي، خريطة تعقب تظهر عليها نقطة مضيئة علق عليها بنيامين:

«هذه النقطة المضيئة صادرة من جهاز التعقب في الإسورة التي أعطيتها لجمانة ابنة إياد، وهي كما ترون في منتصف فندق الماريوت»

اختفت النقطة فجأة وظهرت في نفس الوقت في مكان آخر على الخريطة:

«وفي نفس لحظة الانفجار اختفت الطفلة جمانة وظهرت بعد ثلاث ثوان في نقطة تبعد مئتين وخمسين متراً!»

سرت همهمة في قاعة الاجتماع قبل أن يقول يوفال:

«وهل لديك أي تفسير لكل هذا؟»

«لست متأكداً، لكن جميع المعطيات تشير إلى أن حسام قد اكتسب قدرات تفوق بكثير ما تناقلته وسائل الإعلام، أعتقد أنه وبوسيلة ما استطاع أن يتواجد في أكثر من مكان في نفس الوقت أو أن يتنقل في أبعاد متوازية»

تفاوتت ردود أفعال الحضور مابين الاستهجان والسخرية، فيما عدا تسيبي التي بلغ فضولها ذروته فواصل بنيامين:

«هناك إشارات جليّة لظواهر التعامل مع العوالم الأخرى والانتقال الآني فيما نُقل عن الملك سليمان، أنا متأكد من أن كتبه تحمل الكثير من تلك العلوم والأسرار.. جميع الاكتشافات العلمية التي توصلنا إليها بواسطة الزوهار والقبالة لا تكاد تذكر مقارنة بما لم يتم الكشف عنه بعد. أعتقد أن هناك من سبقنا إلى المزيد من علوم مملكة سليمان ونقلها بطريقة ما إلى حسام أثناء غيبوبته، مهمتي هي إيجاد الحل لهذا اللغز»

«الآن فقط أثرت اهتمامي!»

قالتها تسيبي فاقترب بنيامين بوجهه منها وقال:

«سأحرص على إثارة اهتمامك دائماً سيدتي، فأنا متأكد من أنني سأموت في ظروف غامضة في اللحظة التي أفقد فيها اهتمامك بي»

«عينك الاصطناعية مطفأة طوال الاجتماع.. لماذا؟»

«لا أعتقد أن أحداً غيرك قد لاحظ غياب صوت تروس عدسة عيني، لا زلت تحتفظين بحدسك الموسادي؛ على العموم، هناك وجوه لم أرغب برؤيتها اليوم، ولكن لا تقلقي، سأبقي عيني مفتوحة دائماً»

قالها وهو يرخي نظارته المعتمة ليرمق تسيبي ليفني من خلفها بنظرة ميتة من عينه الاصطناعية المطفأة وعينه الأكريليكية التجميلية، نظرة أشعلت الرعب في قلب لا يكاد يعرفه، فقالت تسيبي وهي تحاول مداراة ذلك الرعب بتهكم:

«هذا جيد، حتى إن اضطررت إلى أن ترمش فلا ترمش في اللحظة الخاطئة، ولا ترمش بالعينين معاً»

أعاد نظارته المعتمة مكانها وهو يقول:

«أشكرك على النصيحة، ولكني لا أحتاجها، أستطيع أن أرى بلا عينين!»

انطلق السيد منصور الزايدي والد إياد بهلع في أروقة مستشفى ماريموتان، وانكفأ على موظفة الاستقبال في قسم الطوارئ:

«أبحث عن مصابي فندق الماريوت، أبحث عن ابني وزوجته وحفيدتي»

ركض إلى حيث أشارت قبل أن تكمل كلامها، كانت عيناه تنبشان كل غرفة في الممر إلى أن لمح سوسن جالسة على سرير الفحص وحولها ممرضتان وجمانة نائمة على طرف السرير، فاقتحم الغرفة وهو يسأل بهلع:

«فين إياد يا سوسن؟؟»

«لا تقلق يا بابا، إياد سافر»

احتضن السيد منصور سوسن، وحمل جمانة بين ذراعيه وأخذ يقبلها بين عينيها ويلتقط أنفاسه ويزفرها مع دموعه:

«الحمدلله.. الحمدلله.. الشرطة حاطين أسماءكم بين الضحايا، قلبي كان حيوقف»

«الحمدلله ربنا لطف.. وأرسل لنا منقذ»

كانت الممرضتان قد غادرتا غرفة الطوارئ الصغيرة، فانزلق الباب ببطء وانغلق خلف السيد منصور الذي انتفض جسمه بشدة عندما سمع صوتاً يهتف من خلفه:

«أخيراً تشرفت بشوفتك يا أبو إياد»

Google Earth
Tiberias, Arbel
Naqoura
Nahariyya
Safed
Acre
Karmiel
Mt Arbel
Sea of Galilee
Tiberias
Kiryat Ata
Haifa
Nazareth
Afula
جبل أربيل - بحيرة طبريا

W Tzipi Livni - Wikipedia, the ×

https://en.wikipedia.org/wiki/Tzipi_Livni
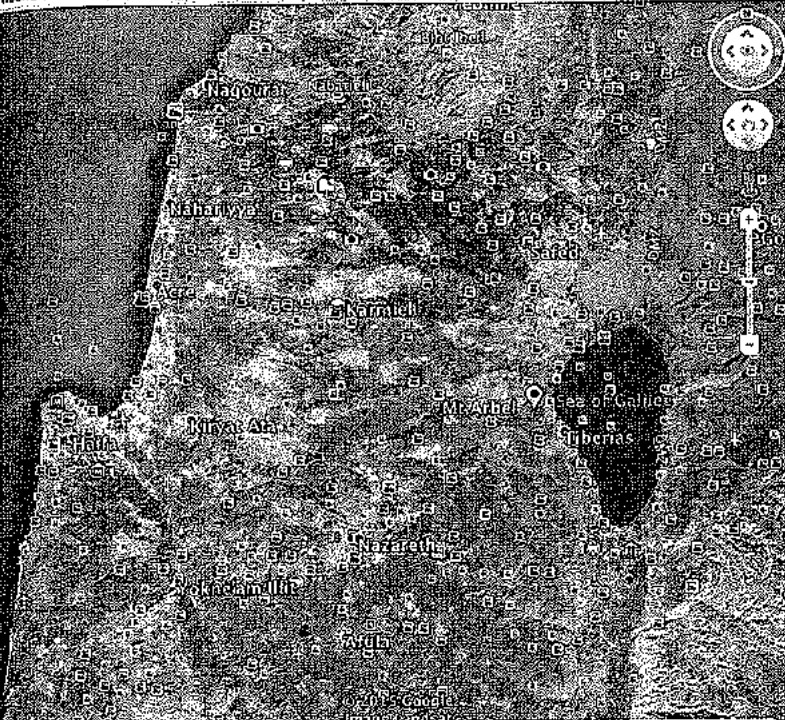
WIKIPEDIA
The Free Encyclopedia

Main page
Contents
Featured content
Current events
Random article
Donate to Wikipedia
Wikipedia store

Interaction
Help
About Wikipedia
Community portal
Recent changes
Contact page

Tools
What links here
Related changes
Upload file
Special pages
Permanent link
Page information
Wikidata item
Cite this page

Print/export
Create a book
Download as PDF
Printable version

Languages
Alemannisch
العربية
Asturianu
Azərbaycanca
Беларуская
Беларуская (тарашкевіца)
Български

Tzipi Livni

From Wikipedia, the free encyclopedia

Tziporah "Tzipi" Livni (Hebrew: ציפורה מלכה "ציפי" לבני, pronounced [tsipoˈʁa malˈka ˈtsipi ˈlivni]; born 8 July 1958) is an Israeli politician.

Livni served as a minister in the cabinets of Ariel Sharon and Ehud Olmert from 2001 to 2009, most notably as Minister of Foreign Affairs from 2006 to 2009, during which time she also led peace talks with the Palestinians. She then served as Leader of the Opposition until 2012.[1] Between 18 March 2013 and 2 December 2014, as leader of the liberal Hatnuah party she founded,[2] Livni served as Minister of Justice in Benjamin Netanyahu's third government. She also led the Ministerial Committee on Legislation, was charged with overseeing Israel's diplomatic initiatives with the United States and Europe, and was chief negotiator in peace negotiations with the Palestinians. In December 2014, she teamed up with Labor Party chief and opposition leader Isaac Herzog to form a joint list, the Zionist Union, to contest Israel's 2015 elections.

Born to a right-wing family, Tzipi Livni has become one of Israel's leading voices for the two-state solution.[3][4] In Israel she has earned a reputation as an honest politician who sticks to her principles.[5][6][7][8][9] In 2011 Livni was named one of "150 Women Who Shake the World" by *Newsweek* and *The Daily Beast*.[10]

Contents [hide]

1 Early life
2 Military service
3 Education, family, and early career

Tzipi Livni	
Date of birth	8 July 1958 (age 57)
Place of birth	Tel Aviv, Israel
Knessets	15, 16, 17, 18, 19, 20
Faction represented in Knesset	
1999–2005	Likud
2005–2012	Kadima
2013–2015	Hatnuah
2015–	Zionist Union
Ministerial roles	
2001	Minister of Regional Cooperation
2001–2002	Minister without Portfolio
2002–2003	Minister of Agriculture
2003–2006	Minister of Immigrant Absorption
2004–2006	Minister of Housing and Construction
2006–2007	Minister of Justice
2006–2009	Minister of Foreign Affairs
2013–2014	Minister of Justice
Other roles	
2006–2009	Vice Prime Minister
2009–2012	Leader of the Opposition

TEMPLE OF SOLMON

(5)
الأكويريوم
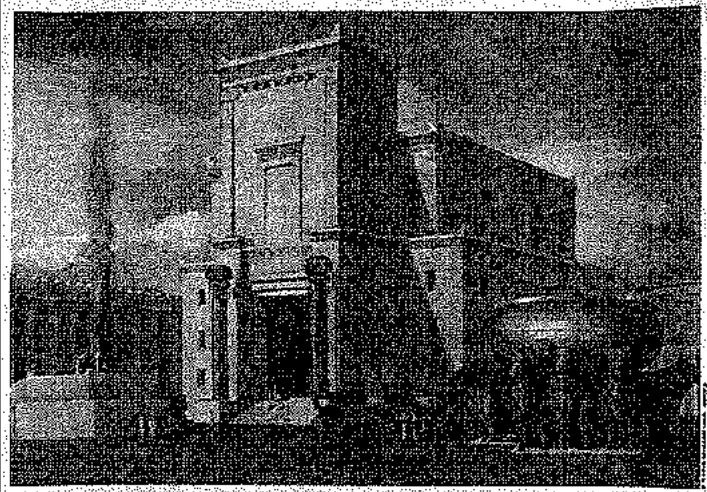
الخوف فطرة مدفونة بين طيّات حوامضكم النووية، تنشأ غالباً من المجهول. ذلك المجهول يرهبكم، يخيفكم، يرعبكم.

ولكن..

عندما يتحول المجهول إلى مألوف.. يتلاشى الخوف.. تتقشع رهبته لتحل محلها الألفة. أنتم تخافون من الموت، لأنكم تجهلون العالم الذي ينتظركم بعده، بالرغم من أنه قد يكون الخلاص من قائمة معاناتكم في حياتكم؛ تخشون الظلام لأنكم تجهلون ما يخفيه، بالرغم من أن العتمة أهون وألطف من كثير من المشاهد التي تمر عليكم كل يوم؛ وتخافون من الجن لأنكم لم تلتقوا بهم وتعاشروهم وتتعايشوا معهم، مع علمكم بأنهم لم ولن يبطشوا بكم كما تبطشون أنتم ببعضكم.

مرّ السيد منصور الزايدي بجميع تلك المراحل في لحظات: دهشة فرهبة فذهول فرعب تشتت مع عبارة حوجن التي حملت نبراتها صدقاً جعله يقتنع أن حوجن أكثر من مجرد صديق بالرغم من أنه يسمع صوته دون أن يراه:

«أنا حوجن صاحب إياد، تقابلنا مرة وحدة ليلة الزواج، كنت متشكل بشخصية الدكتور عماد زكي»

صدمة كهذه لن تستوعبوها إلا لو التقيتم بجني وتحدث إليكم مباشرة، صمت السيد منصور، تحولت أنفاسه إلى شهقات صغيرة متتابعة، نقّل بصره في الفراغ الذي صدر منه الصوت وانتقلت نظرته التي لم تحمل ذلك الكم من الدهشة من قبل نحو سوسن التي ابتسمت ابتسامة مهدئة وجمانة التي فتحت عينيها ببطء وهتفت بسعادة عندما لاحظت وجود جدّها:

«سيدو وحشتني يا سيدو مره مره وحشتني، فين تيته يا سيدو؟ سيدو سيدو حزّر من جا يا سيدو»

هبّت من حضن جدها بسعادة وهي تهتف:

«إلياسين! إلياسين فين رحت، تعال سلّم على سيدو منصور اللي حكيت لك عنه.. فينك يا إلياسين؟»

نسي السيد منصور وجود فكّه السفلي على وجهه فتدلى وجحظت عيناه عندما تحركت ستارة الغرفة وصدرت من خلفها ضحكة طفولية فركضت جمانة نحوها، ومدت يدها خلفها لتسحب إلياسين:

«تعال يا إلياسين تعال لا تستحي، سيدو منصور حيلعّبنا ويجيب لنا حلويات.. يللا تعال!»

خرج إلياسين من خلف الستارة ممسكاً بيد جمانة ينظر للأرض بخجل ويسترق النظرات نحو السيد منصور الذي لم يصدق ما يراه، من أين تجسد هذا الطفل الذي يبدو كأي طفل في الخامسة من عمره، تأمّل بشرته البيضاء الباهته وشعره الفاحم الغزير الذي انسدلت بعض خصلاته الملتفة على عينيه والملابس النظيفة الأنيقة التي يرتديها.. كانت الضربة القاضية عندما التفت إلياسين وانطلق بلهفة نحو جماري التي لم تتشكل في عالمنا وهو يهتف بلغة لم يفهمها السيد منصور، وارتفع الطفل أمامه في الهواء عندما حملته أمه بين ذراعيها فواصل حوجن ليخرج السيد منصور من حالة الذهول إلى حالة الصدمة التي تسبق الإغماء:

«وهذي جماري.. زوجتي، سيد منصور، أنا مقدر شعورك وصدمتك، ضروري نجلس مع بعض، فيه أشياء كثير لازم تعرفها!»

تجاهل بنيامين حارسي الأمن ومدفعيهما الآليين وهو يمرر كفه أمام قفل الباب المصفح ليقرأ بصماته ومساماته قبل أن تصطك تروسة ويتزحزح قفله موافقاً لبنيامين بالعبور إلى الجناح الطبي في قلب المقر السري لمنظمة إسرائيل الغد، هب إياد من سريره وانقض على بنيامين، لم يأبه بالأنبوب الذي يربط رسغه بعلبة المحاليل الطبية التي سقطت على أرض الغرفة من عمودها وتدحرجت خلف إياد وهو يمسك بتلابيب بنيامين ويصرخ:

«لقد كدت أن تقتلنا أيها المسخ اللعين! هل خدعتني طوال هذه المدة لتستدرجنا إلى هذا الفخ الحقير؟!»

هوى بقبضته على وجه بنيامين الذي لم يفارقه بروده، تناثرت الدماء النافرة من موضع الإبرة المغروسة في رسغ إياد على وجه بنيامين مع لكمته، أتبعها بلكمة أخرى، وكادت اللكمة الثالثة أن تنطلق لولا أن أوقفتها عبارة حسام الصارمة:

«إياد كفى!!»

عدل بنيامين نظارته وأزاح قبضتي إياد عن قميصه ببطء وقال بكل هدوء وكأن شيئاً لم يحصل:

«حمداً لله على سلامتكما، أنا فعلاً منبهر!»

«وهل يفترض بنا أن نتراقص طرباً لأننا نجحنا في إبهارك بعد أن حاولت قتلنا؟!»

قالها إياد وهو يحاول أن يمنع نفسه من الهجوم على بنيامين مرة أخرى، فأجابه بنفس النبرة الهادئة:

«فعلاً خروجكما من موقف كهذا ببعض الرضوض والإصابات السطحية إنجاز يستحق الاحتفال والرقص، لقد كُتبت لكما حياةٌ جديدة يا رجل!»

«أين نحن يا بنيامين؟ ومالذي تريده منا؟!»

قالها حسام وهو يشير إلى النافذة الافتراضية التي تبث مناظر طبيعية ثلاثية الأبعاد:

«أنت تملك ما أريده يا حسام، بكل بساطة أحتاج أن أضع قدراتك تحت الاختبار والتحليل كي نكتشف جميع أسرارها»

«وهل نتوقع أننا سنقف مكتوفي الأ يدي أمام معتوه مثلك ليجري علينا تجاربه؟!»

قالها إياد وهو يتأهب لهجوم آخر، بينما أجابه بنيامين:

«أولاً التجارب نجريها على حسام فقط، أنت بالنسبة لنا شخص عادي، مجرد إضافة لهذه الاختبارات.. ثانياً وهو الأهم، يؤسفني أن أخبركما بأن سلامة سوسن ومرام وجمانة مترتبة على تعاونكما معي»

ذكره لسوسن وجمانة كان بمثابة تفجير قنبلة موقوتة داخل إياد الذي عاود الانقضاض عليه، ولكن ردة فعل بنيامين اختلفت هذه المرة، فقد انحرف بكل خفة في اللحظة التي أخرج فيها مسدساً كان مختبئاً خلف حزامه ووجهه نحو عنق إياد وهو يدفعه إلى أن ارتطم بالحائط، وقبل أن يستوعب الموقف قبض بنيامين على يد إياد ووضع فيها مسدسه وألصقه بصدغه هو وقال:

«لقد سئمت استعراضاتك الصبيانية يا إياد، هيا اضغط الزناد إن كنت جاداً!»

الصدمة أصابت إياد بالشلل، فواصل بنيامين وهو يضغط بخده أكثر على فوهة المسدس:

«هذه هي فرصتك الوحيدة لتقتلني، إما أن تقتلني الآن، وإما أن تتوقف عن أداء دور الأحمق»

«ماذا حصل لمرام وسوسن وجمانة يا بنيامين؟!»

قالها حسام فأجابه بنيامين وهو يسترجع المسدس من يد إياد ويدسه في حزامه:

«يبدو أن هناك من كان يحاول الوصول إليكم قبلي، لقد تعرض فندق الماريوت لعملية تفجير انتحارية.. اطمئنوا الجميع بخير»

تفجر القلق في عروق حسام وإياد فهتف الأخير:

«من الذي يحاول الوصول إلينا؟ من الذي قام بالعملية؟»

«هم..»

قالها بنيامين باقتضاب فعقب عليه إياد:

«هم؟! من هم؟!»

قاطعه حسام قائلاً:

«أين مرام وسوسن وجمانة الآن؟»

«في مستشفى مارموتان، وسيصلون إليهم إن أضعنا المزيد من الوقت»

تدخل إياد بتوتر:

«وهل تتوقع أننا سنثق بك مرة أخرى هكذا بكل بساطة؟!»

«للأسف يا إياد لا أعتقد أن لديك خياراً آخر سوى الوثوق بي، عليك فقط أن تصدق بأن ما نقوم به سينقذ الملايين من البشر، بمن فيهم سوسن وجمانة»

«وهل مستقبل البشر يعتمد على استخدامي كفأر تجارب؟»

قالها حسام فأجابه بنيامين:

«لولا تدخلي لكان جسمك الآن موزعاً بين عدد لا بأس به من المعامل في مختلف أرجاء الأرض، أنت صاحب أبهظ الدماء سعراً يا حسام، يمكنك أن تتخيل ما قد تقوم به الجهات العلمية والمنظمات الإجرامية في سبيل الحصول على عينة من دمك! الجهة التي أعمل لصالحها لا تتحلى بفائض من الأخلاقيات ولا الصبر، ما يهمهم هو التوصل إلى سر قدراتك، جميعها بلا استثناء! كل ما يمكنني تقديمه الآن هو وعدي بأن أحاول أن أنهي التجارب في أقصر وقت ممكن»

«ألم يكن بإمكانك أن تستنزف دمائي وتوزعها على المختبرات؟»

«لقد حصلت على جميع العينات التي أحتاجها لحظة وصولكم مع فريق الإنقاذ إلى هنا، وبالفعل أُثبتت نظريتي، فعلى المستوى الفسيولوجي أنت شخص أقل من عادي، لا شئ يميّز حمضك النووي، وخلاياك تفقد قدراتها الخارقة لحظة مغادرتها لجسمك. أنا مقتنع بأن جميع قدراتك تفجرت داخل عقلك الباطن الذي أحكم سيطرته على جسدك عندما اقتربت من الموت»

«ولهذا تريد أن تعرضني للموت لكي تفجرها مرة أخرى!»

«بدأت تفهمني يا حسام»

قاطعهما إياد بتوتر:

«لاتهمني التجارب الآن، كل ما يهمني هو الاطمئنان على سوسن وجمانة ومرام، لا بد أن نتصل بهم!»

مد بنيامين يده إلى جيبه وأخرج هاتفين ولوح بهما لحسام وإياد وهو يقول:

«لحسن الحظ استطاع فريقنا أن ينقذ شرائح وبيانات هاتفيكما بعد أن حصلت على نسخة منها، تفضلا أرجو أن تقبلا هذين كهدية متواضعة مني»

تناول حسام هاتفه الجديد وهو يقول:

«المهم أن نضمن سلامتهم»

«لن يصيبهم مكروه»

قالها بنيامين وزفر زفرة تمردت على بروده وفضحت قلقه، وتضاعف قلق إياد وهو يراجع الرسائل ويكتشف عدد المكالمات الفائتة من سوسن..

ومن Dr. EZ..

في المقهى المخصص للمستشفى وعلى طاولة تضم أربعة كراسٍ جلس رجل الأعمال الملياردير منصور الزايدي وزوجة ابنه سوسن والشرق أوسطي الأنيق وزوجته الفاتنة اللذان صمما جسديهما حوجن وجماري أثناء تجسدهما، ذابت رهبة الالتقاء بالجني وحرمه بمجرد التجسد، فكل ما فيهما يبدو بشرياً لدرجة أنست الجميع أنهم عفاريت من عالم آخر، التهت جمانة وإلياسين باللعب بأكياس السكر على الطاولة المجاورة، ونست سوسن وجماري معركة الغيرة بينهما فانهمكتا بأحاديث "نسائية" جانبية تتجاذبها دهشتيهما بتشابه عالميهما، وظل السيد منصور عاقداً حاجبيه لفترة، يحاول إرغام عقله على الاستيعاب، إلى أن بادره حوجن:

«إياد بطل حقيقي..»

«إياد كذب علي سبع سنوات!»

«وعدنا بعض إن الموضوع يظل سر بيننا أنا وهو وحسام.. الموضوع أخطر بكثير مما تتخيل»

«لكن مهما كان، ما توصل لدرجة إنه يكذب على أبوه وأمه كل هذي الفترة»

«افهمني يا أستاذ منصور..»

«منصور لو سمحت، ما أطيق الألقاب.. حتى لو كنت أكبر منك يا ولدي فروق السن ما تعني لي كثير»

تبادلت سوسن وجماري ابتسامة أقحمتاهما في الحوار بين السيد منصور وحوجن الذي قال بلباقة:

«حتى لو وصل الفرق لضِعف العُمر تقريباً؟»

«كم عمرك يا حوجن؟ خمسة وعشرين؟ ثلاثين؟»

«رح يصير عمري ثمانية وتسعين سنة بعد كم شهر»

ألجمت الدهشة لسان السيد منصور، لوح برأسه وهو يضحك ضحكة عدم التصديق وينقل بصره بين حوجن وجماري التي بادرته:

«لا تطالع لي! أنا مازلت في عز شبابي، حوجن أكبر مني بثلاثة وعشرين سنة!»

«على كذا إلياسين يطلع في سني؟!»

«إلياسين ولد في نفس اليوم اللي عملت فيه العملية»

قالتها سوسن وهي بالكاد تحبس دموعها وجماري تضغط على كفها، لاحظ حوجن ذلك فأدار دفة الحديث عائداً لبدايته:

«أنا وإياد اتفقنا أن يظل موضوعنا سر حرصاً على سلامتنا وسلامتكم، لو انتشر خبر الجني اللي يتجسد ويتشكل في عالم الإنس أكيد رح يتجمعوا الدجالين والمتمشيخين ويتاجروا بجهل الناس»

«تجار النوسيبو والبلاسيبو»

عقد حوجن حاجبيه مستغرباً من مداخلة السيد منصور فواصل شرحه:

«النوسيبو هو الإمراض بالوهم، والبلاسيبو هو العلاج بالوهم المضاد، في المجتمعات اللي تنتشر فيها الخرافة والجهل يروج تجار المشيخة والدجل لوساوس الإصابة بالأمراض والعوارض الوهمية، وبعدها يرشحون أنفسهم لعلاج الأوهام مستغلين جهل الناس وقناعاتهم الدينية والشعبية، وطبعاً هذولا الأنجاس اللي استغلوا الدين لنهب فلوس الناس أكيد رح يستغلوا قصتك لنشر سمومهم وأوهامهم!»

«ما فيش فرق بين أنجاس الإنس وأنجاس الجن، والد سوسن الله يرحمه ورط بين شيوخ الوهم والمشعوذين، تخيل رجل بوعيه وعلمه ومكانته يذبح تيس أسود على أمل شفاء بنته!»

«الإنسان يفقد بصيرته بين اليأس والأمل! أنا أعرف زعماء دول ورؤساء شركات ومنظمات عالمية يذبحوا تيس أسود ويتلطخوا بدمه وأمعاءه في محافلهم الماسونية تقرباً من لوسيفر! نفس الطقوس لنفس الشيطان!!.. ولكن إش اللي خلاك تتدخل في كل هذا؟!»

«أنا وجمارى وإلياسين آخر من يحمل صفات الفيحيين، ورثناها من جدنا حنائيل خادم الملك سليمان وابنه الملك منليك. إحنا نمثل ثروة لخدام السحر والشعوذة بسبب قدراتنا على التجسد، دم ابني إلياسين كان شرط ملك الجن لترك سوسن وعائلتها، كنا على وشك نموت أنا وجمارى وإلياسين عشان ننفذ بجلدنا منهم!»

كان الحوار بين حوجن والسيد منصور يزداد تشويقاً، ترافقهما سوسن وجمارى أحياناً وتنشغلان بأحاديثهما الجانبية أحياناً أخرى، أما إلياسين وجمانة فقد نام كل منهما كملاك على أحد الكراسي.. إلى أن سمع السيد منصور تفاصيل ما حدث في بهو الماريوت:

«مستحيل! عمل إجرامي وعصابة بهذا التنظيم هدفها اختطاف سوسن وجمانة ومرام!»

قالها السيد منصور الذي لم يخطر بباله أبداً أن العملية الانتحارية كانت تستهدف زوجة ابنه وحفيدته، فعقب عليه حوجن بقلق:

«واختطاف إياد وحسام..»

شهقت سوسن، فواصل حوجن:

«المفروض يسافروا أمريكا، لكن إشارة جوال إياد كانت متجهة للشرق، واختفت فجأة، حاولت أتصل به أكثر من مرة بدون فائدة»

بادله السيد منصور قلقه:

«أنا كمان من أمس أحاول أتصل به، الله يطمنّا عليهم! أخاف يكرروا محاولة الاختطاف، لازم نخرج من هنا أول ما نطمئن على وضع مرام»

لم يكن السيد منصور يعلم أن المحاولة الثانية لاختطاف سوسن ومرام وجمانة قد بدأت بالفعل.. اشتعل حدس جمارى التي هبت واقفة ونظرت للأعلى وهي ترهف سمعها وتقول بكل توتر:

«لازم ناخذ مرام ونخرج الآن!»

على طاولة أخرى، وعلى بعد ألفي ميل، جلس بنيامين وحسام وإياد في أحد فروع ماكدونالدز بالقرب من شواطئ حيفا، ارتصت مجموعة من العلب الفلّينية التي تحوي، أو بالأحرى كانت تحوي شطائر ربع رطل البورغر بالجبنة التي يفضلها حسام بعد أن التهم عدداً منها، لم يستطع بنيامين إخفاء دهشته:

«هل تود أن أطلب لك الوجبة الخامسة؟»

رد عليه إياد الذي اكتفى بوجبة واحدة على عكس حسام:

«حسام بحاجة إلى شحن خلاياه باستمرار»

«أتمنى أن تكون الأربعة آلاف سعرة كافية للتجربة القادمة»

ودع حسام آخر حبة بطاطا في وجباته وهو يقول:

«ألا تزال مصراً على إخفاء تفاصيل التجربة؟»

«ستعيشونها بأنفسكم بعد ساعة من الآن»

قالها بنيامين وهو يعبث بأنامله على الطاولة، حركة كتلك من المستحيل أن يلاحظها شخص عادي، ولكن حسام التقطها وفهمها، (نحن مراقبون) هذا ما خطه بنيامين على فراغ الطاولة، فأدار حسام دفة الحديث:

«حسنٌ، في هذه الحالة ألن تخبرنا أكثر عن نفسك؟»

«صحيح، طوال سنة كاملة وأنت تقنعني بأنك مستثمر وصانع أفلام، من أنت بالضبط؟ أي خطة تلك التي تجعلك تستدرجنا كل هذه المدة وتقحم كريستوفر نولان..»

قاطعه بنيامين بابتسامة:

«تقصد النسخة التفاعلية ثلاثية الأبعاد من كريستوفر نولان»

«مستحيل! على الرغم من كل التطور في تقنيات الغرافيكس يستحيل أن تخدعني صورة ثلاثية الأبعاد!»

«هناك فرق شاسع بين التقنيات التي يتم اكتشافها، والتي يُسمح بنشرها وتداولها يا إياد»

«لصالح من تعمل يا بنيامين؟ الموساد؟ الشاباك؟»

قالها إياد بانفعال، ولكن حسام الذي أدرك أن مناقشة تفاصيل كهذه غير ملائمة وهم تحت المراقبة فقاطع إياد:

«عينك الاصطناعية هي أيضاً من التقنيات الغير قابلة للنشر؟»

«هذا هو المشروع الذي كرست حياتي من أجله: The Neuro-Digital Transceiver»

لاحظ بنيامين بوادر الفضول على ملامحهما فاسترسل:

«عشت تسعة وعشرين عاماً من عمري كفيفاً»

فاجأهم بما لم يتوقعوه أبداً، أزاح نظارته المعتمة، نظر بعينه للأعلى وضغط بإصبعيه على طرفيها فغاصت سبابته بين كرة عينه وتجويفها واقتلعها بسهولة وكأنها كانت مجرد عدسة لاصقة، برز من خلفها فراغ مظلم لا يُظهر سوى انعكاسات بعض الخطوط المعدنية بالغة الدقة أشار بنيامين إلى تجويف عينه وهو يقول:

«ترجمان الإشارات الإلكتروعصبية، الوسيط الذي يحول أي إشارة عصبية بدقة إلى قيمة رقمية والعكس»

«لا أصدق! لا تزال الإنجازات في هذا المضمار في بداياتها»

لاحت بوادر ابتسامة من بنيامين لذهول حسام، فألقى عينه الاصطناعية نحوه ليلتقطها الأخير كردة فعل لا شعورية وسأله وهو يحملق فيها:

«ما المدى الذي وصلت إليه دقة الإشارات المترجمة؟»

«دقيقة لدرجة تجعلني أدرك أن عيني قطعت مسافة ثمانية وتسعين سنتيميتراً وأربعة ملليميترات في الهواء ودارت دورة وإثناعشر درجة قبل أن تمسك بها.. دقيقة لدرجة تمكنني من التقاط صورة تتجاوز درجة وضوحها مائة وعشرين ميغابيكسل لعينك المحملقة في عيني الآن وحفظها في ذاكرتها التي تتسع لبضعة تيرابايتات، أو إرسالها مباشرة من عيني وحفظها في كمبيوتري أو سحابتي»

كاد حسام أن يلقي بعين بنيامين، ففكرة أنه يحمل عين شخص آخر تنظر إليه كفيلة ببث القشعريرة في مسام جلده، وبجعل إياد يهتف بذهول بعد أن دفعه الفضول لتناول الكرة الإلكترونية المعقدة من حسام وتأمل عدساتها وهي تتحرك باستمرار:

«عينك تتواصل مع دماغك لاسلكياً أيضاً؟»

لملمت السيدة التي كانت تجلس بجوارهم أغراضها وسحبت ابنيها من غرابة المشهد، التقط بنيامين عينه الاصطناعية من يد إياد وأخرج من جيبه قنينة منمنمة بخ منها بخة على عينه وأخرى داخل تجويفها في جمجمته قبل أن يعيدها ويديرها في محجرها لتعود إلى وضعيتها..

«عيني مزودة بتقنيات تتخطى بكثير ما يمكنك تخيله في أي جهاز محمول»

«عينك فقط؟»

أدرك بنيامين المغزى من سؤال حسام، فترجمة الومضات العصبية بشكل دقيق إلى إشارات كهربائية يعني ثورة في امتزاج الإنسان بالعالم الآلي والرقمي، يعني أن الدماغ يستطيع أن يتلقى إشارات مباشرة بدون الحاجة إلى الحواس والأعضاء وتمكنه من السيطرة على الأجهزة التي يتصل بها سلكياً ولاسلكياً..

«وعيك يا حسام، حياتك، جميع أحاسيسك تصل إلى وجدانك عن طريق دماغك، ودماغك يرتبط بالعالم الخارجي عن طريق الحبل الشوكي الذي يحمل الومضات العصبية والشرايين السباتية التي تحمل الأوكسجين والجلوكوز.. ببساطة سلك وأنبوبتين!»

«أتعني أن الإنسان يمكنه أن يعيش بوعي كامل بدماغه فقط؟ بدون الحاجة إلى جسم وأعضاء.. مستحيل! هذه مجرد نظريات سخيفة!»

أجاب بنيامين على إياد وهو يعيد نظارته الداكنة:

«قبل ثوانٍ أمسكتَ بيدك الدليل على أنها حقيقة ملموسة، وليست مجرد نظرية! في هذه اللحظة، هناك قرد يعيش في أحد معاملنا منذ سنة بدون جسم، مجرد دماغ موصول بأنابيب ضخ الدم والترجمان الإلكتروعصبي اللا سلكي الذي يتحكم بوحدة أخرى مزروعة في الحبل الشوكي لقرد آخر على قيد الحياة، النتيجة هي أن القرد الذي تحلل جسمه منذ سنة ولم يبقى سوى دماغه مقتنع بأنه يحيا حياة طبيعية ويتحكم بشكل كامل بجسم صاحبه الذي دخل عقله في سبات بعد أن فصلناه عن حبله الشوكي»

خيّم الصمت المريك عليهم للحظة قبل أن يقطعه حسام:

«هذا هو مشروعك إذاً!»

«هذا أحد مشاريعي، أنا الآن بصدد مشروع أكبر بكثير، وأتمنى أن أنجزه بمساعدتكما.. لذا علينا أن نسرع!»

قالها وتوجه نحو أحد العاملين ليتناول منه مجموعة من الأكياس تعجب منها إياد وعلق عليها حسام:

«أقدر اهتمامك بشهيتي العالية، ولكنني شبعت فعلاً!»

«هذه ليست لك، هناك شخص في غاية الأهمية، يجب أن أراه قبل أن تبدأ المهمة»

حشر أكياس وجبات البورغر معهم في سيارته الرياضية وانطلق بهم إلى دار ليف لافيف لرعاية الأيتام في حيفا. رفض بنيامين عروض حسام وإياد لمساعدته في حمل الأكياس، استقبلتهم إليانا التي لم تتخل عن زيها العسكري ولا عن وقفتها المنتصبة وذراعيها المعقودين خلف ظهرها، عبر بنيامين المدخل وكان الجميع يلقون عليه الابتسامات والتحايا وكأنه أحد منسوبي الدار، عندما فتح الباب المؤدي إلي صالة الألعاب اشتعل هتاف الأطفال: بنيامين بنيامين.. والتفوا حوله يتلقفون وجبات الهابي ميل.. ما عدا طفلة جفلت وركضت نحو ركن الصالة، لفت ذراعيها حول ساقيها وتكومت محاولةً إخفاء نفسها بين الركن وأعمدة الأرجوحة. اقترب منها بنيامين وهو يخرج علبتها من الكيس، فأشاحت بوجهها عنه عندما شعرت باقترابه، لم تكن تراه فقد اختفى بريق عينيها، جلس بجوارها ووضع العلبة بينهما، شعرت أمل الطفلة الكفيفة ابنة التاسعة بحركته وأدركتها، مدت يدها تجاه الصوت الذي سمعته وتحسست الفراغ قليلاً قبل أن تطال علبة الهابي ميل وتدفعها بعيداً وتعود لتطويق ساقيها بذراعيها وحشر نفسها أكثر في الركن..

«أحتاج إلى من يتحداني في الشطرنج.. e4»

قالها بنيامين، ليبدأ لعبة الشطرنج الافتراضية التي تحتفظ بساحتها وجنودها وعتادها في مخيلتي بنيامين وأمل فقط، طريقة ابتكرتها والدة بنيامين تعتمد على التخيل والذاكرة فقط وتتم التنقلات بذكر إحداثيات كل خطوة.. أجابت أمل بغضب لم يتراخى بعد:

«إذهب وتحد المبصرين أمثالك!»

«تودين المحافظة على هزيمتك السابقة إذاً.. عيني مطفأة على كل حال»

نجح في استفزازها، فحركت جنديها:

«e5»

«Qf3»

«أعد ملكتك لبيتها يا نابليون! تعلم أن هذه الخطة لا تنطلي علي، تريدني أن أفوز كي تطيّب خاطري! أين كنت طوال الثلاثة وعشرين يوماً الماضية؟!»

فتح بنيامين وجبة الهابي ميل وأخرج علبة قطع الدجاج، لم تمانع أمل من إطعامه لها..

«بالأمس عدت من السفر»

«لن أسمح لك بالسفر مرة أخرى!»

اعتقد إياد وحسام أن ذلك الذي يجلس بجوار الطفلة العمياء شخص آخر، لا يمت بأي صلة للمسخ الذي كاد بالأمس أن يودي بحياتهما بكل برود، كانت إليانا تقف بجوارهما، قالت مخففة بعض فضولهما:

«هذه أمل، يتيمة من غزة، من الأطفال الذين أنقذتهم أم بنيامين إثر عملية أعمدة الغمام قبل سبعة أعوام»

«ألم يكن باستطاعته أن يؤجل زيارته لها كي لا نضيع المزيد من الوقت؟!»

طرح إياد السؤال فأجابته إليانا:

«أمل هي الفرد الوحيد في عائلة بنيامين!»

«ماذا عن والدته التي ذكرتها للتو؟ توفت؟»

أجابته بحزن واقتضاب:

«قُتلت»

تلاشى غضب أمل، كانت تتحسس لعبتها الجديدة بأظافرها وأطراف بنانها لتعيد بناء تفاصيلها في مخيلتها، تناولت كف بنيامين ونقرت عليه بأصابعها، كانت تلك شفرة اخترعها لها بنيامين تمكنهما من الحديث ككفيفين دون أن يسمع أو يعي حديثهما أحد، نقرت أناملها الصغيرة بحماس مشوب بحزن على كف بنيامين:

«لو تأخر بنيامين مرة أخرى ستغضب أمل جداً»

تناول راحتها في راحته ونقر عليها مجيباً:

«لن يتأخر بنيامين مرة أخرى، هذا وعد»

تركها بنيامين مع قبلة بين عينيها السعيدتين اليابستين.

«حاولنا الاتصال بمرام وسوسن، أجهزتهن مغلقة!»

قالها حسام بكل توتر وهم يغادرون بوابة دار ليف لافيف.. وعقب إياد:

«لم يتبق لدي خيار، يجب أن أتصل بوالدي كي يطمئن عليهم!»

«والدك معهم الآن بالفعل.. اطمئن»

قالها بنيامين دون أن يعنيها، وزاد من سرعته وهم يتجهون نحو التحدي الجديد.. والذي قد يكون الأخير..

حدس جماري يجعلها تستشعر الطاقة السلبية والعدائية من على بعد، لم تكن بحاجة لسرد التفاصيل، فقد أصبح القلق سيد الموقف، شرح حوجن خطته للجميع وبدأوا بتنفيذها على الفور، لم تكن خطة، وإنما أملاً أخيراً للنجاة!

اقتحمت سيارة إسعاف المدخل الرئيسي للمستشفى تتبعها مصفحتان معتمتان، قفز منهما ضابط وعدد من الجنود أرعبوا حارس الأمن وموظفة الاستقبال:

«لدينا أمر بنقل ضحايا انفجار الماريوت: سوسن سعيد، مرام الشريف، وجمانة الزايدي»

شارة الشرطة المتقنة التزييف وأمر النقل وعربة الإسعاف كلها لم تترك حيزاً للريبة بأن ذلك كله قد يكون جزءاً من خدعة محكمة. في خلال دقائق كان الموكب يسير بأقصى سرعة مستغلاً منبهات الإسعاف لتمزيق زحام باريس حاملاً سوسن وجمانة ومرام، تضاءل الزحام.. تلاشى، لم تبق سوى السيارات الثلاث على الجسر الفرعي المؤدي إلى مدرجات الطيران الخاص فضاعفوا من سرعتهم ليلحقوا بالطائرة التي ستقلهم إلى حيث إياد وحسام..

إلى إسرائيل.

لو فوجئتَ أثناء قيادتك للسيارة بيد شخص غير مرئي تقبض على رقبتك فستصاب بالرعب الهستيري، هذه ردة فعل أي شخص عادي، ولكن ردة فعل سائق سيارة الإسعاف كانت تختلف، فغريزته كمحترف في تنظيم إجرامي جعلته يخرج المسدس من الحزام الذي يتأبطه لا شعورياً ويطلق رصاصتين نحو الشخص -اللامرئي- الذي أحكم قبضته على رقبته وعلى المقود، قبض حوجن على فوهة المسدس فطاشت الرصاصات وانحرفت مخترقة السقف، كان ذلك نذيراً كافياً للحارس الآخر الذي يجلس في المقصورة الخلفية للإسعاف حيث ترقد مرام وتجلس بجوارها سوسن محتضنة جمانة. أخرج الحارس الآخر مسدسه الذي كان يخبئه تحت ملابس التمريض وتطلّع من النافذة الصغيرة التي تفصله عن السائق، همّ بالتدخل لإطلاق النار باتجاه حوجن، ولكن جمانة انتفضت وانقضت على الحارس وهي تطلق صرخة صمّت آذان الجميع لأقل من ثانية، واستمرت الصرخة بلا صوت مسموع وجمانة تدفع كف مسدس الحارس بيديها، فتلاشى المسدس مع كف الحارس وذراعه.. نعم تلاشت ذراعه لجزء من الثانية، ثم عادت مبتورة لعالمنا إثر صرخة جمانة، أو بالأحرى إلياسين الذي كان متجسداً على هيئة جمانة؛ صرخ الحارس بهستيرية من شدة الرعب والألم، وانقض على بوابة الإسعاف الخلفية بيده المتبقية وقذف نفسه لينفذ بجلده.

حظه السيء جداً في ذلك اليوم ألقى به تحت إطارات السيارة المصفحة التي تتبعهم. في نفس اللحظة نجح حوجن في التقاط المسدس الذي سقط من يد قائد الإسعاف وتصويبه نحو رقبته. تدريبات رجل العصابات المحترف لم تتطرق لمواجهات مع أشخاص غير مرئيين تنتهي بمسدسات طائرة، درس جميع الاحتمالات.. اتخذ القرار الذي يحمل فُرص نجاة أكبر.. وقفز هو الآخر من السيارة. سيطر حوجن على الإسعاف، دفع المكابح بكل قوة ليجبرها على التوقف في حين تشبثت جمارى التي كانت متجسدة على هيئة سوسن بسرير مرام كي لا يندفع خارجها واختتمت سلسلة المفاجآت التي تلقتها السيارات المصفحة خلفهم.

ترجل أفراد المنظمة من المصفحتين، اقتربوا بحذر من الإسعاف، تسبقهم مسدساتهم وخفقات قلوبهم التي لم تصل لهذا الحد من التوتر من قبل. لا يعلمون أنهم يواجهون غريماً خفياً من عالم آخر، كانت تلك إحدى نقاط تفوقه، ولكن النقطة الأهم هي أن ذلك الخصم يستطيع التنقل بين عالمه وعالمهم كما يحلو له. رغم كل ما حصل لم يكن هناك أثر لأي سائق، تلك كانت نصف الصدمة، الصدمة الكبرى ارتطمت بهم عندما انطلق صرير إطارات إحدى السيارات المصفحة التي غادروها واصطدمت بالمصفحة الأخرى بكل عنف ودفعتها لتسقط السيارتان من حافة الجسر.

حوجن الذي انسل من المصفحة بعد أن تخلص منها لم يعط رجال العصابة الغارقين في ذهولهم فرصة بعد أن تحولقوا حول حافة الجسر ليشهدوا مصير مصفحاتهم فعاد إلى الإسعاف وانطلق بها بكل سرعة نحو الموقع الذي حدده مسبقاً مع السيد منصور.

انطلق بنيامين بمحاذاة ضريح الباب علي الشيرازي المطل على سفح جبل الكرمل وخطفت ألوان حدائقه البهائية أبصار إياد وحسام قبل أن ينحرف في شارع محاذ تزين جانبيه الأشجار والفيلل العتيقة، عبرت السيارة بوابة إحداها التي لم تكن سوى تمويهاً لممر يخترق جوفها ويمتد تحت الأرض.

«قاعدة سرية بجوار ضريح الباب، أشهر معلم سياحي في حيفا! أي جنون هذا؟!»

«بل أي دهاء هذا! القاعدة أسفل الضريح تماماً، مكان لن يخطر ببال أحد، وبمباركة وحماية اليونسكو!»

قالها حسام مجيباً على استنكار إياد، لم يعلق بنيامين الذي انطلق بسرعة جنونية أحالت أضواء ذلك الممر العتيق إلى ومضات خطية متقطعة واستمر صمته إلى أن توقف أمام غرفة زجاجية عملاقة توسطت ساحة دائرية مكتظة بالأجهزة وقال باقتضاب:

«مرحباً بكم في الأكويريوم..»

كانت إليانا وملامحها القلقة في انتظارهم يتبعها فريق من أربعة أشخاص يرتدون نفس الزي العسكري الذي ترتديه.

«هنا ستخوضون المرحلة الثانية في الاختبار»

«بعدما كدت أن تقتلنا في المرحلة الأولى..»

قالها إياد معقباً على بنيامين فالتفت إليه بحدة وقال:

«اسمح لي أن أوضح لك الأمر، أنتما مختطفان وسيتم التخلص منكما بكل هدوء إن لم تتجاوزا الاختبارات وتثبتا أنكما تملكان ما يستحق الإبقاء على حياتيكما.. أنا الوحيد الذي يؤمن بوجود قدرات كامنة لن تتفجر إلا عن طريق هذه الاختبارات، راهنت بالكثير لإثبات ذلك، وأتمنى فعلاً أن لا يضيع رهاني وحياتيكما دون طائل!»

عبارة بنيامين الصارمة قابلتها عبارة أشد صرامة من إياد:

«وهل هناك ما يضمن عودتنا إلى ديارنا إن اجتزنا هذه الاختبارات؟»

«لا..!»

قالها بنيامين ليسود الصمت لبضع ثوانٍ وواصل بعدها:

«ولكنني سأعمل ما بوسعي للحفاظ على سلامة الجميع»

موقف كهذا قد يصيب أي شخص عادي بالتوتر، ولكن ما تعرض له حسام وإياد جعلهما ضمن تصنيفات أخرى تعشق التحديات ولا تعترف بالتقهقر. باشر الفريق العسكري إجراء عدة فحوصات عليهما أنهوها بتثبيت أساور معدنية حول كاحلي كل منهما، وحان الوقت لدخولهما إلى قلب الأكويريوم، الذي كان فعلاً كحوض أسماك ضخم، زجاجه الذي بدا شفافاً من الخارج استحال إلى مرايا مصقولة من الداخل، لم يعد يربطهما بأي شيء خارجه سوى المجسات التي تصور وتقيس كل شيء، والمكبرات التي تنقل لهم صوت بنيامين:

«هذه المرحلة هي معركة حياة أو موت.. حرفياً، المطلوب أن تبقوا على قيد الحياة»

لم يكد بنيامين يتم عبارته حتى فُتح الباب الوحيد في جدار الأكويريوم واندفع من خلاله ستة عمالقة مدججين بالأسلحة البيضاء اختلطت صرخاتهم البربرية بصوت بنيامين الذي واصل عبر المكبرات ببرود:

«هؤلاء مجموعة من المحكومين بالإعدام في جرائم من الدرجة الأولى، سينالون حريتهم إن قتلوكم، عليكم أن تقضوا عليهم كي تتخطوا هذه المرحلة.. حظاً موفقاً»

المعركة غير متكافئة أبداً، على الرغم من شجاعة حسام وإياد وتدريباتهما القتالية المكثفة إلا أن الكثرة -في المعتاد- تغلب الشجاعة والتدريبات.. بالذات مع كم الإصابات المتراكمة على جسديهما والتي أغرت العمالقة وزادت من اندفاعهم نحو حريتهم. تلك الاندفاعة كان ضحيتها الخرتيت عاري الصدر والكرش الذي كان يلوح بأداة حارت بين السيف والساطور وكان أولهم وصولاً لحسام الذي استقبله بركلة دورانية مدروسة تولى فيها كعب قدمه اليسرى مهمة إفقاده الوعي عندما اصطك بمصرعه بين أذنه وفكه ورقبته فهوى وتلقف حسام ساطوره قبل أن يلامس الأرض وألقاه لإياد الذي قرر أن يتخلى مؤقتاً عن جميع الاعتبارات الإنسانية ويتحول إلى جزار بلا قلب من أجل قرتي عينه.

انهمكت عين بنيامين الإلكترونية في تأمل ما يحصل من خلال الواجهة الزجاجية ولم تغفل استراق قراءات المؤشرات الحيوية من الشاشات المحيطة به؛ اقتربت منه إليانا وهمست:

«اتصال من المكتب المركزي»

«منها؟»

«نعم..»

قالتها بقلق، وكأن مجرد ذكرها يبث التوتر في أوصالها، أومأ لها بنيامين فنقلت الاتصال على إحدى الشاشات وظهرت صورتها.. صورة تسيبي ليفني.. أقوى أنثى في تاريخ إسرائيل بعد غولدمائير:

«لقد أجمعوا على إلغاء المشروع.. وعلى محاكمتك!»

استهلت بها حديثها متجاهلة التحايا، أما بنيامين فتجاهل حتى النظر إليها وهو يتابع معركة حسام وإياد مع من تبقى من المجرمين:

«وهل علي أن أنتظر القاتل المأجور، أو أتوقع قِتلةً أكثر أناقة.. كوب اسبريسو مسموم مثلاً»

«ليس لدينا وقت للسخرية، لقد أعطيتك ثقتي يا بنيامين، الميزانية والصلاحيات التي حصلت عليها لم يحلم بها أحد من قبل! أنت أول من يستخدم الأكويريوم منذ أن أوقفنا نشاطاتنا التدريبية فيه عام ألفين وثمانية!»

«تقصدين بعد أن أصبح الهوس العسكري لا يليق سوى بالأفلام الرخيصة والعصابات الإرهابية.. أعتقد أنك تشتاقين للعمليات التي تحصد أرواح الأبرياء بالخطأ!»

«إنها الحرب يا بنيامين! ألا تفهم؟! حتى الملائكة ستتلطخ أجنحتها بالدماء إن اقتربت من الحروب!»

«دماء الأطفال الطازجة!.. فقط الشياطين تغريها موائد السياسة وساحات الحروب»

«العرب يا بنيامين تماسيح متناحرة تقتات على الطائفية! في مقابل كل طفل يضعونه في طريقنا ويتباكون عليه، هناك ألف طفل يذبحونه بأيديهم دون أن يذرفوا دمعة واحدة»

«وإن أباد العرب بعضهم، هل تجدين هذا مبرراً جيداً لإراقة قطرة دم طفل بريء؟ دعك من إراقة الدماء، هل هناك ما يبرر الأموال التي ابتلعتها ميزانيات التسليح والتهمتها نيران الحروب؟»

«نحن محاطون بأمم يبتهلون إلى الله ليل نهار ليدمرنا ويجمد الدماء في عروقنا ويزلزل الأرض تحت أقدامنا، يتوقون لإبادتنا وإلقاء جثثنا الممزقة المتعفنة في المتوسط، هل كنت تريدنا أن نستمر في زراعة الأزهار؟!»

«هم لا يـزالون منهمـكون بالتـفاخر فيـما بينـهم عـلى تصنيف من مات قبل ألف وخمسمائة عام، ومشروعية قص حواجب الفتيات، وعندما يتعلق الموضوع بإسرائيل تجدينهم يكتفون بالدعاء فقط؛ من حسن حظ إسرائيل أنها محاطة بأعداء لا يجيدون سوى إطلاق الدعوات وبعض الشتائم! العلم هو السلاح الوحيد الجدير بالاستثمار، الأمم التي تستثمر في الموت.. لا تستحق الحياة!»

«لهذا السبب بالذات ركزنا جهودنا على التفوق العلمي والتقني، لهذا السبب وضعت ثقتي فيك يا بنيامين!»

«ولهذا السبب ألغيت المشروع!»

«أخبرني يا بنيامين، لماذا ذكرت الهيكل والانتقال الآني في اجتماعنا؟! لا أعتقد أنك كنت تنوي إبهارنا وحسب»

«عندي قناعة بأن أسرار الانتقال الآني موجودة في مكان ما.. أو كتاب ما.. وأنها مرتبطة بالإرث العلمي لمملكة سليمان»

«هل دفعك اليأس من التوصل لاكتشافات علمية جديدة إلى البحث بين طيات التراث الديني»

كانت إحدى المرات القليلة التي تتهكم فيها تسيبي.. تجاهلها بنيامين وواصل مرتلاً آية قرآنية ثم أعاد معناها بالعبرية:

«قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين.. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»

«ما هذا؟!»

«هذه آية قرآنية»

ردت عليه تسيبي متفاجئة:

«لقد تركت اليهودية واعتنقت الإسلام إذاً»

«معتقداتي منطقة محرمة، لا أسمح لأحد أن يتدخل فيها! وبالمناسبة أنا أحفظ عدداً لا بأس به من الكتب المقدسة»

«ومالذي استنتجته من الكتب المقدسة؟»

«أسرار قصة سليمان موزعة مابين التوراة والقرآن وكتاب ملوك النجاشيين كيبرا نجاشت.. استنتجت أن أحد العلماء في مملكة سليمان عنده علوم لم نتوصل إليها بعد، أحدها الانتقال الآ ني، قد يكون حيرام آبيف.. الأب الروحي للماسونيين»

«ذكرك للهيكل والانتقال الآني أمام داني كانت أكبر حماقة.. تعرف جيداً مكانته بين الماسونيين!»

«أعرف جيداً مكانته بين جميع المنظمات السرية، وأحببت أن تصل الرسالة لأسياده»

«أسياده يحلمون بالوصول لأسرار الهيكل والتابوت منذ قرون، هل تتخيل أنهم سيسمحون لك بالتوصل إليها قبلهم؟!»

«من الواضح أن جميع محاولاتهم قد باءت بالفشل!»

«على كلٍ سأجتمع بالقيادات غداً الساعة الثامنة، بعد أقل من ثلاثين ساعة.. أتمنى أن تتوصل إلى شئ قبلها، وإن لم تفعل.. أرجوك احم ظهرك جيداً.. لن أستطيع حمايتك»

التوتر الذي أشعلته تسيبي ليفني قبل أن تنهي اتصالها نافس التوتر الذي اشتعل داخل الأكويريوم، مع فارق بسيط: كميات الدماء المراقة. أربعة من المجرمين رقدوا ما بين حالات إغماء ونزاع، إياد يحاول بيأس التعكز على الساطور الذي اصطبغ بالدماء.. تتقاطر منه وتتخثر عليه؛ أما حسام فقد كان يلهث بنهم، دقات قلبه تجاوزت جميع المعدلات البشرية، يتساءل إن كان سيستطيع الصمود للقضاء على المسخين المتبقين..

أما بنيامين فقد كان مضطراً لإنهاء الاختبارت مهما كان الثمن، التفت لإليانا وهو يقول على مضض:

«ضاعفي الجاذبية»

«ولكن..!»

تجاهلها ومد يده لأحد الأقراص التي على لوحة التحكم أمامه، وأداره نصف دورة؛ ذلك القرص يخلق مجالاً مغناطيسياً بين أرضية الأكويريوم والحلقات الحديدية في كاحلي حسام وإياد.. أو بعبارة أخرى يضاعف تأثير الجاذبية عليهما.

اختل توازن إياد فسقط، أما حسام فترنح قليلاً قبل أن يستعيد توازنه، كانت تلك بمثابة إشارة مشجعة للمجرمَين لمواصلة الهجوم وتجاهل المصير الذي واجهه زملاؤهم. الأقل شجاعة منهما هجم على إياد المضرج بدمائه أحاط رقبته بذراعيه محاولاً خنقه، أما الآخر فقد أحكم قبضتيه على سكاكينه وصرخ صرخة هائجة وهو يندفع بها نحو صدر حسام الذي تسمّرت قدماه في الأرض بسبب الجاذبية المضاعفة. أدار بنيامين قرصاً آخر فبدأت المياه تتدفق من سقف الأكويريوم، وكأن ما يواجهه حسام وإياد لا يكفي للقضاء عليهما، بدأ الأكويريوم يتحول إلى حوض أسماك فعلي بارتفاع منسوب المياه التي اختلطت بالدماء.

حاول حسام تفادي طعنة العملاق، نجح نسبياً حيث أحدثت إحدى سكاكينه شرخاً على طول عضده، كان يبذل ضعف الجهد لرفع قدميه، لن يستطيع تسديد ركلاته الجانبية الخاطفة في هذه الظروف، ولكنه يستطيع أن يستغلها لتحطيم رقبة المجرم الذي تريع وانشغل بخنق إياد حيث رفعها بصعوبة وتركها تسقط لتخلخل فقرات رقبته قبل أن يستعيد المسخ الأخير توازنه..

كان بنيامين يتابع المشهد الدامي "حرفياً" ويهمس:

«هيا يا حسام! أخرج قدراتك.. تباً لك ماذا تنتظر؟!»

بلغ منسوب المياه منتصف قامة حسام، أما إياد فقد كان يسعل الماء والدماء محاولاً استعادة أنفاسه.. بينما هجم العملاق في محاولة أخيرة للقضاء على حسام.

في المعدل يستطيع الإنسان حبس أنفاسه لمدة لا تزيد عن ثلاث دقائق قبل أن يغيب عن الوعي، هذا المعدل البشري، أما قدرات حسام فتتجاوز هذا المعدل بالضعف على الأقل، وهذه النقطة التي استغلها لحسم المعركة، حيث قرر أن يندفع نحو العملاق ليباغته، ويقبض على رقبته ليسقطا سوياً في بركة المياه الوردية؛ ومرت الدقائق واحدة تلو الأخرى، تتالت معها طعنات العملاق اليائسة على ظهر حسام، كان يستميت هذه المرة للحصول على جرعة هواء.. ولم يحصل عليها..

تركه حسام ليطفو بهدوء وانطلق إلى إياد الذي بدأت المياه تغطي وجهه وهو عاجز عن السباحة بسبب أساور الجاذبية، صرخ حسام وهو يلكم جدار الأكويريوم بقبضته:

«بنيامين!»

سألته إليانا:

«هل نتوقف»

أومأ بنيامين برأسه ببطء نافياً.. وتابع مراقبة حسام الذي يئس من فتح الأساور، فتوجه نحو إياد ورفعه بكل صعوبه ليجلسه على كتفيه ويبعد أنفاسه عن المياه بقدر الإمكان، والتقط آخر نفس استطاع التقاطه قبل أن تغطي المياه أنفه.. وحدق بكل غضب من خلال زجاج الأكويريوم العاكس نحو بنيامين مباشرة الذي واصل همسه:

«هيا يا حسام.. أرجوك!!»

2014 Israel–Gaza conflict ×

https://en.wikipedia.org/wiki/2014_Israel–Gaza_conflict

WIKIPEDIA
The Free Encyclopedia

2014 Israel–Gaza conflict

From Wikipedia, the free encyclopedia

The 2014 Israel–Gaza conflict, also known as **Operation Protective Edge** (Hebrew: מבצע צוק איתן, *Mivtza Tzuk Eitan*, lit. "Operation Strong Cliff")[note 1] was a military operation launched by Israel on 8 July 2014 in the Hamas-ruled Gaza Strip.[note 2] Thereafter, seven weeks of Israeli bombardment, Palestinian rocket attacks, and ground fighting resulted in the deaths of over 2,100 people, the vast majority of them Gazans.[18][30]

The stated aim of the Israeli operation was to stop rocket fire from Gaza into Israel, which increased after an Israeli crackdown on Hamas in the West Bank was launched following the 12 June kidnapping and murder of three Israeli teenagers by two Hamas members.[31][32][33] Conversely, Hamas's goal was to bring international pressure to bear to lift Israel's blockade of the Gaza Strip, end Israel's offensive, obtain a third party to monitor and guarantee compliance with a ceasefire,[34] release Palestinian prisoners and overcome its political isolation.[35] Some claim Israel was the first, on 13 June, to break the ceasefire agreement with Hamas that had been in place since November 2012.[36] However, Israel argues its air raids on Gaza are responses to rocket fire from the Gaza Strip.[37]

Operation Protective Edge 2014

Part of the Gaza–Israel conflict

(left) A home in Gaza bombed by Israel
(right) Iron Dome missile defense system in operation

Date	8 July – 26 August 2014 (1 month, 2 weeks and 4 days)
Location	Gaza Strip Israel
Result	Both sides claim victory[9] • According to Israel and Palestinian president Abbas,[10] Hamas was severely weakened and achieved none of its demands[11] • According to Hamas, Israel was repelled from Gaza[12]

Belligerents

Israel *Armament support:* United States[13]	**Gazan militant groups** • Hamas • Islamic Jihad • DFLP[3] • PFLP[4]

HAIFA-SHRINE OF THE BAHA'I BAB

HEAD TRANSPLANT

(6)
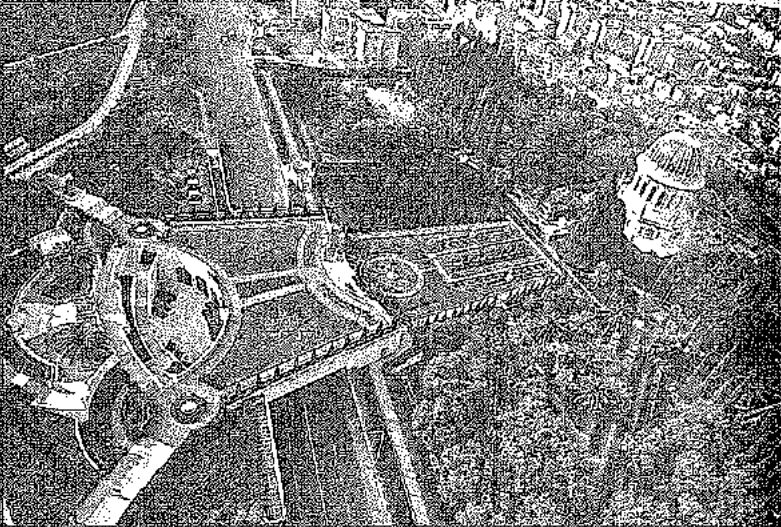
#أنقذوا_إياد_وحسام

جلس على طرف السرير، يراقبني من خلال الزجاج العاكس أمامه بينما شمّرت ثوبي وأكمامي وتربّعت خلفه، أضمد الجروح التي تشعّبت في أنحاء ظهره، كان يتألم قليلاً، ويبتسم كثيراً. أظن أننا اعتدنا على هذا الموقف، تتعرض حياته للخطر، يتحمل جسده أطنان الإصابات، أضمدها له.. ونبتسم..

سعادتنا بلقائنا لا تكترث بالجراح.. تسخر من الآلام.

«من زمان ما جلست معاكِ فترة طويلة»

«من يوم ما رجعت للدنيا ونسيت النوم!»

«أنا نايم؟»

«كنت على وشك تغرق»

«ملاك.. إش اللي بيحصل بالضبط؟»

«سامحني يا حسام.. كله بسببي»

التفتَ إلي، احتوى وجهي.. آه.. كم اشتاقت وجنتي لكفيه، وعيني لعينيه.

«ما كنت أدري إن الدنيا كلها رح تطاردك بسبب اللي حصل لك معايا هنا..»

«الدنيا كلها ما تهمني.. أهم شئ إني راجع لك!»

«قلبي بيتقطع عليك يا حسام، بتواجه الموت في كل لحظة وأنا عاجزة هنا»

«رح أرجع لك أول ما أطمئن على مرام..»

«حسام.. حتوحشني..»

قلبي يتمزق كلما تذكرت أنه لن يبقى بين ذراعي، كل يوم يعيشه بعيداً عني في الدنيا أعيشه أنا دهراً.. كل دقيقة في حياته تعادل يوماً طويلاً ثقيلاً في حياتي، تلاشى من بين يدي، غسلت دموعي بقايا ملمس كفيه على وجنتي. تركني حسام مرة أخرى وعاد إلى عالم الأحياء.

انغمس وجه بنيامين بين كفيه، وانغمس دماغه في دوامة من الأفكار والاستنتاجات.. والهموم..

الهموم التي لم تكد تجد طريقها إليه منذ أن ودع والدته وودع معها معظم عواطفه وأحاسيسه.. قررت أن تعصف به في تلك اللحظة؛ قاطعته إليانا بنبرة عسكرية هامسة:

«أجرينا الإسعافات اللازمة لحسام وإياد.. و..»

«هل حصلتِ على تسجيلات كاميرات فندق الماريوت قبل وقوع الانفجار»

قاطعها كما قاطعت أفكاره، كان يراجع جميع البيانات والا ستنتاجات في ذهنة.. وفي عينه. ارتباط دماغه بعينه الإلكترونية لم يقتصر على كونها أداة بديلة للرؤية، بل كانت بمثابة كمبيوتر مصغر مستقر داخل جمجمته متصل بأعصابه ودماغه من جهة وبالإنترنت ومستودعات المعلومات والملفات من جهة أخرى.. كان ينبش كل ذلك بحثاً عن حل للغز حسام وإياد.. وكانت عبارات تسيبي ليفني وساعاتها الثلاثون تطارده بشراسة.

«نعم، أرسلت رابطها للتو إلى بريدك»

انتقل إلى بريده الإلكتروني عبر ذهنه وعينه، لم يستغرق الملف الذي يتجاوز بضع مئات من الميجاوات سوى دقيقة عُرض بعدها ذلك الفيلم الذي اضطرت إليانا للاستعانة بكافة وسائلها الاستخباراتية كي تحصل عليه في ظل الظروف الحرجة، انتقل الفيلم من عين بنيامين عبر عصبه البصري إلى دماغه مباشرة دون حتى أن يرفع وجهه عن كفه، وراح عقله يراجعه، لقطة لقطة، بل شريحة شريحة.. انتبه بنيامين للطفل الذي كان يعزف البيانو مع جمانة، واهتز كيانه عندما دوت لحظة الانفجار، ليس بسبب الانفجار، ولكن بسبب ما رآه في النصف ثانية التي فصلت بين الانفجار وتوقف بث الكاميرات، في تلك الفترة البسيطة اهتزت الكاميرات بشكل أخفى تفاصيل الصورة، ولكن بنيامين استطاع أن يميز تحرك إلياسين وحمله للبيانو بيد واحدة واختفائه مع جمانة!

«مستحيل!»

قالها بنيامين بهدوء وعمق أثار فضول إليانا التي كانت لا تزال تقف مترقبة أوامره.. قالها وهو يعيد اللقطة مراراً ليقنع نفسه بتصديق ما يراه بأم عينه الإلكترونية. تضاعف ذهوله وهو يركز في الزاوية التي بالكاد تُظهر سوسن ومرام وحوجن وجمارى، وأصبح يعيد الفيلم بجنون بين لقطتين: قبل وبعد اختفاء حوجن وجمارى وإلياسين وجمانة.

كانت أبتسامته تتسع مع دهشته، رفع رأسه ببطء وأصدر أوامره لإليانا:

«جهزي الكبسولات وطائرة Stealth Bomber سنبدأ المرحلة الأخيرة الآن!»

«ولكن.. قد يتسبب ذلك في..»

«إليانا، حياتي وحياتك مهددتان بالخطر أكثر من حسام وإياد، نفذي الأوامر وحسب قبل أن تلغي تسيبي ليفني صلاحياتنا»

«أوامرك سيد بنيامين، سيكون كل شئ جاهز خلال ساعتين و..»

«ساعة واحدة فقط! وخلالها أريد الحصول على تفاصيل تحركات واتصالات زوجة إياد وأخت حسام منذ لحظة وصولهما إلى باريس بالإضافة إلى تقرير مفصل لمستجدات عملية احتجازهما»

همّت إليانا بالانصراف، لم تكن تعلم أن بنيامين لازال يعيد تشغيل ذلك المقطع بين عينه وذهنه وأنفاسه تتسارع لهفةً للوصول إلى حل أكبر لغز واجهه في حياته.

الدموع -في المعتاد- تحمل إحدى رسالتين: الحزن، أو السعادة. ولكن دموع الأمهات تختلف، كانت كل دمعة تنحدر على وجنتي السيدة منال العقيل محملةً برسالتها الخاصة، دمعة حزن، دمعة تضرع، دمعة تساؤل، والكثير من دموع القلق.

الانفجار الذي وقع في فندق الماريوت أحدث انفجاراً آخر لا يقل عنه عنفاً مزق فؤادها، كادت أن تستقل أول طائرة من نيس إلى باريس لتلحق بزوجها السيد منصور الذي ألغى أعماله هناك وهرع للاطمئنان على إياد وسوسن وجمانة، ولكن رسالة أخرى تلقتها من السيد منصور فجرت المزيد من قنابل القلق في وجدانها، رسالة مقتضبة أرسلها من هاتف ابنها القديم المسجل باسم Dr. EZ إلى هاتف خادمتها:

«أنا منصور، خذي أول رحلة من نيس لروما ومن هناك لجدة، لا تقولي لأي أحد ولا تاخذي جوالك، رح أقابلك في جدة مع إياد وسوسن وجمانة إن شاء الله، أحبك»

توالت دموعها وهي تتكئ برأسها على نافذة الطائرة، لم تكن تعلم أن كل ذلك كان جزءاً من خطة لإنقاذ الجميع من قبضة أعتى المنظمات السرية، خطة وضعها زوجها بالتعاون مع عفريت من عالم الجن.

لم يكن السيد منصور الزايدي أقل حزناً ولا قلقاً على حرمه، انطلق بسيارته اللامبورغيني ذات الدفع الرباعي والتي أهداها له إياد بمناسبة عيد ميلاده الستين؛ انطلق بمحاذاة الطريق الشمالي السريع متجهاً نحو البقعة التي حددها ليلتقي بحوجن بعد أن يفلت من قبضة المنظمة، كان السيد منصور يفكر كما لو كان قد تعامل معهم من قبل.. أو عمل لمصلحتهم. التوجه إلى المطار أو السفارة السعودية في باريس كان بمثابة استسلام للمنظمة فهم سيتوقعون ذلك حتماً وسيراقبون جميع الطرق المؤدية إليهما، الحل البديل كان بتأمين عودة السيدة منال عبر روما، والتوجه نحو السفارة السعودية في بروكسيل مع مراعاة التخلص من جميع الهواتف المحمولة التي قد تتبعها المنظمة. كل شئ سار حسب الخطة بحذافيرها، إلى أن لا حظ السيد منصور طائرة هيلوكوبتر تلوح خلفهم في الأفق، فبرزت شرايين صدغه معلنة عن توتره:

«مستحيل!!»

سوسن التي احتضنت ابنتها جمانة في المقعد الأمامي شاركت السيد منصور قلقه:

«بابا؟ إش حصل؟!»

«أرسلوا هيلوكوبتر تطاردنا، كيف قدروا يحددوا مكاننا؟! تركنا كل الجوالات، فتشي ملابسك وملابس جمانة بسرعة أكيد فيه جهاز تتبع!»

نبشت سوسن ملابسها وملابس جمانة بجنون، وصرخت عندما تذكرت إسورة الليتيل پونيز التي أهداها بنيامين لجمانة.. نزعتها على الفور وكادت أن تلقي بها ولكن السيد منصور أوقفها بصرخة:

«لا ترميها! هاتيها بسرعة!»

تناول السيد منصور الإسورة وزاد من سرعته ليقترب من هدفه، شاحنة النقل التي أمامه!.. سار بمحاذاتها، ألقى الإسورة عليها بكل قوته وانحرف يميناً مخترقاً غابة إيرمينونڤيل التي فرشت أغصانها على أعتاب باريس.

الوصول إلى مزرعة صديقه كريستوف أوغستين عبر غابة ايرمينونڤيل استغرق ساعتين إضافيتين، توقف عند باب كوخها بحذر، وقبل أن يترجل من اللامبورغيني دوى صوت كريستوف، صديقه الفرنسي الذي لم يره منذ سنوات:

«تركتك شاباً يافعاً وعدت إلي عجوزاً مع أحفادك يا منصور!»

ألقى السيد منصور بتوتره جانباً وذهب ليعانق صديقه القديم:

«أتذكر أنك كنت تحتفظ بالمزيد من الشعر يا كريستوف، ولكن الدلتا التهمت أطرافه، وأبهتت بريقه الذهبي!»

«الحسناوات يفضلن الناضجين يا عزيزي!»

ضحكاتهما شجعت سوسن، فحملت جمانة واقتربت لتلقي التحية على السيد كريستوف:

«هذه سوسن، زوجة إياد، وهذه جمانة حفيدتي.. سلمي على عمو كريستوف يا جمانة»

انحنت جمانة لتلقي تحيتها الإتيكيتية وبلهجة فرنسية تقطر لباقة ولطفاً:

«سعدت برؤيتك سيد كريستوف»

لم تكد تعتدل حتى سمعت هتافاً مألوفاً:

«جمانة!!»

تجاهل تعليمات السيد كريستوف بعدم الخروج وانطلق ليحتضن جمانة:

«إلياسين!! إش تسوي هنا»

خرجت مرام تسندها جماري، فانطلقت سوسن لمعانقتهما؛ رمق السيد كريستوف السيد منصور بطرف عينه وابتسامته وهو يقول:

«كنت أظن أنك كبرت على خوض المغامرات، أنت مدين لي بالكثير من القصص على ما أعتقد»

شعر السيد منصور بالكثير من الارتياح لرؤية مرام وجماري، ولكن بقي تساؤل يقلقه، وقبل أن يسأل أجابته جماري وهي تحاول السيطرة على دمعتها:

«حوجن راح لإياد وحسام، وصلته رسالة من بنيامين!»

المكالمات والرسائل بين حوجن وسوسن قبل أن يلحق بهم إلى باريس كانت مفتاح الحلول لجميع الألغاز في ذهن بنيامين، فبعد أن شاهد بنفسه اختفاء إلياسين وجمانة وحوجن وجماري في تسجيل كاميرات المراقبة في فندق الماريوت قبيل الانفجار كان بحاجة لتحديد مكان تلك "الكائنات" ووسيلة التواصل معها وأتته الإجابة عبر تحريات إليانا.. ذلك المدعو حوجن هو مفتاح اللغز!

«حياة حسام وإياد في خطر، تتبع الرابط لإنقاذهما»

رسالة مقتضبة أرسلها إلى هاتف إياد القديم الذي يستخدمه حوجن باسم Dr. EZ كانت كفيلة بإرغامه على ترك جماري ومرام وإلياسين في معية السيد كريستوف أوغستين بعد أن تمكن من الإفلات من قبضة المنظمة بأعجوبة وتخلص من سيارة الإسعاف حيث تلبست جماري جسد مرام وانتحل حوجن شخصية زوجها الذي يبحث عن سيارة أجرة تعيده وزوجته المصابة إلى مزرعتهم أو بالأحرى العنوان الذي أخذه من السيد منصور: مزرعة كريستوف.

انطلق حوجن متتبعاً وميض النقطة على الرابط الذي حدده بنيامين، لم يحمل معه سوى الهاتف، والمسدس الذي حصل عليه من رجل العصابة في الإسعاف، والكثير الكثير من القلق. كانت النقطة تقترب أكثر فأكثر من مكان يعرفه جيداً.. مقر سكنه.. الهندية.

«نحن نقترب كثيراً من المياه الإقليمية السعودية سيد بنيامين»

قالتها إليانا بتوتر وهي تقود طائرة الـ Stealth Bomber مخترقة خليج العقبة نحو النقطة التي انطلقت منها اتصالات حوجن.

«لهذا السبب اخترت طائرة Stealth Bomber لكي ننهي المهمة دون أن نزعج الرادارات، ولكن الحمقى في وزارة الدفاع أصروا أن يرسلوا معنا مقاتلات F-35 كي لا نلتهمها»

«هل أنت مقتنع حقاً أن هناك من سيظهر لإنقاذ حسام وإياد؟»

«سنتأكد بعد دقائق، أرسلت رسالتي إلى الشبح حوجن منذ أكثر من ساعة، لو كان يستطيع الانتقال آنياً لكان قد ظهر الآن، لا بد أن ننهي كل شئ حالاً»

كان أسطول الـ Stealth Bomber ومقاتلتي F-35 يمر بمحاذاة جزيرة تيران، يحمل كبسولتين مصممتين للمهام الخاصة في أعماق البحار بعد أن أجرى بنيامين عليهما تعديلاته، احتوت إحداهما حسام والأخرى إياد، وتمت برمجتهما للانطلاق نحو سواحل جزيرة تيران النائية.

لم تتضمن مخططات بنيامين القضاء على إياد وحسام مختنقين في أعماق البحر الأحمر، كانت الخطة الأصلية أن يضعهما في مواقف حرجة ليستفز قدرات حسام الخارقة على الظهور، ولكن طرأت تعديلات على الخطة عندما برز حوجن للصورة، حيث ستستقر الكبسولتان على شواطئ جزيرة تيران التي تحتل نفس حيز مدينة الهندبة في البعد الآخر. امتص بنيامين حزنه وتوترة كي لا تظهر على نبرة صوته وهو يقول:

«أوصليني بحسام وإياد، أنا بحاجة لتوديعهما على كل حال، حتى إن حالفهما الحظ في النجاة فلا أعتقد أنه سيحالفني!»

أرسل بنيامين رسالته عبر السماعات المثبتة في الكبسولتين اللتين تحملان إياد وحسام، تلقاها حسام وحده فإياد لا يزال غائباً عن وعيه؛ توجه نحو إليانا التي تحمل أدوات التحكم بالكبسولتين وأمرها بإطلاقهما بعد أن يأس من ظهور حوجن.

وقبل أن تنفذ إليانا الأوامر دوت الإرتطامة! جسم ما اصطدم بزجاج الطائرة، مجرد صوت بدون أي معالم، جعل إليانا تنحرف بالطائرة كردة فعل، بينما جحظت عين بنيامين الاصطناعية واحتلت الابتسامة كامل وجهه وهو يهتف:

«وأخيراً!»

توالت الارتطامات، تزيد من ذعر إليانا ونشوة بنيامين، بلغ الذعر والنشوة ذروتيهما عندما ظهر مصدر الارتطامة، حوجن الذي بدأ يتشكل وهو متشبث بيمناه بإطار النافذة أمام بنيامين وبيده الأخرى المسدس الذي هوى به بكل قوته على الزجاج، أطلقت إليانا صرختها وهي تنحرف بالطائرة بشدة أرغمت حوجن على الإفلات.. والتلاشي.. عن الأنظار.

صرخة أخرى دوّت، ولكن عبر سماعات أجهزة التواصل هذه المرة من قائد الـ F-35:

«اللعنة ما هذا؟! إنه يطلق علي النار!»

ارتدت طلقة المسدس عن زجاج المقاتلة، أعاد حوجن الكرة، ولكن نحو محرك الطائرة هذه المرة، نفدت الطلقات، دون أن تنفذ أياً منها.. ازداد تشبث حوجن بالطائرة، بأمله الأخير في الوصول لإياد وحسام، اشتعل إصراراً وغضباً وأطلق صرخته المدوية بين الأبعاد وقائد الطائرة يعتصر محركها النفاث..

«هذه أوامر مباشرة للجميع بالانسحاب والعودة إلى القاعدة فوراً، عليكم بالانسحـ..»

انبتر صوته، في الواقع انبترت طائرته أيضاً! اتلاشت مقدمتها مع جزء من محركها وجناحها..

انتقلت إلى بعد الجن لأقل من ثانية ثم ظهرت مرة أخرى لتتهشم في شطرها الآخر الذي واصل انطلاقه وهوت الصخرة المعدنية المشتعلة على شواطئ جزيرة تيران.

«أطلقي الكبسولات يا إليانا!»

قالها بنيامين وهو يربط أحزمته، تجاهلته إليانا التي امتلأت رعباً من ظهور حوجن وسقوط الطائرة وأوامر القيادة، مد بنيامين يده إلى لوحة التحكم لإطلاق الكبسولات، أمسكت إليانا بيده معترضة، ولكنه دفعها بقسوة وهو يقول:

«لقد جاء من أجلهما، عليكِ أن تتخلصي منهما إن كنتِ تخشين مواجهة العفاريت»

انطلقت الكبسولات، غاصت لعدة أمتار في أعماق البحر الأحمر قبل أن تشق طريقها نحو شواطئ جزيرة تيران.

بنيامين، كعادته، لم يأبه بأوامر القيادة. أطلق زر مغادرة الطائرة ليختتم سلسلة المفاجآت المرعبة لإليانا، قُذف مقعده في الهواء وانتشرت مظلته ليهبط بهدوء على ساحل تيران ويلحق بكبسولتي إياد وحسام. سعادته بالخطوات التي خاضتها ساقاه في مياه البحر وهو يقترب من الكبسولتين فاقت سعادة عروس تُزف إلى فارس أحلامها، جثا على ركبتيه، بدأ بفتح كبسولة إياد وبعده حسام وهو يضحك بهيستيريا غير مبررة ويردد:

«كنت متأكداً من استنتاجاتي! عقلي لم يخذلني قط!!»

لم يكد يفتح كبسولة حسام حتى باغتته ركلة أكفأته على مقدمتها الزجاجية، التفت وهو يواصل:

«وأخيراً التقينا يا صديقي»

حوجن الذي اكتفى بالتجسد دون التشكل، رفع بنيامين من تلابيبه وصرخ في وجهه:

«ها أنا ذا أيها المختل اللعين! ماذا تريد مني؟!»

استسلم بنيامين لقبضة حوجن، نظر في الفراغ الذي صدر منه صوته، كانت تروس عينه الا صطناعية تدور بجنون محاولة التقاط أي إشارة:

«وجودك يكفيني.. أنت الدليل!! أنت بوابة العبور بين العلم والميتافيزيقا!»

غضبٌ حوجن دفع بلكمة أخرى نحو معدة بنيامين، ولكن الأخير لم يسمح لها بالعبور هذه المرة، فلازال يحتفظ ببصيرة المكفوفين التي تجعله يرى الأصوات والحركات، أمسك بنيامين برسغ حوجن اللامرئي:

«من تكون يا حوجن؟ ماذا تكون؟»

بدأ وجه حوجن بالتشكل تدريجياً، اضطربت تروس عين بنيامين من فرط الإثارة واتسعت عدساتها الكريستالية عندما اتضحت ملامح حوجن وهو يتشكل في عالمنا ويقول بكل صرامة وغضب:

«كل ما تحتاج معرفته الآن هو أنني سأقتلع عنقك إن أصيب أحد بمكروه!»

جلس السيد منصور والسيد كريستوف في الشرفة المطلة على مزرعة الأخير، يراقبان جمانة وإلياسين وهما منهمكين باللعب مع الكلب فيتال الذي يفوق حجمه حجميهما مجتمعين.

«هاه يا صديقي العجوز، احكِ لي قصتك، أتوقع أن تكون أكثر إثارة وجنوناً من مغامراتك أيام الشباب، لا تخب ظني أرجوك»

قالها كريستوف وهو يشعل اللهب في جوف غليونه، فرد عليه منصور بعد أن أجبر كريستوف ابتسامته على الظهور:

«ليست المشكلة في كمية الإثارة، وإنما في مقدرتك على التصديق، لأنني حتى الآن أواجه صعوبة في تصديق ما تراه عيناي»

«أتمنى أن لا تكون لأصدقائك القدامى علاقة بالأمر»

«عندي شكوك بأنهم هم الذين يطاردونا»

«ماذا!؟ ظننت أنك قطعت علاقتك بالمحفل منذ التسعينات»

«لقد كان طيشاً وطموح شباب، ما أشيع عن الماسونية كان مغرياً على قدر ما كان مرعباً، ولكنني تشجعت بعد أن علمت بانضمام شخصيات اجتماعية ورموز دينية للمحفل»

«لا أعلم مالذي دهاك! شخص ناجح فذ مثلك ليس بحاجة للالتحاق بمنظمة لتحقيق أحلامه»

«التحقت بالمحفل الماسوني الفرنسي اللاتيني لأنه أرقى بكثير من نظيره الإسكوتلندي/أنجلو-أميريكي فهو يمثل الجناح اليساري المتحرر من الماسونية»

«بالتأكيد، كل ما هو فرنسي يتفوق على نظيره الإنجليزي بدون شك.. ولكن الماسونية هي الماسونية»

«بمجرد الوصول للمرتبة الثالثة بدأت أكتشف أن شعاراتهم ليست إلا ستاراً للكوارث التي لا يطلع عليها سوى النخبة من أفرادهم، لذا قررت أن أتوقف عن مغالطة نفسي، منذ أن تم قبولي أوهموني بأن الهدف من انتمائي لهم هو جعلي إنساناً أرقى، أن تقوى علاقتي بربي، وعلاقتي بأسرتي، وأدائي في عملي وتعاملي مع الناس، تلك الادعاءات الوردية اختفت خلف الطقوس المريبة التي يمارسونها والسرية المفرطة حتى فيما بينهم، بدأت أتأكد من تورطهم في الكثير من الجرائم فقررت قطع علاقتي بهم»

«أعتقد أن دخول المحفل أسهل بكثير من الخروج منه»

«الخروج من المحفل يعني القتل ذبحاً أو شنقاً، هذه شروط الانضمام إليهم، لقد هددوني عدة مرات بالفعل، ولكن جرأتهم على الاغتيالات تقهقرت، بعد أن كانوا لا يتوانون عن تصفية رؤساء الدول وملوكها تراهم اليوم يستميتون لتلميع صورتهم، يحاولون المحافظة على نفوذهم بأي طريقة في الوقت الذي بدأ فيه الوعي يكتسح العالم وأصبح سلاح السرية وترويج الأكاذيب بلا قيمة. قضيتهم الآن ليست معي، وإنما مع إياد وزوجته سوسن، تفجير فندق الماريوت كان تغطية لاختطافهما»

ازدادت عيني كريستوف جحوظاً وكاد أن يختنق بدخان غليونه:

«ولكن الجماعات الإسلامية تبنّت التفجير!»

«الجماعات الإرهابية، المنظمات السرية، العصابات الإجرامية.. مجرد مسميات مختلفة للأوغاد الذين يقتاتون على دماء الأبرياء وأموالهم وحرياتهم، ما يقلقني هو إصرارهم على اختطاف إياد وسوسن، عملية انتحارية، وهجوم على مستشفى ومطاردة هيلوكبتر، مالذي يدفعهم للمخاطرة بسريتهم واستفزاز الحكومة الفرنسية لهذا الحد؟»

«ومالذي تنوي عمله؟ كيف ستتخلص منهم؟»

«غداً سأتوجه إلى السفارة السعودية في بروكسل لتأمين عودتنا إلى جدة»

«وماذا عن إياد؟»

«إياد اختطفوه قبل التفجير وأخذوه إلى إسرائيل..»

ابتلع ريقه ليتم عبارته المتحشرجة:

«أسأل الله أن يعيده لنا سالماً»

«الشيء الذي لم أفهمه هو ثقة صديقك جو.. جوهان؟»

«حوجن»

«أياً كان.. نظراته كادت تثقبني عندما طلب مني الاعتناء بزوجته وابنه وأخت صديقه لحين وصولك»

«لقد أخبرته بأنك الشخص الوحيد الذي أثق به!»

«وهل ذهب فعلاً لإسرائيل لمساعدة إياد؟ كيف؟ أليس سعودياً؟ وبالتالي لا يستطيع دخول إسرائيل؟»

تبسم السيد منصور وهو يداري سر حوجن بدعابة:

«يمكنك اعتباره كائناً من عالم آخر»

غروب الشمس في بقعة نائية كجزيرة تيران يعني أن الليل سيلتهم بردائه كل شئ، ولن يسلم من سواده سوى الثريا المتناثرة التي تزينه بثقوبٍ أقصى ما تستطيع فعله هو فصل سماء مرصعة عن أرض حالكة. السكون كان إلزامياً لحسام وإياد وحوجن وبنيامين بعد الأهوال التي مرّوا بها، التقط حسام أنفاسه، واستعاد إياد وعيه بفعل الأدوية المحفزة التي تجري في أوردته، تخلى حوجن عن تشكله، وتجاهل بنيامين جميع المخاوف التي تنتظره في إسرائيل؛ جلس الجميع في مواجهة البحر وعزفت لهم الأمواج خلفية لا تليق بحوارهم المتوتر:

«أعتقد أن تجاريك انتهت الآن سيد بنيامين، انتهت وألقت بنا إلى هذه الجزيرة التي لا توجد عليها أي مخلوقات غيرنا»

قالها حسام بصوت يصارع الغضب والتعب فرد عليه بنيامين:

«كنت أظن أن هذه الجزيرة مأهولة، وإلا كيف أجرى حوجن منها اتصاله بسوسن؟»

اتسعت عينا إياد وهو يهتف:

«ماذا؟ حوجن هل..»

«سوسن عرفت كل شئ! اطمئن جميعهم بخير الآن،
لقد تركتهم مع..»

«حوجن نحن مراقبون»

قالها حسام مقاطعاً حوجن، تذكر إشارة بنيامين له في المطعم واستنتج أن هناك من يراقب كل ما تبثه عينه الإلكترونية، ولكن بنيامين رد عليه مطمئناً:

«لقد أطفأت عيني يا حسام بعد أن رأيت حوجن، اطمئن»

«وهل تتوقع أننا سنثق بك بعد محاولتك قتلنا عدة مرات أيها الصهيوني الوغد الحقير؟!»

قالها إياد الذي كاد أن يقفز ليطوق برقبة بنيامين لولا إصاباته، ورد عليه الأخير:

«من حقك أن تشتمني كما تشاء ولكن إياك أن تنعتني بالصهيوني! لا يشرفني الانتماء إلى عصابة تقتات بقاءها بقتل الأبرياء وتحقق مصالحها بتدمير العالم»

«أهذه خدعة جديدة؟»

«بنيامين لا يكذب الآن»

قالها حوجن الذي استشف صدق بنيامين من توازن الطاقة المنبعثة منه، فواصل الأخير:

«لقد خدعوا أمي بالانتقال من لوس آنجلوس والاستيطان في إسرائيل إثر وفاة والدي، لم يكن لديها خيار بعد أن تحولت أمجاده في صناعة السينما إلى أكوام سراب وديون ولم يترك لها سوى جنين قُدر له أن يولد في شهره السابع مع الأهوال التي مرت بها في المستوطنة، فقدت بصري بسبب غلطة تافهة، أهملت الممرضة تغطية عيني التي لم يكتمل نموها بعد! تحولت أمي إلى شوكة في حلوقهم، ساهمت في جميع الحملات المعارضة للمخطط الصهيوني، أنتجت عدة أفلام وثائقية لفضح جرائمهم، وقعّت مع ابناء الناجين من الهولوكوست على وثيقة دعم غزة وفضح الكيان الصهيوني ومتاجرته بهم. كانت تنطلق إثر كل عملية قصف على المدنيين بعربتها الجيب التي جهزتها خصيصاً لعبور الأنقاض وإنقاذ الضحايا، كانت تتشاجر مع ضباط الجيش بشكل يومي، وتسخّر جل جهدها ووقتها ومالها وعلاقاتها لتوفير الرعاية للأطفال الذين تنقذهم من تحت قذائف الجيش الإسرائيلي، كل ذلك إلى جانب الاعتناء بابنها الكفيف.. وفي النهاية.. قتلوها»

توقف بنيامين، التقط نفساً حارقاً أجبر عينه الإلكترونية على البكاء، كاد أن يحطم حصان الشطرنج الأسود وهو يعتصره في قبضته ويواصل:

«قذيفة قبة حديدية انطلقت في يوم الهدنة أثناء عملية الهاوية السحيقة في أغسطس عام ألفين وأربعة عشر أحرقت أنقاض بيوت الأبرياء بينما كانت والدتي تحاول إخراج بعض الأطفال من ذلك الجحيم. تلقيت الخبر وأنا أستعد للانضمام لجامعة سينغولاريتي في أمريكا، توقف جزء من قلبي عن الخفقان، تلاشت جميع عواطفي، تحولت إلى كهل في لحظة، وأقسمت أن أحقق وعدي لها بأن أسخر حياتي من أجل البشر، بعد أن فشلت في تحقيق حلمي بأن أراها أمامي ولو لمرة واحدة، لم أر سوى قبرها وبقايا صورها وأفلامها. من حسن حظي أن حكومة إسرائيل مهووسة بدعم العلم والتكنولوجيا، وإلا لانتهى بي الحال عالة على الجمعيات الخيرية. فُتحت لي الميزانيات على مصارعها لتحقيق الهدف الوحيد الذي يجمعني بالحكومة الإسرائيلية: التفوق العلمي والتكنولوجي»

«لخدمة المشروع الصهيوني!»

«المشروع الصهيوني يتهاوى، يحتضر، نحن نندفع بشدة نحو عصر جديد، عصر تلتهم فيه الإنسانية والعلم بقايا الأيدولوجيات التي استعبدت البشر ومزقت أشلاءهم لآلاف السنين، ولكن الحمقى لا يستوعبون ذلك، وعلى رأسهم الصهاينة والمنظمات التي تدعمهم»
«عدنا للماسونية»

قالها إياد الذي لم يكن يعلم أن تلك المنظمة بالذات متغلغلة في حياته لدرجة أن والده كان أحد أعضائها..

«لقد نجحت الصهيونية والماسونية بصناعة وهم المال ومن ثم السيطرة عليه، لماذا يحظى الذهب والألماس بهذه القيمة برأيك؟ لماذا اتفق الكون على أن هذا المعدن وذاك الحجر هما مقياس الثروات؟ ومن الذي يكدسها ويسيطر على مخزوناتها؟ من الذي يتحكم بالنظام المالي العالمي ويتلاعب به؟ معادلتهم بسيطة، السيطرة على النخبة باستخدام النفوذ والرغبات والمصالح، والسيطرة على العامة بتسخير الجهل والأيدولوجيات وإبقائهم أسرى داخل طواحين السعي لتحقيق متطلبات الحياة، تلك هي المعادلة التي استخدموها طوال عقود.. أو بالأحرى قرون، وبدأ تأثيرها يتقلص مع ازدهار العلم وانتشار الوعي، الماسونية لم تعِ بعد أن قلاعها السرية سوف تنهار تحت وطأة الانفجار المعلوماتي»

«وماعلاقة ذلك كله بمحاولة قتلنا واختطاف أهالينا؟»
«أولاً يجب أن تعرفا أنني لم أنو أن أهدر أرواحكما بهذه البساطة، كان لا بد أن أقنعكما بأن حياتكما مهددة كي أجبر عقولكما الباطنة على الاستجابة في الوقت الذي اتخذت فيه كافة الاحتياطات لإنقاذكما إن تطلب الأمر، كنت أراقبكما منذ أن فجرت أنباء حسام الأوساط الطبية، وعندها اكتشفت أن هناك قوى خفية ترافقكما، كنت أظن أن حسام اكتسب بعض قدرات التيليكنيسيس أثناء غيبوبته وأنه يتحكم بالأشياء ذهنياً عن بعد»
ابتسم وهو يلتفت نحو الجهة التي صدر منها صوت حوجن وتابع:
«لم يخطر ببالي أبداً أنني بصدد اللقاء بعفريت حقيقي»
أجابه حوجن الذي لا يزال يشتعل غضباً:
«لقد كدت أن تقتل سوسن ومرام وجمانة!»
«لم أخطط أبداً لاختطاف سوسن ومرام وجمانة، فقط أردت أن أتابع تحركاتهم ومراقبة اتصالاتهم للوصول إلى حل اللغز، ولكن خرجت الأمور عن سيطرتي عندما تدخل اللعين داني شنايتزر، الشخص الذي جمع الخبائث من أقطابها بولائه المقرف للصهيونية والماسونية، لقد أقنع السلطات بأهمية عملية التقية، أي إخفاء آثار اختطاف حسام وإياد وأدار هو عملية التفجير الأحمق بواسطة الأذرع الماسونية في باريس»

عقب عليه حوجن:

- «لقد طاردونا باستماتة، خاطرت بحياة زوجتي وابني لإنقاذ سوسن ومرام وجمانة، تركتهما مع شخص لا أعرفه وجئت لكي أخلص حسام وإياد منكم»

«ونجحت يا حوجن! أسقطت مقاتلة F-35 شرسة بيديك العاريتين وستأخذ حسام وإياد في ضيافتك الآن»

«حدود الهندية تبدأ من الجهة الأخرى لجزيرة تيران، وفي كل الأحوال لن أستطيع أن أنقل حسام وإياد معي»

«أهي محاولة لإخفاء أسرارك؟ ظننتك اقتنعت بصدقي قبل قليل»

«هذه حقيقة! انتقال الإنس إلى عالمنا شبه مستحيل!»

جحظ بنيامين بعينه الإلكترونية المطفأة وقال مندهشاً:

«ولكن جمانة اختفت لحظة الانفجار وظهرت بعد ثوانٍ على بعد مئات الأمتار! كيف حصل ذلك؟ لا بد وأنها انتقلت عبر بعد آخر!»

زفر حوجن وهو ينقل بصره بين إياد الغارق في آلامه وقلقه وغضبه، وبنيامين الغارق في فضوله:

«ابني إلياسين.. لا أعرف كيف استطاع أن يفعلها؛ نقل جمانة إلى بعدنا عند وقوع الانفجار»

«ألم تنتزع نصف الطائرة وتلقي بها في البعد الآخر قبل قليل؟!»

«لا أعرف كيف حصل هذا صدقني، غضبي يجعلني أطلق تلك الصيحة التي تتنقل بين الأبعاد.. هناك الكثير من الأساطير عن أجدادنا الذين كانوا..»

كاد بنيامين أن يقفز من مكانه وهو يهتف:

«قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك!!»

تعجبوا من استشهاده بالقرآن ومن حماسه المفرط وهو يواصل:

«الانتقال الآني يتم عبر بعد آخر يختلف فيه المجرى الزمني، الذي عنده علم الكتاب يستطيع الانتقال إلى ذلك البعد؛ (أنا آتيك به) تلمّح إلى مجهود ووقت، ولكن كونه انتقل إلى البعد الآخر فالوقت الذي أمضاه فيه للانتقال إلى سبأ ومن ثم نقل العرش عبر ذلك البعد والعودة به لم يمثل سوى جزءاً من الثانية في بعدنا (قبل أن يرتد إليك طرفك)»

اضطرب حوجن عندما قفز بنيامين إلى ذلك الاستنتاج:

«نحن من سلالة الفيحيين، نسل حنائيل خادم الملك سليمان وابنه منليك وحارس تابوت العهد ورفيق ذي الكتاب..»

«قد يكون جدك عفريت الجن الذي عرض على الملك سليمان نقل عرش ملكة سبأ قبل أن يقوم من مقامه! ولكن هذا يعني أنه يستطيع نقله عبر بعد الجن ولا يمتلك القدرة على الانتقال للبعد الآخر!»

«التحكم التام في الانتقال إلى الأبعاد التي تسمو على بعدينا علم لم يمتلكه سوى صاحب الكتاب، ورث إلياسين كامل قدرات أجدادنا في الانتقال بين أبعاد الإنس والجن، والأهم أنه يستطيع أن ينقل معه البشر دون أن تتمزق أجسادهم بين الأبعاد، جماري زوجتي ورثت قدرات التشكل، تستطيع أن تتقمص أي شخصية بمجرد الحصول على أثر»

«عينة من الحمض النووي!!»

قاطعه بنيامين الذي أُنهك عقله كما لم يُنهك من قبل من فرط التحليل لكل ما يقوله حوجن الذي واصل:

«أما أنا فقدراتي محدودة في التشكل ونقل الأجسام بين بعدنا وبعدكم فقط»

قفز بنيامين إلى السؤال الأهم:

«أتعلم أين مكان تابوت العهد؟!»

«حمل جدي حنائيل التابوت وعاد به مع الملك منليك إلى سبأ وعاش بعدها خمسمائة عام حامياً لدير التابوت في وادي فيح»

«أنت تتحدث عن كنيسة ماري سيدة صهيون في أكسيوم، الآن اتضحت الصورة! حسب مخطوطة عظماء النجاشيين كيبرا نجاشت فإن الملك منليك ابن الملك سليمان وملكة سبأ هو الذي أخذ التابوت بعد وفاة والده وخبأه في أكسيوم التابعة لملكته.. لقد بدأت السلطات الصهيونية التحرك بهذا الصدد فعلاً، في عام ألفين وتسعة صرح البطريرك الإثيوبي أبونا بولس أثناء زيارته للبابا بينيديكت الخامس عشر في الفاتيكان عن وجود التابوت في إثيوبيا وعن مشروع إظهار تابوت العهد على الملأ، ومن ثم تدخلت الأذرع الماسونية والصهيونية لضمان انتقال التابوت إلى إسرائيل بعد بناء الهيكل ولكن لسبب ما تمت تصفية البطريرك الأثيوبي ورئيس وزراء إثيوبيا في ظروف غامضة بعد تصريحاتهم.. لا بد وأنهم يسعون للحصول عليه، هذا إن لم يكونوا قد استولوا عليه بالفعل»

حوار حوجن وبنيامين رسم الصورة الكاملة التي تكشف لغز تابوت العهد، الصورة التي لم تكن لتتضح لولا تسليط الضوء عليها من جانبيها الإنسي والجني.. اختتمها حوجن قائلاً:

«منقوش على تمثال جدي حنائيل أن التابوت سيبقى لآخر الأزمان تحت حراسة ابن الجان والإنسان»

«فعلاً الآية ذكرت عفريت الجن والإنسي الذي عنده علم الكتاب، هل يُعقل أن تكون تلك إشارة لجدك حنائيل ومهندس الهيكل حيرام آبيف؟ ألهذا السبب أطلق اسمه على أحد أبراج الهيكل.. برج حننئيل؟ والتابوت إن كان موجوداً فعلاً فما الذي يمنع الصهاينة من الاستحواذ عليه؟ لا لا من المستحيل أن يكونوا قد حصلوا عليه، ستكون تلك كارثة بكل المقاييس، ستستعيد الصهيونية والماسونية قوتها وجبروتها ومصداقيتها التي بدأت تتقهقر حتى بين أفرادها.. ليس ذلك فحسب، ماذا لو حمل التابوت المزيد من الأسرار العلمية؟ لقد تمكن الصهاينة والماسونيون من بناء كيانهم بفتات العلم الذي استخرجه حراس الهيكل من تحت الأنقاض، مابالكم بالتابوت نفسه وما يحمله من أسرار؟ يجب أن نتوصل إلى التابوت قبلهم، يجب أن نمنعهم من الوصول إليه»

بالرغم من أن الحوار استحوذ على اهتمام حسام وإياد، إلا أن الأخير عقب باعتراض:

«الآن تأكدت تماماً بأنك مختل! جنونك انتهى بنا في هذه الجزيرة النائية وبدلاً من البحث عن مخرج ها أنت تتبجح بتحدي الماسونية»

صمت بنيامين للحظة ثم وجه حديثه لإياد بكل صرامة:

«سيد إياد، ماذا يعني لك مستقبل جمانة؟ أيرضيك أن تحيا في عالم يسيطر عليه حفنة من الشياطين؟ إن كنت تهتم لمستقبلها فأنا همي مستقبل ثمانية مليار نسمة، وعدي الذي قطعته لوالدتي قبل أن تلفظ آخر أنفاسها لن أتوانى عن تحقيقه حتى تنتهي أنفاسي»

نبرة بنيامين كانت كافية لإقحام الجميع في ذلك الوعد، وتأكيداً لذلك قال حسام:

«بنيامين، لست الوحيد الذي لا يبالي بتقديم حياته من أجل الإنسانية، ولكن قبل ذلك علينا أن نفكر بوسيلة للخروج من هذا المأزق!»

«أمامنا عدة دقائق قبل وصول القوات الإسرائيلية، لم أتوقع أبداً أن يدمر حوجن المقاتلة، بانفجارها ستنفجر الأوضاع في حكومة إسرائيل ووزارة الدفاع، سيهبون إلينا بجنون قبل أن تندلع أزمة سياسية إسرائيلية أمريكية سعودية»

«وما دخل أمريكا في كل هذا؟»

«لقد دمر حوجن إحدى أحدث وأشرس مقاتلاتهم بكل سهولة وبالتالي ستنهار قيمتها السوقية مما سيثير جنون الأمريكان»

زفر إياد بعض آلامه التي تتصاعد مع تضاؤل مفعول المسكنات وهو يقول:

«ولم لا نختبئ في الجزيرة عوضاً عن انتظار قدوم قوات الجيش؟»

«التوغل في الجزيرة غاية في الخطورة، لقد لغمت القوات الإسرائيلية رمالها بالمتفجرات قبل أن تغادرها، لكن بوجود حوجن تختلف جميع المعايير.. بدأت تتشكل لدي بعض الخطط.. عليكم بداية أن تموتوا لبعض الوقت!»

طرح عليهم بنيامين ما لديه وأعاد تشغيل عينه الإلكترونية ليبدأ بتنفيذ مخططاته.

من الصعب إيجاد عبارات تصف مقدار الأمان الذي شعر به السيد منصور وسوسن ومرام وجمانة عند وصولهم لأرض الوطن.. وإن كانت تلك الأرض بقعة صغيرة على لويس آفينيو في قلب بروكسيل تمثل سفارة المملكة العربية السعودية لدى بلجيكا.

استقبل معالي السفير عبدالرحمن الأحمد السيد منصور الزايدي استقبال أخ لأخيه، جلس الجميع في مكتب الأخير، بما فيهم جماري وإلياسين الذين عادا إلى البعد الجني بعد أن أنهكمها التجسد بين الإنس. بادرهم معالي السفير بفضول وقلق:

«الحمدلله على سلامتكم، الجميع كان قلقان من يوم ما سمعنا بخبر تفجير الشانز إليزيه ووجود ضحايا سعوديين»

أجابه السيد منصور الذي ألقى بثقله على المقعد المجاور لمكتب معالي السفير وأسدل رأسه ليسمح لفقرات رقبته وظهره بالتقاط أنفاسها:

«الحمدلله إنهم أعلنوا عن أسماء الضحايا بعد ما لقيت سوسن، كان ممكن تجيني جلطة لو صدقت الخبر!»

«المهم إنكم بخير الآن، كلها دقايق أكلم معالي الوزير أطمنه وأصدر جوازات جديدة لسوسن ومرام وجمانة وأرتب رحلتكم لجدة.. لكن طمني.. ما في أي أخبار عن إياد وحسام؟»

«للأسف إياد وحسام مختطفين، كل الدلائل تشير إلى إنهم في إسرائيل الآن..»

«معقول!؟ لازم أبلغ معالي الوزير!»

«معاليكم لازم تعرف شي مهم»

قالتها سوسن التي بدأت بالفعل بتنفيذ خطتها لإنقاذ زوجها وواصلت:

«أخبار الإنفجار انتشرت في الإنترنت، الكل كان يعتقد أننا بين الضحايا بالذات بعد اختفائنا من مواقع التواصل الاجتماعي بعد ما كنا متواجدين طوال فترة معرض حسام في مركز جورج پومپيدو.. لكني دخلت على حسابي في تويتر اليوم، وأرسلت أول رسالة من لحظة الإنفجار»

أخرجت الهاتف المحمول الذي حصلت عليه فور قدومها لبلجيكا وفتحت الرسالة التي تلقفها رموز الإعلام الجديد والتهمت اهتمامات الملايين لتصعق بها الجميع.. وعلى رأسهم الوزير:

«انفجار الشانز إليزيه كان مؤامرة، إياد وحسام مختطفين في إسرائيل! أرجوكم #أنقذوا_إياد_وحسام»

احترق رداء الليل على جزيرة تيران، بددته عشرات المصابيح الساطعة التي انطلقت كالشهب تشق مياه البحر الأحمر نحو آخر نقطة رصدت منها إشارات عين بنيامين الإلكترونية، قفز أفراد القوات الإسرائيلية الخاصة من الزوارق المصفحة ليطوقوا المنطقة، يقودهم أحد أشرس الضباط السابقين وأعضاء الكنيسيت ومنظمة إسرائيل الغد الحاليين، وأكثرهم حسداً لبنيامين.. داني شنايتزر..

كان بنيامين جاثياً على ركبتيه بجوار الكبسولتين اللتين لفظتا جسدي حسام وإياد فاختلطت دماؤهما برمال الشاطئ وأمواجه، أحاط الجنود بهم، أشهروا مصابيحهم ومدافعهم الآلية نحو وجوههم وأفسحوا الطريق ليتقدم داني نحو ضالته.. ثنى إحدى ركبتيه وارتكز على الأخرى واقترب بوجهه من بنيامين وهو يقول بلهجة تقطر سخرية:

«كنت أظنك قد لحقت بأمك الخائنة.. ولكنك لا تزال على قيد الحياة.. لسوء حظك»

«لقد.. لقد رأيتُ كل شيء.. إنهم قادمون.. برمودا ليس إلا البداية.. بداية النهاية»

كان بنيامين يهذي بتلك العبارات الغير مترابطة.. لم يأبه بها داني كثيراً وهو يلتفت نحو إياد وحسام..

«لقد فقدت عقلك، لا ألومك.. فقدت عقلك والدميتين اللتين كنت تجري عليهما تجارب أفلام الخيال العلمي الغبية!»

«لقد ماتوا.. قتلهم جميعاً!!»

«اسمع يا بنيامين، كلانا يعلم أنني أحصل على كل ما تبثه عينك الإلكترونية! كفاك تمثيلاً لدور الأحمق! مشاهد قتالك مع مسخ خفي، والمعركة التي حصلت قبل قليل بينكم والتي يفترض أنها أدت إلى مقتل العربيين.. تريدني أن أصدق كل ذلك؟ أنا متأكد من أنك تستخدم ألاعيبك لفبركة تلك المشاهد وبثها من خلال عينك!»

«وهل تظنني قادراً على فبركة جثتين أمام عينيك؟! دعهما هنا لم يعد لهما أي فائدة، وها أنذا بين يديك خذني للقيادة، هناك معلومات هامة لابد أن يطلع عليها الجميع!»

أشار داني لأحد جنوده فهب لتقصي نبض حسام وإياد، خلع قفازه وضغط بأصابعه على الشرايين السباتية في رقبتي حسام وإياد ليلوح برأسه يمنة ويسرة معلناً مفارقتهما الحياة..

«حسنٌ.. لا ضير من التأكد، في الواقع أنا لا أثق سوى برصاصاتي»

قالها داني وهو يتجه بخطوات متثاقلة نحو الكبسولتين.. لم يخطر بباله أن حسام يستطيع أن يخفض عدد دقات قلبه لبضع نبضات في الدقيقة، وأن حوجن فعل نفس الشيء بقلب إياد وهو يتلبس جسده ويتحكم بعضلاته وأعصابه، ولكن تلك الخطة المحكمة لم تنطلِ على حدسه.. فألصق فوهة مدفعه الآلي بصدغ حسام.. وبدأ السباق! سباق بين سبابة داني التي اعتصرت الزناد وقبضة حسام التي طوّقت بماسورة المدفع، وبنيامين الذي انقض بكل قوته.. وفازت سبابة داني! انطلقت الرصاصة ولكنها انحرفت عن حسام لتتغلغل في أحشاء بنيامين، وهب حسام وإياد، أو بالأحرى حوجن الذي كان يسيطر على جسده أثناء تلبسه، والتحما بداني وجنوده في هجمة يائسة أنهتها الرصاصات بسرعة.

تقدم داني نحو بنيامين الذي بدأ يفقد وعيه من فرط الألم والدماء التي فقدها، رفعه من تلابيبه بشراسة، رمق عينه الإلكترونية بنصف ابتسامة:

«انتظر انتظر يا صديقي، لا أريدك أن تموت الآن؛ أنسيت أنك مدين لي بمنضدة سجائر إلكترونية؟ هيا أيها المسخ، سجل آخر لحظات حياتك، أريدك أن تستمتع برؤية وجهي قبل أن ترسل قبلاتي إلى والدتك في الجحيم»

استجمع بنيامين ما تبقى له من أنفاس، سعل نصفها مع بعض الدماء وهو يقول:

«أنت ترتكب أكبر حماقة في حياتك! يجب أن أقابل أسيادك الماسونيين، لقد عرفت كل شيء!»

أمسك داني برقبة بنيامين بيمناه، وانتزع عينه الإلكترونية بيسراه وركله بكل قوته حيث اخترقت الطلقة معدته ليطلق صرخة ممزوجة بزفرة أسدلت الستار على وعيه.. وعلى تلك الليلة الجحيمية.

www.bbc.com/news/world-middle-east-28910761

24 August 2014 Last updated at 10:39

BBC News Sport Weather iPlayer TV

NEWS MIDDLE EAST

Home World UK England N. Ireland Scotland Wales Business Politics Health Education

Africa Asia Australia Europe Latin America Middle East US & Canada

Holocaust families criticise Israel over Gaza
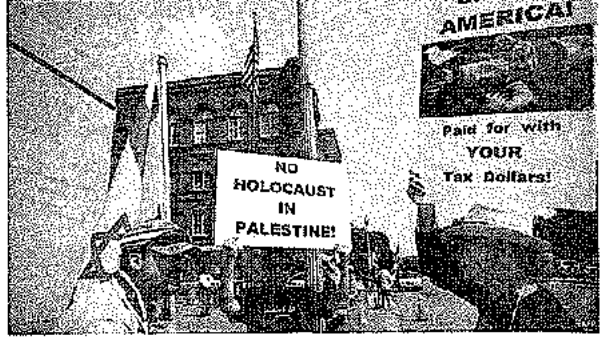
Israel's actions in Gaza have generated heated debate in parts of the US

More than 300 Holocaust survivors and their descendants have issued a statement condemning what they call Israel's "genocide" in Gaza.

The International Jewish Anti-Zionist Network placed the statement as an advertisement in the New York Times.

It was in response to an advertisement by Holocaust survivor Elie Wiesel which compared the Palestinian militant movement Hamas to the Nazis.

More than 2,000 people have been killed in Gaza in the ongoing conflict.

Most of them were civilians. On the Israeli side, 68 people - mainly soldiers - have been killed.

Israel and the Palestinians

The children scarred by war

Nascent threat

Stagnating system

Peace paused?

Google Earth

Ermenonville

Sign in

Ermenonville

Ermenonville

(7)

جواد بين البيادق

لكل منا عينان..

تفرحان، تحزنان، تغضبان، تهمسان، تصرخان. تنزفان دموعاً، تعزفان وميضا.

مرآتان لوجداننا، سفيرتان لجناننا.. لا تنتهي مهمتهما إلا بانطفائهما.

ولكن..

هناك من يجبرهما على الحياة رغم موتهما، يشعلهما رغم خبو بريقهما.

ابن التاسعة، لم يرَ النور قط إلا في أحضان والدته، كل منهما يجلب السعادة رغماً عن أنفها للآخر. لا يكف عن الضحك والقفز والركض منافساً المبصرين، لا يختلف عنهم سوى بالأصوات التي يصدرها أثناء ركضه لتنير الطريق في عقله مع صدى خطواته المتهورة التي رسمت لوحة من الكدمات على جبينه.

جلس أمامها متحدياً، مشطت أنامل قدميه صوف السجادة وهو يؤرجحهما ذهاباً وإياباً واعتصر أفكاره ليحقق انتصاره في لعبة الشطرنج، والدته المحترفة التي ورثت شطرنجها ذو القطع المعدنية ومهاراته من والدها الفار من الجحيم النازي إلى الآمال الأمريكية، لم تتهاون مع طفلها الضرير هذه المرة، هي تعلم أن عينه الرمادية الباهتة التائهة في الفراغ لا ترى الرقعة، ولكن دماغه فصّل المعركة بحذافيرها، علمته كيف يحسب إحداثيات مواقع الجيش، رسم ملامح كل منهم ويهو يعتصرهم بين أنامله، مد يده إلى جواده الأسود الذي يحفظ موقعه عن ظهر قلب، وسدد ضربته القاضية بحصار الملك:

«كش.. مات؟»

قالها بنيامين متساءلاً، غير مصدق أنه انتصر لأول مرة وبكل جدارة، صفقت له والدته بقلبها وكفيها، قفز من فرحته، ارتطم كتفه بالطاولة فتبعثرت قطع الشطرنج المعدنية، صرخ الصبي وكأنه انتصر في معركة حقيقة، كانت بالفعل معركة حقيقية أخرى تعده لها والدته، تحسس القطع المتناثرة بحثاً عن جواده الأسود الذي يميزه بنقوشه وخدوشه، رفع وسامه عالياً وهو يهتف:

«لقد انتصرت! انتصرت!!»

حلّت الإسورة الجلدية الحمراء الملفوفة حول رسغها بينما واصل:

«سأتحدى الجميع! لن يهزمني أحد بعد الآن!»

تناولت الحصان الأسود من يده، عقدت خيط اسورتها الحمراء حول قاعدته وربطته فتدلى رأساً على عقب، وتوّجت فلذة كبدها بتلك القلادة وهي تقول:

«الوحيد الذي يستطيع هزيمتك هو غرورك يا بنيامين!»

التقط الجواد بفركه بأنامله وهو يقول:

«سوف أصبح بطلاً للعالم، لا يوجد مستحيل أليس كذلك يا أمي؟»

«الانتصار يا بني لا يكون بهزيمة الآخرين.. الانتصار يكون بنفعهم وإسعادهم»

«أنا أريد أن أسعدك أنتِ يا أمي»

«إذا أردت أن تسعدني فعليك أن تعدني»

لقد أنستها أهوال الحياة أنها تتحدث إلى طفل في التاسعة، لقد رأت في بقايا عينيه إصرار زوجها وأحلامه التي انطوت برحيله:

«عليك أن تعدني بأن تسخر نفسك لتغيير هذا العالم للأفضل»

أحكم الفارس قبضته على جواده وهو يقول:

«أعدك يا أمي! سأغير العالم»

احتضنته، تعلم أن صغيرها لن يتوانى عن تحقيق أي شئ من أجلها، شعرت أنه سيخوض حرباً طاحنة مع الشياطين الذين يجرّون العالم إلى جحيمهم.. تأمل وجهها بأنامله، وجّه مقلتيه إلى مقلتيها وواصل في حزم:

«وأعدك أيضاً أن أراكِ يا ماما، أراكِ بعيني كما ترينني الآن»

فتحت كلماته سيل عيونها اعتصرته بين أضلاعها وهي تقول:

«طبعاً سوف تراني يا بنيامين، سيتطور الطب في المستقبل وسوف..»

قاطعها الصبي الفارس:

«لن أنتظر الطب كي يتطور، سأصنع عيني بنفسي!»

شهق بنيامين، اختفت والدته، استيقظ من أحلامه وعاد لشحوبه وآلامه. شهقته أعتصرت آلام جرحه المتشعب بين بطنه وضلوعه. هبّت إليانا التي لم تبارح جواره طوال الليالي العشر التي أمضاها في الوحدة العسكرية في مجمع سبأ الطبي في تل هشومر، قفزت معها أمل التي تمكنت إليانا بأعجوبة من الحصول على إذن لخروجها من دار الأيتام. تعلقت أمل برقبة بنيامين بتلقائية لم تستوعب جراحه وآلامه التي كبحتها سعادته بها.

«أمل! ستؤلمين بنيامين!!»

«دعيها يا إليانا، ليس سوى جرح بسيط»

«جرح بسيط؟! لقد فقدت ضلعين وكلية! مكثت خمسة أيام في غيبوبة كاملة في العناية المركزة وتقول جرح بسيط؟!»

ندمت إليانا على فشلها في كبح عاطفتها أمام أمل، لم تكن تعلم أنها منهمكة في حديث سري مع بنيامين، الذي تناول راحة يدها الصغيرة وراح ينقر عليها بأنامله ويواصل حديثه في نفس الوقت مع إليانا:

«والآن أنا بخير، اطمئني كلية واحدة تكفيني!»

ناولته القصدير الذي تحضره معها في كل زيارة وهي تقول:

«حسنٌ، حاول أن لا تفقدها إذن كي لا أضطر للتبرع لك بكليتي!»

تناول القصدير منها، أعطى نصف لأمل وبدآ بممارسة هواية أخرى لا يشاركهما فيها أحد، جلست إليانا تراقبهما وهما يكوران القصدير ويشكلان منه تحفاً فنيه، ويتهامسان بالنقر على راحتيهما بأناملهما.. قام بنيامين بتجسيد وجه أمه بالقصدير مرة أخرى قبل أن تضع طرقات حازمه على باب الغرفة حداً للحظاتهم السعيدة المقتضبة، لم ينتظر الطارق إجابة فدخل، أو بالأحرى دخلت بخطواتها الثقيلة التي بثت الرعب في أوصال إليانا فسحبت أمل من ذراعها:

«هيا يا أمل يجب أن نذهب إلى الاستراحة، سنعود إلى بنيامين لاحقاً»

حاولت أمل مقاومة إليانا، ولكن رعبها أجبرها على المغادرة لتترك بنيامين بمفرده مع تسيبي ليفني.

«سنبدأ التحقيقات غداً»

قالتها بعد أن جلست على طرف سريره وعقدت ساعديها وساقيها فأجابها:

«هذا من لطفك، وبالمناسبة، شكراً على الأزهار»

«ألا تتوقف عن السخرية أبداً؟»

أشارت إلى تماثيل القصدير المرصوصة حول بنيامين وواصلت:

«أظنك قد حصلت على ما يكفي من الهدايا، لقد أنهكت فريق الحراسة بتفتيش كل رقاقة قصدير علّها تحمل شفرة بشكل ما»

«اطمئني، لست سوى مصاب ضرير قابع تحت حراسة عاتية!»

«اسمعني جيداً، أريد أن أعرف كل شئ قبل أن تبدأ التحقيقات، أرجوك يا بنيامين، لقد أوليتك ثقتي، سمعتي وتاريخي في خدمة إسرائيل على المحك الآن»

«الموضوع ببساطة هو أنني اكتشفت أسرار مثلث برمودا وحادثة روزويل ومكان تابوت العهد. باختصار توصلت لحلول معظم الألغاز والماورائيات التي حيرت العالم في القرون الماضية»

«بنيامين!!»

«كائنات من عوالم أخرى أخفت الطائرة للحظة، تماماً كما كانت تفعل عندما هددت الحكومة الأمريكية باختطاف المزيد من الطائرات والسفن في مثلث برمودا»

«اسمع، لقد كادت الإدارة أن تتركك لتلقى حتفك بعد إصابتك المميتة، ولكننا قررنا أن نبذل كل ما بوسعنا لإنقاذ حياتك ومعرفة الحقيقة»

«آه، أبقيتموني على قيد الحياة وتركتم لي كلية كاملة.. يعجز لساني عن إيجاد كلمات امتنان مناسبة للطفكم.. سحقاً لكم.. سحقاً جزيلاً!»

«كنت متأكدة من أن تهورك سيودي بحياتك، ولكنني لم أكن أظنك بالحمق الذي يجعلك تقاوم كتيبة مهام خاصة!»

«أهذه القصة التي أقنعكم بها داني؟»

«كمين للاعتداء على كتيبة قوات خاصة، خطورة من الدرجة الأولى تطلبت تصفية جميع المتورطين.. هذا هو التقرير الرسمي، يمكنك أن تضيف أقوالك غداً إن أحببت»

«كنت أظنكِ أفطن من ذلك يا سيدتي، تعرفين داني وتعرفينني، إن كان هناك أحمق بيننا فلن يكون أنا بالتأكيد، لقد فبرك قصته ليصفّي حساباته معي، وبالطبع سيشهد مرتزقته لصالحه»

«أتمنى أن يحالفك الحظ لإقناع لجنة التحقيق بذلك»

أشار بنيامين إلى التجويف الذي كانت تحتله عينه الإلكترونية، نقر بسبابته على القاعدة المعدنية بجمجمته وهو يقول:

«لم يكن إطلاق النار علينا مبرراً، كل شئ مسجل بالصوت والصورة!»

«وهل تتخيل أن داني سيعيد إليك عينك الإلكترونية؟»

«أوهمت داني الأخرق بأن تتبعه لإشارات عيني قد نجح وأنه يراقبني طوال الوقت، لقد أرسلت إشارة لإتلاف أنظمة تشغيلها قبل أن ينتزعها بلحظة»

جحظت عيناها وفغر فاهها وهي تقول:

«أيها اللعين! لقد أرسلت الملفات المسجلة إلى خادم آخر»

ابتسم وكأنه رأى فاهها الفاغر بالفعل وقال:

«كل شيء مسجل في سحابتي العزيزة! وإرسال نسخة من جميع تلك الملفات إلى عدد من الشخصيات الدبلوماسية في إسرائيل وفرنسا والسعودية وأمريكا لن يتطلب حتى وجودي على قيد الحياة!»

وقفت تسيبي فجأة وقبضت على تلابيب بنيامين بطريقة لا تليق أبداً بسيدة في سنها وصرخت في وجهه:

«اسمع أيها المسخ اللعين، لقد جعلتني أندم بما فيه الكفاية على الثقة التي منحتها لك، لقد تفجرت أزمة سياسية بالفعل، بالذات بعد أن جيّشَت زوجة صديقك شبكات التواصل الاجتماعي وأشعلت الرأي العام لإنقاذ زوجها، أضف إلى ذلك انفجار الطائرة المقاتلة في أكثر بقعة حرجة في البحر الأحمر، أتعلم مالذي يعنيه هذا؟ لقد جن جنون أمريكا وأرسلوا فريقاً للتحقيق، لقد دمرت صفقاتهم المستقبلية لبيع طائرات F-35!!»

شدت قبضتيها على تلابيبه واعتصرت حروفها بين أضراسها وهي تواصل:

«إن تجرأت على المساس بأمن إسرائيل فسأفصل رأسك عن جسدك بيدي!»

ضحك بنيامين ضحكة آلمت تقلصاتها أمعائه الممزقة، فاجأها بتمرير أنامله على تقاطيع وجهها وشعرها وهو ويقول:

«يا إلهي لم أركِ بهذه العصبية من قبل، الآن فقط افتقدت عيني الإلكترونية! اسمحي لي بصناعة تمثال من القصدير لوجهك الغاضب!»

جفلت من مباغتته، لم تنتبه لشمراتها التي علقت بأنامله، امتصت غضبها الذي نجح في استثارته رغم خبرتها ومنصبها، واستمعت إليه وهو يواصل:

«هل تعتقدين فعلاً أن مثلي يعبأ ببقاء رأسه على كتفيه؟ اطمئني فقائمة أهدافي لا تتضمن المساس بأمن إسرائيل حتى هذه اللحظة، هدفي الوحيد هو خدمة الإنسانية.. ولتذهب الصهيونية إلى الجحيم إن تعارضت مصالحها مع مصالح البشرية!»

«يالك من وغد خائن لوطنك»

«أحمل جوازَي سفر، أحدهما بنسر والآخر بشمعدان، ولا أدين بالولاء لأي منهما، ولائي الوحيد للإنسانية! ولكن.. جنسيتي الأمريكية على الأقل تعدني بتسيير الجيوش إن أصابني مكروه، ولم تنتزع كليتي حتى الآن»

«من الأفضل أن لا تتبجح بجنسيتك الأمريكية، لقد اطلّعت على تفاصيل تحركاتك ومنظمة EI8 التي أنشأتها هناك!»

«تحركات؟ منظمة؟ ألم تتخلصي بعد من أبجديات الموساد؟ Exponential Impact 8 شركة رسمية تمتلك غوغل نصف أسهمها وتضم ثمانية من نوابغ جامعة السينغولاريتي تحت إشراف راي كورزويل شخصياً، هدفنا تحسين حياة ثمانية مليار نسمة على هذا الكوكب! أي ألف ضعف الثمانية ملايين نسمة التي أفنيتِ حياتك من أجلهم»

«كفاك تنظيراً يا بنيامين! قل لي ما الذي تريده بالضبط؟!»

«عرض سخي من امرأة لا تعترف بالتنازلات! ما الذي يرعبكم لهذه الدرجة يا ترى؟»

أخرجت هاتفها وزفرت وهي تقول:

«لا تتصنع الحماقة! كيف نتخلص من هذه الكارثة التي جلبتها لنا؟»

قامت بتشغيل مقطع التقطته كاميرات المراقبة في وحدة العناية المركزة في المستشفى العسكري بتل أبيب، كان المقطع يبين جسد إياد الخامد المتصل بالأنابيب والأسلاك، بدا كل شيء ساكناً لعدة لحظات..

وفجأة اضطربت الإضاءة في الغرفة، واضطرب معها كل شيء.. شيء ما.. أو.. شخص ما بدأ بالصراخ ودك الجدران المسلحة وأطلق عبارة واحدة مرعبة:

«سوف أحرقكم جميعاً»

انطلقت صرخة مدوية ومن ثم تلاشى المقطع.. لم ير بنيامين أي شئ ولكن الضجيج والصراخ والعبارة المرعبة كانت كفيلة بنقل المشهد، علّقت تسيبي التي ينتابها الهلع كلما شاهدته:

«عفريتك الخفي هاجم المستشفى العسكري، لقد اختفى باب وحدة العناية المركزة وجزء من الحائط»

«لا بد وأن أصدقائي العفاريت أحبوا إلقاء تحية عابرة»

«لدينا ما يكفي من الأعداء يا بنيامين، لن نتمكن من مواجهة أعداء جدد.. ليس بهذا الشكل، أرجوك يا بنيامين أغلق بوابات الجحيم التي فتحتها! ويمكنك بعدها ترك إسرائيل واللحاق بأصدقائك في أمريكا»

«كل ما أريده منك هو تأمين عودة حسام وإياد إلى السعودية وانتقال إليانا وأمل إلى أمريكا إن أصابني مكروه»

تفاجأت من طلبه، وواصل بكل ثقة:

«سأتولى أنا الباقي، فقط احميني من حماقات الوغد داني!»

لم تكن المرأة الفولاذية تعلم أن بنيامين قد وضع خطته بالفعل، خطته التي تتضمن التصعيد بإرسال رسالة إلكترونية إلى أحد أبرز رؤوس الماسونية على وجه الأرض، سيد يحتل درجة يجهل معظم الماسونيين بوجودها، تجري في عروقه الدماء الملكية البريطانية ويقبع على عرش المحفل في لندن، رسالة مقتضبة جداً لا تتجاوز ثلاث كلمات:

«وجدت تابوت العهد»

قادت إليانا سيارتها المنمنة على الطريق الساحلي عائدة من تل أبيب إلى حيفا، مالت أمل برأسها على النافذة، أناملها لم تتوقف عن التربيت على زجاجها وكأن بنيامين سيستجيب لعبارات نقراتها. توقفت النقرات فهمست إليانا:

«أمل؟ هل نمتِ»

يستحيل أن تنام وهي تستعيد لحظاتها مع بنيامين، ومن المستحيل على الشخص العادي أن يميز إذا ما كانت نائمة أم مستيقظة فعيناها مطفأتان في جميع الحالات.

«لماذا كانوا سيقتلون بنيامين؟»

«لا تخافي يا أمل، سيكون بنيامين بخير، سنذهب جميعاً للعيش في أمريكا.. هل تتذكرين كل ما قاله لك؟»

«طبعاً، كل حرف!»

ازداد توتر إليانا، أطفأت هاتفها المحمول وانحنت في طريق جانبي من باب الاحتياط كي تتأكد من تملصها من المراقبة.

«أتستطيعين أن تخبري السيد عماد الآن؟»

اقشعر بدن أمل، لم تقتنع أبداً أن السيد عماد زكي والذي أصبحت ترجماناً بينه وبين بنيامين مجرد شخص عادي، ابتلعت ريقها وأومأت برأسها فهمست إليانا بصوت متوتر متهدج:

«أستاذ عماد؟ أنت معنا الآن أليس كذلك»

لحظات صمت كادت أن تسبب لها الشلل قبل أن يصدر الصوت من المقعد الخلفي الفارغ:

«نعم يا إليانا أنا هنا.. بم أخبركم بنيامين؟»

شهقت الفتاتان، بالرغم من أنها لم تكن المرة الأولى التي يحاوران فيها كائناً من عالم آخر، لحظة الرعب الحقيقية كانت عندما استطاع حوجن أن يتخلى عن تلبسه لإياد بعد أن اضطر للبقاء في جسده والإبقاء على وظائفه الحيوية إثر إصابته بطلقة مميتة من جنود داني شنايتزر، كان حوجن يعلم أن جسد إياد لن يحتمل إصاباته إلا لو تلبسه وأجبر قلبه على مواصلة الخفقان إلى أن تستقر حالته. الخطة التي وضعها بنيامين قبل أن يتعرضوا لهجوم داني كانت تعتمد على تواصل حوجن مع إليانا، الطرف الوحيد الذي يثق به بنيامين.

غادر حوجن جسد إياد والمستشفى العسكري بعد صدمة الهلع التي سببها لهم، لم يستطع الخروج من الغرفة المصفحة إلا عبر انتزاع بوابتها والإلقاء بها إلى بُعد آخر، وتوجه فوراً إلى العنوان الذي تلقاه من بنيامين.. عنوان إليانا. لقاؤهما الأول كان مرعباً لإليانا، ومطمئناً لها في نفس الوقت، حيث عرفت أن بنيامين لا يزال على قيد الحياة، وأن حوجن، العفريت الذي هاجمهما وكاد أن يُسقط طائرتهما يقف الآن في صفهما..

بدأت أمل بسرد ما قاله لها بنيامين بواسطة النقر على راحتها، طريقة التواصل التي لم يخطر ببال جهاز المراقبة المشددة والتي جردت بنيامين من جميع وسائل التواصل أنها شفرة معقدة وليست مجرد لعب طفولي. التفتت أمل للمقعد الخلفي معتقدة أن هناك شخصاً يجلس عليه بالفعل، ابتلعت ريقها وهي تقول بالعبرية وإليانا تترجم بالعربية الممزوجة بالإنجليزية.. لغة التخاطب بينها وبين حوجن:

«لقد أخبرته بكل ما طلبتموه، أخبرته بأن حسام تماثل للشفاء بسرعة، وأن إياد لا يزال في وضع حرج في وحدة العناية المركزة، وقال أنه يحتاج لطريقة آمنة للوصول للإنترنت»

«مستحيل!»

قالتها إليانا بشهقة فأخرجت أمل من جيبها شعرات ومدتها نحو المقعد الخلفي وهي تقول:

«يقول بنيامين أن زوجة السيد عماد تستطيع انتحال شخصية تسيبي ليفني إن حصلت على شعراتها»

من قال أن عقارب الساعة تسير بسرعة ثابتة؟ ألا نراها تفر من نفحات السعادة؟ وتتلكأ مع الأحزان؟ أمّا لحظات التوتر والقلق فتصيبها بشلل تام! خيّم ذلك الشلل على الجميع في قاعة استقبال الضيوف في قصر السيد منصور الزايدي شمال مدينة جدة، التزم الجميع الحزن والصمت والسكون، فيما عدا جمانة والياسين، اللذين لم تتعود قلوبهما الصغيرة بعد على حمل أثقال الهموم، فبات لعبهما همساً في جوف لوحة مصمتة ضمّت السيد منصور والسيدة منال والسيدة رجاء وسوسن ومرام.. وجماري.

«ربنا يطمّنا عليهم ويرجعهم بالسلامة يا رب»

قالتها السيدة رجاء التي لم يبلغ قلقها ما بلغه قلق الباقين وهي تربت على شعر ابنتها سوسن في حضنها وعقب السيد منصور:

«جاني اتصال من مكتب وزير الخارجية، بكرة اجتماعهم مع السفير الأمريكي، وإن شاء الله يطمنونا أول ما ينتهي الاجتماع»

«حوجن»

هتفت بها جماري وهبّت فجأة نحو الباب قبل أن تبدأ الطرقات.. فتحت الباب وارتمت في حضن حوجن وتبعهم إلياسين لينال نصيبه من الحضن العائلي.

«كيف تثق في ذاك الإسرائيلي بعد كل ما سببه لنا؟!»

قالها السيد منصور بعد أن سرد عليهم حوجن تفاصيل ما حدث، فأجابه:

«بنيامين كان على وشك ينقتل قدام عيني وهو يدافع عن إياد وحسام، وعلى كلٍ ما عندنا خيار ثاني!»

«ولكن كيف؟ كيف يساعدنا وهو محتجز تحت حراسة الجيش الإسرائيلي؟»

«عنده خطة للضغط على حكومة إسرائيل عشان يرجعوا إياد وحسام.. ولكن..»

نفحة الأمل التي بثها لم تلبث أن تلاشت عندما واصل:

«ولكن نحتاج جماري.. لازم تنتحل شخصية تسيبي ليفني!»

التفت الجميع نحو جماري التي عقبت بشجاعة:

«أنا معاك يا حوجن! إن شاء الله نقدر نرجع إياد وحسام!»

«وأنا كمان! لازم أروح معاكم.. لازم أساعدك وأحمي أمي صح؟»

قالها إلياسين بصرامة رجل بالغ، ثنى حوجن ركبتيه وتأمل ابنه المتشكل في هيئة صبي باهت البشرة فاحم الشعر والعينين، مسح على خده وقال:

«إلياسين.. كيف قدرت تشيل جمانة وقت الإنفجار؟»

اكتفى إلياسين بنقل بصره بين والديه خشية التوبيخ فواصل حوجن أسئلته:

«تقدر تنقل أي إنسي يا إلياسين؟»

حدق الصبي في عين والده، شعر بنبرة الرجاء في سؤاله، لم يستوعب أحد مغزى السؤال سوى السيد منصور الذي أدرك أن حوجن يبحث عن كل وسيلة ممكنة لإنقاذ إياد.. اقترب منهما وهو يستحث إلياسين:

«إلياسين، عندي لعبة! تقدر تخرجني من البيت بدون ما يشوفني أحد؟»

صعق الجميع وعلى رأسهم حوجن مما قاله السيد منصور، شهقت السيدة منال وهتفت:

«منصور! إنت اتجننت؟!»

التفت إليها السيد منصور وأسكتتها عبارته:

«حوجن بيضحي بنفسه عشان ابننا .. تبغيني أجلس هنا أتفرج؟!»

جثا على ركبتيه أمام إلياسين، أمسك كتفيه وابتسم مشجعاً:

«هيا يا إلياسين.. أتحداك تخرجني من هنا!»

نظر إلياسين نحو والده ملتمساً الإذن، هز حوجن رأسه، أغمض إلياسين عينيه وبدأت صرخته تعلو، صمّت آذان الجميع وأرعبتهم، ارتفعت لدرجة لا تستطيع الأذن البشرية استيعاب ذبذباتها، دفع السيد منصور بكفيه على صدره، شعر السيد منصور بدوار واختناق وضوء غشى عينيه لبضع ثوان، تلاشى الضوء فجأة ليجد نفسه مندفعاً للخلف في فناء بيته، وأمامه باب البيت الذي اختفى أيضاً لثانية وسقط على العتبات الرخامية.

اختل توازنه فوقع على العشب؛ اندفع الجميع نحو الباب بقلق، خرجت السيدة منال وهي تهتف:

«بسم الله عليك يا منصور»

سندته زوجته، أعتمد على ذراعها ليقف، عقدت الدهشة لسانه، مسح قطرات العرق التي دفعتها دقات قلبه المضطردة، اقترب منه حوجن وحمل إلياسين الذي بدأ يتشكل مرة أخرى على ذراعه، مسح السيد منصور على شعره قبل حتى أن يتم تشكله انحلت عقدة لسانه وهو يقول:

«محد يقدر يتحدى إلياسين البطل!»

«إلياسين البطل رح يجي معايا عشان نرجع عمو إياد وعمو حسام!»

قالها حوجن وهو يقبّل ابنه، لحقت به جماري.. قرر أن يضحّي بنفسه وزوجته وابنه مرة أخرى من أجل إياد وحسام..

من أجل ثمانية مليار نسمة.

أسدلت تسيبي ليفني رأسها على راحتيها.. وزفرت. رغم كل ما مرّت به من مخاطر وحروب وأزمات خلال حياتها إلا أنها لم تشعر بالقلق كما شعرت به إثر زيارتها لبنيامين، الخطر الآن لا يمكن التنبؤ به، مأزق لا يمكن لإسرائيل الخلاص منه ولا حتى بتدخل وصيتها.. أمريكا.

ماذا لو عاد ذلك الشيء؟ ماذا لو نفذ وعيده؟ ماذا لو هاجمهم جيشٌ من تلك الكائنات؟ نفثت غضبها وقلقها في زفرة أخرى:

«اللعنة عليك بنيامين»

قاطعها أحد الاتصالات التي لا تحتمل التأجيل في تلك الساعة المتأخرة:

«سيدة تسيبي، لقد لاحظ فريق التحري شيئاً مريباً في كاميرات المراقبة، لا بد أن تتطلعي عليه»

أنهت الاتصال وتلقت التسجيل الذي أرسل إليها، كانت للوهلة الأولى لقطة بريئة للعب بنيامين مع أمل أثناء زيارتها له، ولكن الفريق قرب الصورة من كفي بنيامين وأمل فشهقت تسيبي، عينها الجاسوسية لم تخطئ وجود شفرة ما مختبئة خلف تلك النقرات الطفولة، استوعبت أنها خُدعت بواسطة ضريرين!

اندفعت تسيبي في أروقة مجمّع سبأ الطبي في الطابق التاسع متجهة نحو الجناح الذي يخضع للحراسة المشددة، يتبعها حارس من القوات الخاصّة، لم يجرؤ مخلوق على اعتراضها بمن فيهم حراس الأ من على بوابة الوحدة العسكرية بالمستشفى الذين تنحّوا جانباً فور رؤيتهم لها وهي تشق طريقها نحوهم بخطوات أقرب للهرولة ألقت أمرها الصارم لهم بعدم السماح لأحد بزيارة بنيامين واقتحمت الغرفة دون استئذان، أغلقت الباب وتسمّر حارس القوات الخاصة أمامه واضعاً يده الأولى على جراب مسدسه، محكماً تثبيت السماعة المنمنمة في أذنه بسبابة ووسطى يده الأخرى:

«منظر عينيك المشوهتين يصيبني بالاشمئزاز»

هبّ بنيامين من إحدى غفواته النادرة، شعر بالسرير وهو يغوص بجواره، وبنظارته المعتمة تسقط في حجره، تناولها بحذر وهو يقول:

«أتوقع أنكم زرعتم بها قنبلة موقوتة، ياله من أسلوب خلاّق ومبتكر لتصفيتي، على العموم كنت أحتاجها بشدّه فقد أزعجتني أشعة الشمس ورؤية بعض الوجوه هنا! أنا في غاية الامتنان»

«بنيامين، أحتاج إلى بعض التفسيرات حالاً!»

فورما وضع بنيامين نظارته بدأت سماعات ومايكرفونات البلوتوث المثبتة في ذراعيها بالعمل واتصلت بتطبيقات المكفوفين في الهاتف الذي تحمله تسيبي، وبالسماعات المثبتة في أذنها وأذن حارس القوات الخاصة وإليانا التي بقت في مواقف السيارات.

الاتصال بالإنترنت والوصول لحساباته وسحاباته كان كل ما يحتاجه بنيامين لقلب جميع الطاولات، وبوجود تطبيقات المكفوفين الشفهية لم يبق سوى بعض التمويه الذي تكفّلت به تسيبي، أو بالأحرى جماري التي تشكّلت بهيئة تسيبي بعدما حصلت على أثرها.. حامضها النووي من شعراتها وشاهدت مقاطعها في الإنترنت لمحاكاة حركتها وانفعالاتها، وحرصت على تكرار العبارات التي تبثها إليانا في سمّاعتها بدقة فبدأت مسرحية جماري العبرية:

«لقد تعرضت حكومتنا لضغوطات أمريكية من أجل تسليم أصدقائك، الوضع جداً حرج فلو ثبت أنهما في إسرائيل فعلاً فستتعرض الحكومة لعاصفة اتهامات سياسية وإعلامية»

كانت تتكلم ببطء وحذر كي لا تخطئ ما تمليه عليها إليانا، وبالرغم من أنها حفظت جميع العبارات وراجعتها مسبقاً إلا أنها لم تسلم من بعض الأخطاء.. توجه بنيامين نحو النافذة كي لا ترصد الكاميرات حركة شفتيه وواصت جماري مقلّدة نبرة تسيپي:

«نحتاجك لوضع حد لهذه المهزلة»

«وهل تتوقعين أن بيدي ما أستطيع فعله وأنا مقيد هنا؟»

«مالذي تحتاجه بالضبط؟»

«يجب أن أخرج من هنا، أحتاج إلى إجراء العديد من الاتصالات، وأحتاج إلى عيني»

ناولته جماري الهاتف المحمول وهي تقول:

«حسنٌ، تفضل، افعل ما تشاء هنا أمامي!»

«أتسخرين مني؟! كيف لي أن أتحكم بهاتفك بدون عيني؟!»

تظاهر بتحسس الهاتف بينما بدأ بالفعل بإلقاء الأوامر الشفهية همساً للوصول إلى ملفاته وإرسال مجموعة من الرسائل الإلكترونية ثم همس عبر السماعات:

«يجب أن أطلع حوجن على بعض التفاصيل»

حوجن الذي لم يكن سوى رجل القوات الخاصة أجابه هامساً:

«أنا هنا يا بنيامين»

بدأ بنيامين بسرد تفاصيل خطته همساً واستعد لإرسال الرسالة الإلكترونية الحاسمة إلى زعيم الماسونية.. ولكن..

انهار باب الجناح فجأة وانقضّت كتيبة مسلّحة مع آخر شخص يود بنيامين حضوره في تلك اللحظة.. تسيبي ليفني.. الحقيقية!

أشهرَ الجنود أسلحتهم مقاومين الذهول الذي انتابهم لرؤية تسيبي ليفني أخرى أمامهم، أدرك حوجن أن خيار المقاومة أمام ذلك الكم من الأسلحة ضرب من الجنون، دفع بأقرب الجنود إليه، وبدأ بالتلاشي وهو يركض نحو النافذة آخذاً جماري بحضنه بينما لاحقتهما الطلقات الاحترافية. تحطّمت النافذة، هب الجنود إليها بحثاً عن بعض الأجساد الممزقة، ولكن تلك الأجساد لم يبق لها أي أثر.. في عالمهم!

كبّل أحد الجنود ذراعي بنيامين في حين انقضّت عليه تسيبي بلطمة مدويّة تدلّت على إثرها نظارته وبرز تجويف عينه المعدني الخاوي، ابتسم بنيامين وهو يقول بهدوء:

«send»

كان ذلك أمر الإرسال الذي سيغير موازين المعركة، شهقت تسيبي وجحظت عيناها وصرخت:

«اللعنة عليك يا بنيامين! أقسم أن أقتلك! أقسم أن أقتلك أنت والفتاتين!!»

ابتسم بنيامين وهو يقول:

«لقد تأخرتِ كثيراً، ولكن اطمئني، المعركة لم تعد تخص إسرائيل.. لقد أصبحت معركة بيني.. وبين حراس الهيكل!»

انهارت تسيبي، وقعت بثقلها على السرير ودفنت وجهها في راحتيها.. استنشقت ألمها وغضبها ورفعت عينيها المحمرتين المغرورقتين نحو بنيامين وقالت بانهيار:

«بنيامين، أخبرني بالحقيقة»

«أهذا طلب أم أمر أم تهديد؟»

«هذا طلب، طلب أخير، أخبرني أرجوك!»

أشارت للحراس كي يغادروا الغرفة، ترددوا قليلاً قبل أن يمتثلوا لأوامرها، عدل بنيامين نظارته الداكنة وجلس جوارها ونظر إليها بلا عينين وهو يقول:

«سأخبرك بكل ما تحتاجين معرفته، لأن الماسونيين يشمئزون من السيدات، هذا أولاً.. وثانياً لأنني مدين لك بالثقة»

أولته كامل اهتمامها وتركيزها، وهزّت رأسها ناسية أنه لا يراها فواصل:

«الحرب والسلام.. أكثر كلمتين نطقتِ بهما وقضيتِ بينهما حياتك! الآن عليكِ أن تختاري إحداهما! المنظمات الماسونية أصيبت بسعار الحرب، تشعل فتائلها في كل مكان، هدفهم تدمير اقتصاد العالم ليحكموا سيطرتهم عليه مرة أخرى، وأملهم في استعادة مصداقيتهم هو إيجاد تابوت العهد وبناء الهيكل»

كانت تسيبي منخرطة في دهاليز السياسة، ولم تعر اهتماماً للمنظمات الماسونية بما أنها كانت تسبح في مسارات موازية لعالمها.. من وجهة نظرها على الأقل، تابع بنيامين:

«ما أقوله ليس مجرد استنتاج متحذلق، ما أقوله حقائق توصلت إليها عبر بحوث لعدة سنوات، واعترافات من جوف اجتماعاتهم. أتتخيلين ما الذي سيحدث إن نفذوا مخططاتهم؟ ملايين الأرواح ستُزهق من ضمنها عدد لا بأس به من بني إسرائيل! هم يتعبدون سيدهم بالدماء! ألديك شك بأنهم يقدمون عشرات الآلاف من الأرواح كل عام في عمليات مموهة تقرباً من سيدهم؟ أتودين أن أسرد لك قائمة بالحروب التي أشعلوها والعمليات الإرهابية التي نفذوها؟»

شيء ما بداخلها أقنعها بما يقوله، تساءلت بقلق:

«وهل ستقف أنت في طريق مخططاتهم؟!»

«هناك علم دفين بين أسرار الملك سليمان، من يتوصل إليه أولاً سيحسم المعركة! من رأيتهم اليوم جن من سلالة حُراس تابوت العهد، وقد يكونون آخر أمل للوصول إليه، وهم يخوضون المعركة معي..»

وقفت تسيبي بصعوبة، ما سمعته أثقل من أن يُصدقه عقل، ارتكزت على حافة الباب قبل أن تغادر، التفتت وقالت:

«بنيامين، أرجوك افعل ما بوسعك»

ابتسم ابتسامة شاحبة وهو يقول:

«سأفعل ما بوسعي، وأرجو أن تعذريني إن انتهت أنفاسي قبل أن تنتهي مهمتي»

كاد داني شنايتزر أن يصاب بالشلل وهو يقود عربته الفارهة متوجهاً نحو مكتب نديم منصور، السيد الأعظم السابق للمحافل الماسونية في الشرق الأوسط؛ تم نخل ملابسه عند البوابة وجُرد من كل قطعة إلكترونية ومعدنية قبل أن يدخل إلى المكتب الخشبي الجلدي الذي رسى على رقعة شطرنج رخامية يحرسه عمودان مرمريان مكتظان بالنقوش السريانية والرموز الماسونية التي اكتسحت كل شئ في ذلك المكتب. ارتعشت يده وهو يؤدي المصافحة الماسونية لسيده الذي ظل صامتاً لعدة دقائق قبل أن ينهار داني:

«سيدي لقد كان بنيامين يراوغنا طوال الوقت، لم أرغب بإزعاجكم قبل أن أتأكد بأن الموضوع جدير باهتمامكم»

كان داني يشعر بوخز خاتم السيد نديم وهو ينقره على حافة المكتب، نطق التمثال أخيراً:

«يقول أنه وجد تابوت العهد، هل تثق به؟»

«بنيامين وغد مراوغ ولكن دعه لي، لا أحد يستطيع السيطرة عليه أكثر مني!»

«لقد كدت أن تقتله! تخيل لو كان قد توصل بالفعل لأسرار التابوت!»

«سأجبره على الاعتراف بكل شيء و...»

قاطعه سيده بنبرة هادئة:

«لقد طلب مقابلتنا»

ألجمت الدهشة داني فواصل السيد:

«أنا ورئيس الـ UGLE»

«سيدي، لا داعي بأن تزعج نفسك بـ...»

«سيصل السيد الأعظم بعد غد، أرجو الترتيب لمقابلة بنيامين هو ومن معه.. أخبرني إن واجهت أي مشاكل مع الحكومة..»

قالها ودار بكرسيه نحو الطاولة الجانبية معلناً انتهاء المقابلة. استماتت ساقا داني لنقله إلى عربته، حضور رئيس المحفل الإنجليزي الأعظم بنفسه يعني أن القضية أخطر بكثير مما يتخيل، وأن حياته هو شخصياً باتت على المحك.

ثنى حسام ركبتيه حول الحافة المعدنية للسرير الذى لم يكد يرقد عليه في المستشفى العسكري بتل أبيب، تعلق بساقيه وألقى بجذعه للأسفل وشبك يديه خلف رأسه وترك لمريعات بطنه مهمة رفع كامل ثقله. لم يتوقف عن التمرين، ولم يتوقف عقله عن التفكير.. والقلق؛ زحفت الأيام بطيئة تزيد همومه تثاقلاً وهو لا يعرف مصير إياد وبنيامين، ولا حتى مصيره هو؛ تلاشت جراحه بسرعة، لم يكن يشعر سوى بألم الجوع؛ وجبات المستشفى العادية لن تكفي شخصاً يتمتع بثلاثة أضعاف معدل الأيض لمحترف رياضي؛ لم يشتت رتابة تلك الأيام سوى اندفاع مجموعة من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي لغرفته، هبّ واقفاً على قدميه في لحظة مقاوماً شحوبه ونحوله، تبعتهم ممرضة تحمل بدلة سوداء ناولتها لحسام الذي ارتداها دونما نقاش، أحكموا وثاق ذراعيه خلف ظهره واقتاده جيش مصغّر إلى مدخل المستشفى حيث وجد بنيامين الذي استعاد عينه الإلكترونية وارتدى بدلته السوداء ولم يسلم من القيود بدوره. حمل حسام تساؤلاته عن إياد في نظرته لبنيامين؛ واطمأن عندما هز الأخير رأسه ورسم شبح ابتسامة على وجهه. لم تمض لحظات حتى لحق بهم الشاب ذو الملامح الشرق أوسطية والشعر الفاحم، هب جنود الجيش لتكبيله هو أيضاً بينما أطلق زفرة ساخرة وألقى تحية صامتة على حسام وبنيامين.

تقدمت عربة مصفحة سوداء، دفع الثلاثة إليها مع عدد من الجنود، كان مشهداً مثيراً للرهبة بالذات للسيدة التي راقبته من خلف النوافذ الزجاجية، كاد قلبها أن يقفز محطماً صدرها والزجاج عندما ظهر حوجن بهيئة الشاب الشرق أوسطي، استنتاجات بنيامين لم تخب أبداً، أجبرها على تسليمهم، تلاعب بالجميع، أفراد وحكومات وجيوش ومنظمات على رقعته وبقوانينه هو، كانت غاية أمانيها في تلك اللحظة أن يرحل بنيامين وكوابيسه عنها وعن إسرائيل للأبد، لم يسع تسيبي ليفني وقتها سوى أن تهمس:

«لا تخيب ظني هذه المرة يا بنيامين.. أرجوك!!»

RAY KURZWEIL

DESIGN

WIRED
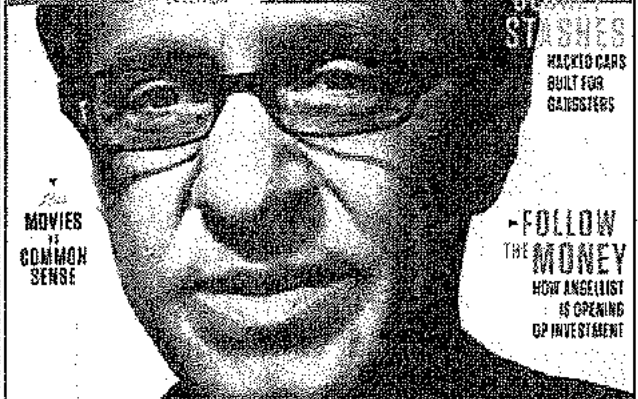
HACKED CARS BUILT FOR GANGSTERS

MOVIES VS COMMON SENSE

FOLLOW THE MONEY
HOW ANGELLIST IS OPENING UP INVESTMENT

LIVE FOREVER!

AND SAVE THE WORLD

RAY KURZWEIL'S
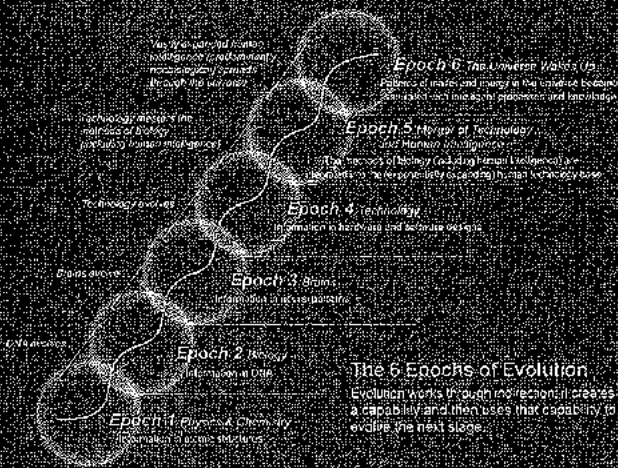
Sheba English
eng.sheba.co.il
Watch our Sixtieth Anniversary film
The Chaim Sheba Medical Center
at Tel Hashomer - Est. 1948
The Hospital of Israel
Sheba - Academic Medical Center Hospital

(8)
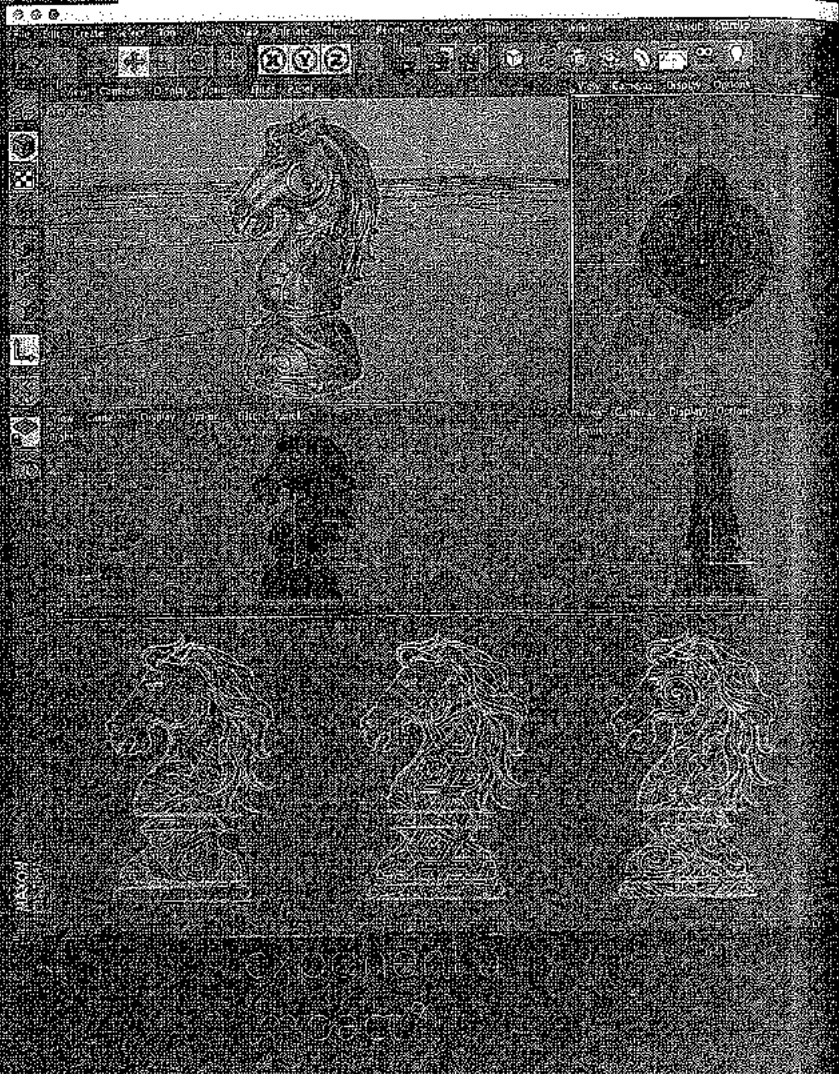
الكتاب والتابوت

ألقى الإمبراطور منليك بتاج الذهب والزمرد جانباً بعدما أثقله بهموم مملكته.. مملكة سبأ، رمى بنفسه وأثقاله تلك على عرش والدته، وفرك همومه على خاتم أبيه. أحلام والده ببناء العالم المتكامل وتوريث أبنائه الثلاثة ممالك الدنيا تكاد تتلاشى مع أطماع إخوته.. فحروب السلطة لا تعترف بروابط الدم.

ارتعدت أطرافه مع ارتعادة بلاط قصره وظهور حارس والده أمامه فجأة مسدلاً هامته جاثياً على ركبته وقدمه، رفع الخادم رأسه فتراخى منليك إذ تعرف عليه، ولكنه ما لبث أن صُعق عندما علا نحيب الخادم:

«سيدي الملك وقع.. سيدي الملك مات»

تقدم منليك من الحارس حنائيل بخطوات مرتعشة، كيف لسيد عوالم الإنس والجان أن يموت هكذا ببساطة؟ ليس هناك متسع للحزن والمملكة على وشك الانهيار تحت وطأة أطماع أخيه من والده رحبعام.. الملك المتوج على مملكة إسرائيل.

«لقد غادر نبلاء الإنس والجان عبر طرائق السماء، أخذوا معهم جميع صحائفهم؛ لم يبق سوى حيرام آبيف.. مهندس الهيكل»

ألجمت الصدمة والحزن لسان الملك منليك، تفاقمت تلك الصدمة عندما واصل حنائيل:

«علينا أن نأخذ التابوت ونلحق بالنبلاء يا سيدي، نعمر أرضاً ثانية تحيي أنت فيها ملك أبيك، لو حصل رحبعام على التابوت والأسرار فستفنى الدنيا!»

لم يمهل حنائيل الملك منليك فرصة لاتخاذ القرار، تلاشى فجأة كما ظهر، ودوت صرخة كادت أن تمزقه، اختنقت انفاسه وغمره ضوء مبهر سلّه من مكانه، من عالمه كله ليجد نفسه قبل أن يقوم أحد من مقامه أمام بوابة قدس الأقداس داخل هيكل سليمان وأمامهم حيرام آبيف حاضناً كتابه.

«جلالة الملك، موت سيدنا مصيبة حلّت علينا جميعاً، بعد موته لن يتوانى رحبعام عن اقتحام قدس الأقداس والاستيلاء على تابوت العهد»

قالها حيرام آبيف ولا تزال عيناه غارقتان في دموعهما، فأجابه حنائيل:

«سنأخذ التابوت ونلحق بالنبلاء عبر طرائق السماء»

قاطعه حيرام آبيف بكل حسرة:

«لقد استولى جنود رحبعام على آخر حاملة سمائية وأتلفوها وهم يحاولون امتطاء الريح للحاق بالنبلاء»

كانت الضوضاء تتعالى في الخارج، خطوات الجنود بدأت بدك ممرات الهيكل، دفع حيرام آبيف بالكتاب نحو الملك منليك ونظر في عينيه وهو يقول:

«أنت آخر أمل للبشر يا سيدي! خذوا التابوت وأنا سأعيق تقدمهم»

نطق الملك أخيراً وقال:

«حاجة المملكة للمهندس أعظم من حاجتها للملك!»

«هذا الكتاب هو المهندس! هم يريدونني أنا! يريدون أسرار الكتاب والتابوت.. اذهبوا الآن قبل فوات الأوان»

انطلق المهندس حيرام آبيف بينما حطم الحارس حنائيل بوابة قدس الأقداس كاشفاً عن تابوت العهد، خوفهم على التابوت أنستهم هيبتهم منه، رفع حنائيل أجنحة التابوت فانكشف غطاؤه، ودفع بالملك منليك بداخله قبل أن يطلق صرخة مدوية نقلتهم إلى مكان آخر، عبر بعد آخر.

اندفعت قافلة مصفّرة من العربات المصفحة المعتمة التي لم تسمح لمن بداخلها برؤية قبة الصخرة عند عبورهم على هضبة موريا، غاصت القافلة في إحدى الأبنية، توقفت العربة التي تقل بنيامين وحسام وحوجن فقادهم الحراس إلى داخل القاعة الرئيسية في المبنى، استغرق تفتيشهم قرابة الساعة، معظمها انقضت في فحص التجويف المعدني بداخل جمجمة بنيامين بعد أن انتزعوا عينيه الإلكترونية والإكريليكية. حوجن سلّمهم هاتفه المحمول، هاتف Dr. EZ أما حسام فلم يكن يحمل سوى قلقه. دفعهم الحرس إلى بوابة معدنية غليظة غائرة في الحائط، التهمتهم وبدأت بالانزلاق نزولاً، توقفت بعد لحظات، انفرجت البوابة كاشفة عن ممر معدني مضاء بشريطين من المصابيح على جانبيه، بدأت الألواح المعدنية بالتلاشي عن السقف فالأرض فالجدران، وحلّت محلها الصخور ليجدوا أنفسهم على عتبات مغارة. بنيامين الذي استشعرت أذنه اختلاف درجة الصدى المنعكس من المعدن والحجر، وميزت أقدامه تعرجات الصخور همس مبتسماً:

«مغارة.. مغارة سليمان.. عقر دار الأوغاد»

تم تكبيل أذرع الثلاثة على المقاعد المرمرية التي استقروا عليها داخل تجويف صخري مزيّن بأوشحة مخملية أرجوانية وعمودين من صخور المغارة وطاولة نصف دائرية وقف على طرفيها رجلان مهيبان لولا القفازات والمآزر المزركشة التي ارتدياها، شدّا أصلابهما فجأة وهتفا بعبارة طلسمية ترحيباً بالأسياد الثلاثة الذين ولجوا إلى القاعة الصخرية من الجهة الأخرى. جلس الثلاثة مقابل الثلاثة، وقال الذي احتل العرش في المنتصف بلهجة إنجليزية ممتقة:

«مالذي تريده؟»

ابتسم بنيامين وهو يقول:

«وكيف أتأكد من هويتك وقد تركت عيني في الخارج؟»

«عليك أن تخاطر بالثقة بنا أو بفقدان حياتك»

«وهل تجرؤون على المخاطرة بفقدان تابوت العهد لثلاثة آلاف سنة أخرى؟ لقد ميّزت صوتك على كل حال والتردد يعود لحبال صوتية لا لاهتزازات مغناطيسية، احتمال أن يُتقن شخص ما صوتك لهذا الحد أقل من ثلاثة بالمائة، وهي نسبة مخاطرة جيدة..»

«لديك دقيقة لتعرض ما لديك»

قالها السيد الأكبر الأسبق للمحفل الشرق أوسطي الجالس على يسار رئيس الهرم بصرامة مشمئزة متململة، فرد بنيامين:

«تابوت العهد موجود بالفعل في كنيسة مريم سيدة صهيون في أكسيوم شمال إثيوبيا»

«أجئت لتخبرنا بمعلومة يستطيع أي مراهق استنباطها من الإنترنت؟! لقد..»

«لقد اقتحمتم الكنيسة عام ألفين وتسعة واكتشفتم أن التابوت الذي بقلبها مزيف!»

إضافة بنيامين لتلك التفاصيل أقنعتهم بأنه إما أن يكون متغلغلاً في قلب أسرارهم، أو أن لديه من الوسائل ما يجعله يستنبط خططهم وخطواتهم.. عقب سيد الهرم:

«أعترف أنك تبهرني بالمعلومات التي لديك.. الجنيه العالمي بالذات»

«كان مجرد استنباط بسيط، واجتهدت بتصميمه بشكل يرضي هوسكم برموزكم مع الحفاظ على سريتكم، واستخدمت طابعتي ثلاثية الأبعاد لصياغته من الذهب الخالص، ولكن رجالكم صادروه للأسف»

«حريٌّ بشباب يتمتعون بمواهبكم أنت وصديقك الخارق حسام الالتحاق بالنخبة والانضمام لأعظم رابطة أخوية على وجه الأرض.. ولكن هذا موضوع آخر، قد نناقشه بجدية إن أثمر تعاوننا في هذه المرحلة»

تدخل سيد المحفل الشرق أوسطي الأسبق:

«إذا كنت تعلم بأن التابوت مزيّف فلم تصر على أنه لا يزال موجوداً في كنيسة مريم سيدة صهيون؟»

«لأنكم ولآلاف السنين اكتفيتم بالبحث في بعدنا نحن فقط، أصدقائي يستطيعون البحث في أبعاد أخرى»

أثار بنيامين اهتمامهم لأقصى حد، فتدخل الشاب الذي يجلس عن يمين سيد الهرم ونطق بعبارة باللغة السريانية العتيقة فهمها بنيامين جزئياً، أما حوجن فتعجب كونها الأقرب للغته الأم.. لغة الفيحيين، قال الشاب وهو يشير بعينه إلى حوجن:

«لهذا أنت معهم أيها المارد؟»

أطرق حوجن رأسه قليلاً.. تلاشى للحظة ثم عاد للتشكل واقفاً بعد أن سقطت القيود التي كانت تحيط بمعصميه خلف المقعد:

«أنا حوجن ابن ميحال الفيحي، حفيد حنائيل خادم الملك سليمان وابنه منليك وحارس التابوت»

قالها حوجن باللغة الفيحية سريانية الأصل فانقشعت أقنعة الوقار عن وجوههم، تدلّت أفواههم وأصابتهم الدهشة، بالرغم من أنهم اعتادوا على مقابلة رسل لوسيفر مراراً أثناء طقوسهم. وقف الشاب الآخر الذي لم يكن سوى ماردأ ماسونياً وقال:

«هل تستطيع نقل التابوت إلى بُعد البشر؟»

«عمي يحكم ملاج بعد أن قتلت صديقكم الملك هياف ورفضت تولي حكمها، أنا الوحيد الذي يمكنه نقل الأجسام بين الأبعاد بشكل دائم، ولن يمنعني أحد عن نقل التابوت»

جلس الشاب وجلس حوجن وخبا التوتر بعد لحظات الصمت، أومأ الشاب لسيد الهرم برأسه فقال الأخير:

«إذا كانت لديكم كل هذه القدرات فلم تساومونا؟»

«للحفاظ على أرواح حسام وإياد وإعادتهم إلى ديارهم»

هز سيد الهرم رأسه لعبارة حوجن فتدخل بنيامين مستدركاً:

«هذا أولاً.. ثانياً وهو الأهم.. وضع حدٍ للحروب التي تشعلونها في المنطقة»

لم يتمالك السيد نفسه فقهقه غاضباً متعجباً من جرأة الضرير:

«لقد تماديت أيها الأعمى.. ألا تأبه بحياتك؟!»

رفع بنيامين رأسه وحدق بلا عينين مقاطعاً متحدياً:

«عليكم التوقف عن إراقة الدماء تقرباً إلى من تقدسونه! عليكم إنهاء هذا الهوس الذي نجحتم في نشره بين مسوخ التطرف الديني وأشعلتم به الحروب! يمكنك الاحتفاظ بتهديداتك؛ عندما تواجه من لا يملك شيئاً ليخسره فأنت مهزوم مسبقاً! ليس لدي عينان لأخشى عليهما، أما أنتم فعينكم الكبيرة المقرفة تغريني كي أفقأها!! أرجو أن تسجل هذا التهديد: الجنيه العالمي ليس إلا عيّنة بسيطة لما توصلت إليه من أسراركم، أنا أعرف عن الماسونية أكثر مما تعرفه أنت أيها السيد الأعظم، بالوثائق وتفاصيل الجرائم والحروب والعمليات الإرهابية وقائمة بأسماء المتورطين فيها حول العالم مع جميع الأدلة التي تدينهم.. كل ذلك محفوظ في سحابتي، وسيتم نشرها بشكل تلقائي في مدونتي MasonsLeaks إن لم أدخل إلى حسابي لمدة تتجاوز الثلاثين يوما.. في الواقع لقد نشرت بالفعل عيّنة كفيلة ببتر عدد لا بأس به من أذرعكم في باريس؛ يمكنك أن تخوض مخاطرة بهذا الحجم، من يدري فقد يسطّر التاريخ اسمك كونك السيد الذي انهارت الماسونية على يديه»

كانت عبارات بنيامين مستفزة جداً.. ومرعبة جداً جداً؛ تمالك سيد الهرم الأعظم جأشه وهو يقف ويقول منهياً اللقاء المتوتر:

«سنتوجه إلى أكسيوم.. الآن!»

البحر أروع مستمع..

بالرغم من أن أعماقه تكدست بهموم كل من ائتمنه على أسراره من الأزل للأزل.. إلا أنه لا يزال يفضل الإنصات بإجلال.. يستمع للهموم دون أن تنطقها الأفواه.. يهز أمواجه مصغياً متفهماً.. مقسماً بأن الأسرار هي الشئ الوحيد الذي لا يطفو على سطحه.

لهذا السبب اختار السيد منصور طريق الكورنيش أثناء عودته من لقائه بوزير خارجية المملكة العربية السعودية في محل إقامته بجدة، كانت همومه ثقيلة عليه وعلى البحر.. فلذة كبده يرقد ما بين الحياة والموت تحت حراسة عسكرية إسرائيلية مشددة، آخر ما سمعه عنه هو أنه لا يزال على قيد الحياة في وحدة العناية المركزة، اختفى حوجن بعد أن أخبره بذلك وتركه للقلق ينهشه. تابع وزير الخارجية القضية بنفسه، كان يثق بما يخبره به السيد منصور ويواجه به الوسيط الأمريكي، مما أربك الحكومة الإسرائيلية وزاد من ضيق المأزق الذي تتعرض له إثر تفجير سوسن لقضية رأي عام تشير بأصابع الاتهام نحوها، تلك الأصابع تحولت إلى قذائف عندما حمّل بنيامين مقطع القوات الإسرائيلية الخاصة أثناء مهاجمتهم لهم على هاشتاغ #أنقذوا_حسام_وإياد.

ختم السيد منصور حواره الأحادي الصامت مع البحر بدمعة ساخنة لا يسمح من في وقاره بإطلاع أحدٍ عليها.. سوى البحر.. اشتعلت بحزنه وقلقله وندمه على اللحظة التي التحق فيها بوكر الشياطين..

لم يكن يعلم أنه وفي تلك اللحظة بالذات ستندلع المعركة الكبرى معهم.. المعركة التي قد يدفع ابنه الوحيد حياته ثمناً لها.

بالرغم من أن فرصتهم في النجاة من هكذا موقف تكاد تكون معدومة، إلا أن خسرانهم لحياتهم لم يكن له حيز بين همومهم المتكدسة، طائرة خاصة حملت بنيامين وحسام وحوجن ضمن ركابها المرئيين، بالإضافة إلى جمارى وإلياسين الذين ألصقا روحيهما بروح حوجن، ركاب تلك الطائرة أجمعوا على إلقاء أرواحهم في أتون المجهول.

استقبلهم داني شنايتزر في المهبط الرملي على ضواحي مدينة أكسيوم مع مجموعة من المسلحين الذين لا ينتمون لأي كيان سوى الكيان الماسوني، توجهت مواسير المدافع الرشاشة نحو الجميع، بشكل غير عادل حيث كان لحسام النصيب الأكبر منها، ولكنه لم يبد مقاومة عندما كبله جنديان وانتزعا قميصه وقاما بتثبيت سترة ناسفة. قال داني ببطء متلكئ عندما أحكم الجندي إغلاق أطراف السترة المعدنية:

«المعذرة يا حسام، مجرد إجراء وقائي، هذه السترة كفيلة بتحويلك ومن حولك إلى عجينة من اللحم والدم والعظم، سأفجرها مع أول بادرة شك، و.. بالمناسبة إن أحببت أن توفر علي عناء إرسال إشارة التفجير فيمكنك العبث بأطرافها المعدنية وستنفجر تلقائياً»

تحولت المنطقة النائية المحيطة بكنيسة مريم سيدة صهيون إلى ثكنة عسكرية بحراسة مشددة تليق بالوفد الذي حضر من أقطاب الأرض ليشهد هذا الحدث الذي قد يكون ثاني أهم حدث بعد تشييد هيكل سليمان بالنسبة لأي ماسوني، ناهيك عن رؤوسهم ورؤسائهم. ثلاثة رؤساء دول، سلطة عليا في البنك الدولي، الأب الروحي للإعلام والترفيه في أمريكا، المحرك الحقيقي لهيئة الأمم المتحدة، والمتحكم بالفاتيكان وبالطبع زعيمهم الإنجليزي سيد الهرم الأكبر، جميعهم تجاهل كل مشاغله وهرع ليحفر اسمه في تاريخ الماسونية شاهداً لظهور تابوت العهد! ارتدى كلٌ منهم إزاره وقفازاته وقلادته بزهو وسار مدججاً بحراسة عبرت به إلى القنطرة التي تم بناؤها داخل الكنيسة في مواجهة تابوت العهد.. المزيف.

انتشرت الرموز الماسونية داخل القنطرة بشكل يؤلم العينين واكتظت بالزعماء مع عدد من الحراس الشخصيين، كان ينتظرهم عليها مندوب لوسيفر متشكلاً بهيئة بشرية، بالإضافة إلى داني شنايتزر وبنيامين وحسام الذين تم حجزهما داخل قفص معدني زجاجي مصفح مضاد لكل شيء. يحرس القفص عملاقان مدججان بالإضافة إلى نظرات داني الذي تأهب لأي بادرة شك ليطلق إشارة تفجير سترة حسام ويمزقه مع بنيامين داخل قفصهما المصفح.

اقتيد حوجن إلى حيث تابوت العهد، يتقدمه مجموعة يرتدون زي سدنة هيكل سليمان وارتصوا على جانبي التابوت، رفعوا أبواقهم وأطلقوها، أغمض الزعماء أعينهم وبدأوا يتمتمون بطلاسمهم، لم يتمالك بعضهم نفسه فأطلق لدموعه عنانها وهو يشهد بأم عينيه لحظة ظهور تابوت العهد الحقيقي. التنسيق لاجتماع تلك النخبة يستغرق في المعتاد شهوراً من الترتيبات الدبلوماسية، ولكن عندما يتعلق الموضوع بحلمهم الوجودي تتلاشى المستحيلات وتتساقط الأولويات!

تولى رئيس الهرم الأكبر زمام الموقف، حمل الجهاز المثبت على أذنه صوته إلى الجميع فدوى صداه في جدران الكنيسة العتيقة وهو يردد في إجلال الموشح الطلسمي الذي يليق بتلك اللحظة.. ساد الصمت للحظات ثم واصل سيد الهرم:

«في هذه اللحظة أيها السادة.. سيتجلى قدس الأقداس مرة أخرى، هذه هي اللحظة التي ضحى حيرام آبيف بنفسه من أجلها، اللحظة التي ستعود فيها أسراره لأبنائه.. البنائيين الأحرار.. حراس هيكل سليمان. سيتقدم الآن رسول الوضّاء، حوجن ابن حنائيل حارس التابوت ليظهره أمامنا، ونكون نحن شهود العهد وحراس التابوت وبناة الهيكل الجديد»

بلغ التوتر بحوجن مبلغه، تقدم بخطوات بطيئة مقترباً من التابوت، تجسدت جماري وهي تقترب من التابوت من الجهة الأ خرى فعلت أصوات الرهبان بالطلا سم والمزامير. التفت حوجن إلى القنطرة وقال:

«التابوت معلق هنا، علينا أن نزيح التابوت المزيف جانباً»

أسرع الرهبان لحمل التابوت وزحزحته جانباً، التفت حوجن نحو جماري وتلا شى الاثنان.. انتقلا إلى بعدهما حيث التابوت، أمسكا بأطراف التابوت المجنحة واستجمع حوجن جميع قدراته، استجمع وفاءه لإياد وحسام وخوفه على جماري وإلياسين وأطلق صرخته.. الوحيد الذي رأى ذالك كان رسول لوسيفر كونه جني يستطيع رؤية ما يدور في ذلك البعد، لوهلة لم يصدق أن حوجن سينجح في نقل جسم بهذا الحجم من بعد الجن إلى بعد الإنس.. بشكل دائم؛ الصرخة المدوية فتقت الصمت فجأة.. تحجرت الحدقات، توالت الشهقات، احتبست الدمعات وحوجن وجماري يظهران بالتدريج وبينهما تابوت العهد.

هتافات زعماء الماسونيين وأحضانهم أخفت صرخة الهلع التي أطلقها رسول لوسيفر وهو يهب نحو القفص الذي يحتجز حسام وبنيامين في اللحظة الذي تلا شت فيه بوابته.. وانقض على إلياسين!

إلياسين الذي استغل انشغال الجميع وتسلل ليخلص حسام بنقله للبعد الآخر وجد نفسه في قبضة رسول لوسيفر! صوت ارتطامة بوابة القفص الحديدية تبعها صوت تحطم تابوت العهد على صخور الكنيسة، حيث تركه حوجن من بين يديه فسقط وتبعثرت محتوياته وسط ذهول الجميع، اختفى من أمامهم، انتقل لبعده ليطوق بذراعه حول عنق رسول لوسيفر، وفي نفس الوقت هب حسام من أسره وأرسل مشط قدمه كالقذيفة في رقبة أحد الحارسين وانزلق لينتزع مسدسه، تردد الجنود في تصويب طلقاتهم نحوه وتردد داني في إرسال إشارة الحزام الناسف بعد تحرره من الحجرة المصفحة، ساد الهرج والمرج في القنطرة وتحولق حول كل زعيم حراسه، أرعبتهم صرخة حوجن المدوية وهو يتشكل في البعد الإنسي جالبياً معه رأس رسول لوسيفر، تاركاً باقي جسده في البعد الجني؛ هم إلياسين بالاندفاع نحو حسام لنقله لبعد الجن، ولكن رصاصات داني سبقته.. وانفجرت نافورة الدماء من رقبة حسام وفمه.. جروحه جاهدت للالتآم ولكنها لم تحتمل الرصاصات هذه المرة.

«خذ إلياسين وابعد يا حوجن»

آخر عبارة نطقها حسام، تقطر رجاءً ودماً، نظر إلى بنيامين نظرة اعتذار ووداع؛ فتح أطراف سترته المعدنية.. ودوى الانفجار محولاً من في القنطرة إلى عجينة من اللحم والعظم والدم.

(9)

أرواح بين الأبعاد

بين أحضان ملاكي..

تخجل اللحظات من مطاردتنا..

نظراتها سيل من النعيم.. يغرقني في "الآن".. ينسيني أحزان الماضي وهموم المستقبل. وهل هناك تعريف أكثر دقة للجنة؟ الحياة مع روحك التوأم في عالم يفقد فيه الزمان هيمنته ويتحول الفراق إلى مصطلح غير قابل للاستخدام، تمحوه سعادة دائمة متفاقمة. أبي وأمي فرحين بقدومي رغم حزنهم على وفاتي، أنا الآن معهم.. في انتظار مرام.

اسمحوا لي أن أتابع الحديث فحبيبتي منهمكة بإغراقي بالكثير من الأشواق والقليل من الملامة؛ ولنبدأ بمرام، جميع الآلام التي مررت بها بما فيها تمزق جسدي إلى أشلاء لا تقارن أبداً بألمي على مرام، لقد مزق قلبي الحزن عليها قبل أن تمزقه السترة الناسفة.

مرّت سنتان ولا تزال ترتدي الصمت والسواد، تكاد لا تتحدث إلا عندما تزورها أنا وأبي وأمي في أحلامها.

دخلَت غرفتي، لم يتغير شيء طوال عامين، كتبي لوحاتي أدواتي، جلسَت على إيواني بحذر خشية أن تزحزح ذرة غبار عن المكان الذي تركتها عليه، احتضنت لفافة جهاز قياس ضغط الدم إلى وجهها وأفرغت دموعها عليها. لقد كانت تنذرها بأنني قد أفارقها في أي لحظة، ولكنها لم تتوقع أن ينتهي كل شئ بهذه السرعة. دوى رنين هاتفها، هبّت لرؤية المتصل على أمل أن تجد رقمي. لقد كان رقم سوسن؛ قررت أخيراً أن ترد على المكالمة بدل أن تتجاهلها لتتكدس مع باقي الاتصالات الفائتة.

«أبلا مرام!! أنا جمانة»

تمالكت مرام نبرة صوتها الحزينة، لفّقت عليها بعض المرح حفاظاً على مشاعر جمانة:

«جمانة!! مرة مرة وحشتيني»

لم ترد الطفلة، ركضت بالهاتف إلى والدتها وهي تهتف بكل سعادة:

«ماما ماما أبلا مرام ردّت»

فزّت سوسن، تناولت الهاتف من جمانة التي رفضت تسليمه بسهوله وقالت بلهفة قبل أن تتمكن والدتها من تناوله:

«أبلا مرام تعالي عندنا بليز بليز بليز!!»

مسحت مرام دمعتها الجافة قبل أن تسمع صوت سوسن:

«مرام.. مرام إنتِ كويسة؟»

«الحمدلله زي الجنية!»

«مرام مو كويس اللي بتسويه، سنتين حابسة نفسك لوحدك في البيت كأنك إنتِ اللي متٍّ مو حسام»

ندمت سوسن على عبارتها التي أدت إلى انهيار مرح مرام المصطنع فأجابتها:

«حسام ما مات يا سوسن، حسام بيزورني مع بابا وماما كل يوم»

«طيب إش رأيك تجي عندنا كم يوم تغيري جو وكمان تساعديني في السيطرة على جمانة.. جننتني من كثر ما تسأل عنك!»

تقافز حماس جمانة من خلف والدتها وهي تهتف:

«أيوه يا أبلا مرام، بليز بليز تعالي نلعب زي زمان، أنا وانتِ والياسين.. الياسين جاب لي هدايا كثير من بيتهم أبغاكِ تشوفيها!»

تولّت سوسن زمام الحديث مرة أخرى وقالت:

«زي ما انتِ شايفة، هذا الوضع كل يوم!»

«حوجن وجمارى لسا يزوروكم؟»

«حوجن وجمارى ما سابونا لحظة من يوم ما الإسرائيليين سلموا إياد، قعدوا معانا في المستشفى ستة شهور إلين ما قام بالسلامة»

«كيف حاله دحين؟»

«شغل أربعة وعشرين ساعة، بيدق عليكِ كل يوم ما بتردي، بخصوص لوحات حسام وإنتاج الفيلم وأكاديمية الموهوبين اللي أسسوها مع بعض، من غيرك ما حيقدر يسوي شي»

«أحسن شي أعمل له توكيل وهو يتصرف..»

«هذي ثروتك يا مرام، المعارض العالمية عرضوا على حسام مبالغ بالملايين، لوحة ملاك لوحدها لازم لها مزاد من كثرة العروض»

«يقدر يبيعها كلها ما عدا اللوحات اللي فيها حسام لا يتصرف فيها، وكل المبالغ يستثمرها في الأكاديمية.. بس أبغاه يغير اسمها لأكاديمية الحسام»

بالكاد استطاعت مرام إتمام عبارتها، وهبتها سوسن بضع لحظات قبل أن تستدرجها من أحزانها:

«طيب متى تجي عندنا، لو ما جيتينا رح أضطر أرسل لك جمانة والياسين يجننوكِ»

تلفتت مرام حولها، تتفقد بقايا روحي في غرفتي قبل أن تهز رأسها وتقول:

«خلاص نهاية الأسبوع إن شاء الله أجيكم، ولو تقدري اعزمي جماري وحوجن، من جد وحشوني»

«حوجن! تأخرت في ملاج، قلقت عليك!!»

قالتها جمارى استقبالاً لزوجها الذي يمضي معظم أوقاته متنقلاً مابين الهندية وملاج وجدة وأمريكا .

«فين إلياسين؟»

«سبقنا وراح جدة، لازم نستعجل عشان ما نتأخر عليهم!»

«إلياسين صار يقضي وقت مع جمانة أكثر منا!»

«أخذت عقله الإنسية، ما أدري طالع لمين؟!»

التفتت جمارى، تظاهرت بالاستعداد للذهاب لتواري حنقها بعد أن قرعته بتلك العبارة، التقط حوجن معصمها، لفه حولها ليحتضن حبيبته من ظهرها ويهمس بين أذنها وعينيها:

«ما أسمح لك تغاري من إنسية، ولا جنية، ولا حتى ملاك بعد الآن مفهوم؟!»

أطفأت عبارته غيرتها، أشبعت أنوثتها، وأشعلت خجلها، فحاولت أن تتملص وهي تهمس:

«حوجن! تأخرنا!»

أصر على محاصرتها بحبه، أحكم تطويق ذراعيه حول خصرها وذراعيها وواصل رشقها بهمساته:

«جماري، إنت الوحيدة اللي تستاهلي قلبي وحبي، محد غيرك يمتلكني!»

التفتت إليه بعينين تذيبهما بوادر دمعات اللهفة والحب:

«من جد يا حوجن؟!»

قدّمت نظرته، ابتسامته، أنامله التي مسحت طرف دمعتها أدق وأصدق إجابة، فدفنت رأسها في صدره الذي كبت صوتها وهي تقول:

«أحبك يا حوجن، أعشقك بجنون، كل يوم أتلهف عليك وأغار عليك أكثر من اللي قبله!!»

داعب شعرها وخديها بأنامله وهو يقول:

«طز في نساء الإنس والجان طالما حبيبتي على صدري! أمنيتي إني أكون معالكِ لوحدنا، أقعد أتغزل في جمالك، أقول لك أحبك وأكررها مئة سنة، مئتين سنة..»

استيقظت فيها الأنثى فعقّبت:

«إلين ما أصير عجوزة ومكرمشة»

رفع رأسها من ذقنها وقدم لها القسم:

«كل يوم رح يزيد جمالك في عيني، كل يوم رح يزيد حبك في قلبي، لآخر نفس في حياتي! أقسم لك يا جماري!»

«بعيد الشر عنك يا عمري، ما تتخيل أنا قد إيش خايفة عليك منهم! إش سويت في ملاج؟»

«كان لازم أساند عمي عشان ما تقوم حرب ثانية! الماسونيين حللوا التابوت اللي نقلناه من بعدنا لبعد الإنس واكتشفوا إن محتوياته عمرها ما يتجاوز ثلاثة آلاف سنة؛ مجرد نسخة صنعوها أيام جدي حنائيل للتمويه. اتجننوا واستعانوا بالجن من كل مكان عشان يلاقوا التابوت الحقيقي.. ملاج تحولت لساحة من المردة والمشعوذين الماسونيين»

جحظت عينا جماري، فتابع حوجن:

«الكنيسة كان فيها ثلاثة توابيت، تابوت في بعد الإنس، وتابوت في بعد الجن، والتابوت الحقيقي أكيد في البعد الأسمى.. زي ما استنتج بنيامين!»

«أخاف يلاقوه بأي طريقة»

«اطمئني، الطريقة الوحيدة للوصول للتابوت هي كتاب المهندس»

«الكتاب اللي أخذناه من التابوت يوم الإنفجار طلع كتاب المهندس؟!»

أومأ برأسه وهو يقول:

«تأكدت إنه كتاب حيرام آبيف..»

التقط نفَسَه وزفره وهو يواصل معلناً نهاية ذلك الكابوس:

«وحرقته!»

تتسارع دقات قلب الطفل عند زيارة مكان جديد، وتتراقص جميع حواسه استجابة لموسيقى قلبه الصاخبة. تلك اللهفة الغريزية رسمت ملامح أمل وهي تطل برأسها من نافذة التاكسي الذي أقلّها مع إليانا من مطار سان فرانسسكو إلى إحدى ضواحيها؛ كانت تستمتع بمشاهدة البلد الذي ستواصل فيه حياتها بحواسها الأربع، لم يتأثر حماسها بغياب الحاسة الأهم.. حاسة البصر. لا زالت ترفض تصديق خبر وفاة بنيامين، لا زالت تتوعده بعتاب شديد اللهجة لغيابه طوال عامين. لم تأبه بحصص شركة Exponential Impact 8 التي كتبها باسمها قبل تعرضه للانفجار، ولم تستوعب أنها تحولت فجأة من عربية منسية في دار رعاية الأيتام إلى ثرية صغيرة في كاليفورنيا، بالذات بعد انطلاق مشاريع الشركة التي تهدف إلى تسخير العلم لإسعاد ثمانية مليار نسمة على كوكب الأرض. أعد بنيامين العدة للحظة فراقها، أمّن انتقالها للعيش مع إليانا في سان خوزيه بعيداً عن أتون الحروب في الشرق الأوسط. تحققت آماله أخيراً بمساعدة أصدقائه في جامعة سينغولاريتي وحصلت الفتاتان على شقتهما مع إقامة مفتوحة في أمريكا، كما استطاعت إليانا أن تحصل على إذن الرعاية لأمل من دار الأيتام.

فتحت إليانا باب شقتهما؛ انطلقت أمل متحسسة أرجاءها بصدى خطوات أقدامها، تتبعها إليانا وحقائبها. كانت أشبه بمعرض مصغر، اكتظت جدرانه بالصور ورفوفه بتماثيل القصدير.

تأملت إليانا الصور المعلقة، صور الرئيسين الأمريكيين أبراهام لينكولن وجون كينيدي بالإضافة إلى الملك فيصل وماررتن لوثر كنغ ومالكوم إكس وبروس لي والأميرة ديانا ومايكل جاكسون وتوباك.. باختصار عدد من الذين كانوا يمثلون تهديداً للمصالح الماسونية، أو رفضوا الانصياع لمطالبهم وتم اغتيالهم. توقفت عند مجموعة من صور بنيامين المرصوصة على طاولة جانبية. اخذت إحدى صوره وهو يحمل أمل الرضيعة مع والدته.. احتضنتها وبكت في صمت كي لا تشعر بها أمل التي كانت تتحسس تماثيل القصدير وتهتف:

«هذه أم بنيامين، وهذه أيضاً.. هذه أنت يا إليانا.. آه هذه أنا!!»

وقعت يدها على رقعة الشطرنج التي توارثتها عائلة والدة بنيامين ونجت من مجازر اليهود في أسبانيا في نصف الألفية الماضية ومحارقهم في ألمانيا خلال نصف القرن الماضي.

تبعثرت بعض قطعه المعدنية المحملة بنقوش وخدوش تحكي تاريخ انتقال أوروبا من ظلمات التطرف الوسطى إلى نور العلم والحرية والمساواة. تحسست بحذر لتعيد القطع لمكانها وتتفقد الجند بلهفة لتتأكد من أن الجميع قد نجوا ولكن كان الحصان الأسود مفقوداً. ربتت بأناملها على خانته الفارغة، أفرغت دموعها لتملأها:

«بنيامين، عد إلي.. أرجوك!»

لم تنطق تلك العبارة بلسانها، وإنما بشفرة نقر الأنامل على رقعة الشطرنج، كانت غارقة في حزنها ودموعها، لم تسمع شهقة إليانا خلفها، فقط شعرَت بأنامل تربت على دموعها التي انسابت على خدها.. وتجيبها:

«لن أتركك بعد الآن!»

«بنيامين!!!»

هتفت غير مصدقة، وانهالت بقبضتيها على صدره قبل أن تنهار عليه باكية. صدمة إليانا ألجمتها.. صدمتها برؤية بنيامين على قيد الحياة.. وبحالته التي كانت أشبه بمشهد في أحد أفلام الخيال العلمي.

التهمت المعادن ساقيه وذراعه اليمنى وتغلفت بطبقة سيليكونية شفافة، أما حجرتي عينيه فاكتظتا بعشرات العدسات والمجسات، كان إنساناً في آلة.

«لماذا لم تخبرنا؟ لماذا تركتنا؟؟»

نطقتها إليانا مع دموعها.. فأجابها:

«لقد تسببت في إبادة مجموعة من قادة العالم وتدمير مخططات الماسونية، هل تتوقعين أن يدعوني وشأني؟ كان لا بد أن أختفي حتى أضمن وصولكم لهنا»

«ولكن كيف؟ كيف نجوت؟»

«أنقذني الماسونيون! حبسوني في كبسولة عازلة خففت من أثر الانفجار، ثم نقلني من تبقى منهم إلى المستشفى حيث نجوت بأعجوبة بعد أن بترت ذراعي وساقي واحترقت أجزاء كبيرة من جسمي»

تناول صورة على الطاولة تظهر بنيامين وهو يحتفل بتجربة عينه الإلكترونية القديمة مع مجموعة من منسوبي جامعة السينغولاريتي وأشار إلى الفتاة بجواره وواصل:

«تاشا ماكاولي التي صممت عيني القديمة، أعادت تصميم كل ما ترينه أمامك؛ هذا النظام البصري متصل بالعصبين البصريين، أصبحت أرى الأ شياء بأبعادها الثلاثة! بالإضافة إلى عدد هائل من القدرات»

رفع يده المعدنية التي كانت تحتضن رأس أمل على صدره، مررها علي خصلات شعرها وهو يواصل:

«جميع الأطراف الصناعية مغلقة بسيليكون حساس تنقل مجساته الإشارات إلى دماغي..»

«المهم أنك على قيد الحياة!!»

قالتها إليانا التي لم تتوقف عن البكاء، بنيامين لا يزال حياً.. لم تكن تأبه بأي تفاصيل أخرى؛ أجابها مداعباً:

«المهم أن تسامحني أمل!»

رفعت المسكينة رأسها تحسست وجهه وعينه وذراعه المعدنية وهزت رأسها نفياً دون أن تتوقف عيونها الباهتة عن ضخ الدموع.

«سوف ترين النور قريباً يا أمل!»

«سيصبح لدي عينين كعينيك؟»

«سيصبح لديك عينين حقيقيتين! جميلتين كعينيك، متخلقتين من جيناتك»

اقتربت إليانا.. كانت تتمنى أن ترتمي في حضنه هي الأخرى وليكن ما يكون. احتضنت أمل كفه المعدنية السيليكونية بين كفيها فقال لها:

«لن أتركك بعد الآن يا أمل! لن أتركك مهما حصل!»

«ولا أنا، يا بنيامين! سأبقى معك إلى الأبد!»

«ستصبحين ابنتي، لقد بدأت بإجراءات التبني والحصول على الغرين كارد واستخراج الجنسية الأمريكية بعد بضع سنوات»

«ستنال أمل الجنسية الأمريكية؟!»

قالتها إليانا، فرفع بنيامين عينه الإلكترونية نحوها ونظر إليها نظرة حملت مشاعر الدنيا بالرغم من معادنها:

«ستنالان الجنسية الأمريكية، لن يقبلوا طلب التبني إن لم تكن أمل في كنف أسرة مستقرة»

جحظت عينا إليانا غير مصدقة تلمحياته، ولكنه بتر كل ذلك وقال:

«إليانا.. أتقبلين بالزواج مني؟»

نظر إلى يده وأطرافه المعدنية، ابتسم.. أطرق.. واستدرك:

«أقصد بالإنسان المتبقي مني؟»

انهارت حواجز التردد، فعلت ما تمنّت فعله في كل مرة كانت تراه فيها وتفتعل الرسميات العسكرية، ارتمت في حضنه، كاد أن يقع من المفاجأة، أخذت تقبّل وجهه وعينيه وهي تقول:

«أنت الإنسان الكامل في نظري، الإنسان الوحيد في حياتي كلها»

قبّلها بنيامين بين عينيها وهو يقول:

«على كلٍ ستختبئ أطرافي الاصطناعية تحت بدلة التوكسيدو وعيني خلف نظارتي السوداء يوم الزفاف»

هتفت أمل:

«أنا هنا أيها السادة! أستطيع أن أراكم!»

تابعت إليانا بكل اللهفة والحب:

«ولكنني أخشى عليك منهم، سأموت إن أصابك أي مكروه»

«إليانا.. أنظري إلينا، أنا سليل مجازر النازيين ومطاحن المستوطنات، أمك نجت بأعجوبة من القتل في إثيوبيا وهجّرت إلى إسرائيل في عملية سليمان عام ١٩٩١م لتذوق ما يذوقه يهود الفلاشا من تسلط وعذاب، أما أمل فهي وليدة حرب، ضريرة حرب، يتيمة حرب. لقد آن لهذا العصر القبيح أن ينتهي! سعار الذهب والدم الذي تذكيه أطماع السياسيين وخرافات المتطرفين سيتلاشى للأبد!! أما بخصوص الماسونيين، فاطمئني.. هم يحرصون على حياتي أكثر مني، أطلقت مدونة MasonsLeaks لفضحهم، تُنشر فيها الأخبار تلقائياً إذا مر شهر دون أن أسجل الدخول لحساباتي، حلّت بهم الكوارث بسبب الفضائح التي انتشرت أثناء غيبوبتي»

زاد ذلك من هلعها عليه، جحظت وهتفت:

«بنيامين..!!»

«لم يهزموني وأنا بمفردي، ما بالك اليوم وأنا متفوق علمياً وعددياً! في النهاية سيتفوق العلم على الخرافة والجهل والدجل، وسينتصر الإنسان الحر على الشيطان المتسلط والهمجي المتطرف»

«أتقصد SEI8؟»

«سنغير اسم فريقنا إلى IEI9! لقد أصبح هدفنا منفعة تسعة مليار نسمة.. كما أنه انضم إلينا عضو جديد استطاع أن يستخرج كتاب حيرام آبيف لأحفظه هنا داخل عيني قبل أن يحرقه! شخص سيقلب جميع الموازين!»

حملت أعين إليانا وأمل كل التساؤل والفضول.. فتابع بنيامين:

«شاب عمره مائة عام.. اسمه حوجن الفيحي!»

– النهاية –

9 BILLION

Estimated peak world population by 2045
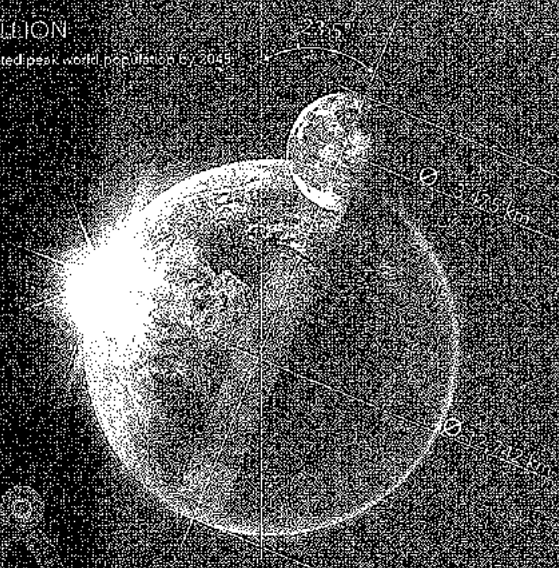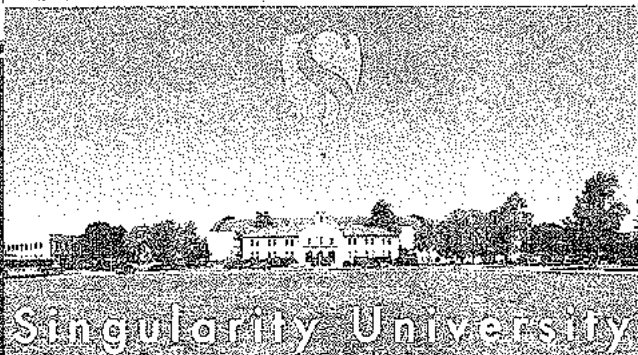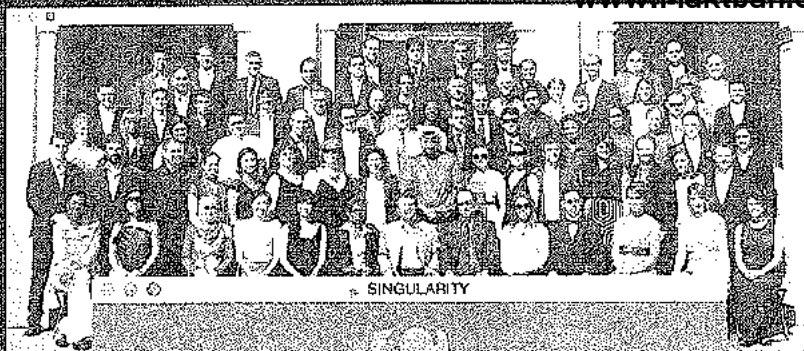
Tasha McCauley

Co-Founder of Fellow Robots, Director of Business Development at GeoSim

Background

How You're Connected

You

Summary

«حبيبي إش رأيك تكتب كلمتين؟»

هذه هي العبارة التي دفعتني لكتابة كل فصل في هذه الرواية، حبيبتي مينه تمتلك قدرة خارقة على إخراجي قسراً من أي مزاج لا يسمح بالخيال والكتابة وتزجني في أجواء الإبداع زجاً، شكرها مهمة أعجز عنها في كل محاولة، سأكافئ نفسي بقراءة الرواية كاملة لها لأول مرة بعد إنهاء هذه الصفحة!

محمد بن سعد، صديقي وملهمي متعدد المواهب، محفز، مؤلف، مصور ممنتج، طاهي، مؤلف موسيقي وعازف بيانو.. صادف أن يولد خديجاً ضريراً. استطاع أن ينقلني لعالمه الزاهي، أراني ما يراه، أسمعني ما يسمعه، ترجم لي ما يختلج بوجدانه بكل دقة، لم يبخل علي بالوقت والمشورة والتشجيع. شكراً محمد، صداقتك.. أخوتك فخر لي!

أما صداقة لؤي خليفة.. فهي الأولى التي جنيتها من تويتر. بعدها بأيام أطلعني على حلمه بجمع من يمتلكون مواهب إبداعية لإثراء محتوى الخيال العربي؛ واجتمعنا..

أنا ولؤي وعمير طيبة ومديحة خياط ومريم خياط. جلسة إبداع شديدة العدوى، تفتقت عن صياغة قصة تربط ما بين الماضي والمستقبل، ما بين أسرار مملكة سيدنا سليمان والمؤامرات الماسونية. نهاية ذلك الاجتماع أعلنت بداية رواية بنيامين. أنا ممتن لهم جميعاً.

وأخيراً.. أنا مدين بجل الشكر والاعتذار لكل من سألني عن موعد إصدار رواية بنيامين، هذه الرواية شهدت تقلبات غيرت مسارات حياتي؛ اختفاء حلم، قضية محكمة، تغيير وظيفة.. ووفاة. وأتممتها أخيراً بعد بلوغي نهايات النفق. لكل من سألني عن موعد إطلاق الرواية: لولاك لما أنهيتها.. لولاك لما عبرت النفق!

ولن أتوقف..

آخر ما سأخطه هنا هو وعدي لكم بمواصلة الكتابة طالما كان هناك من يسألني: «متى ستصدر الرواية الجديدة؟»

FADE IN:

1 EXT. ناطحات سحاب دبي - DAWN

لحظات قبيل الفجر، يندفع المشهد مع شلال من الغيوم، كأن الغيوم
هي التي تحمل الكاميرا، يضيف صوت الهبوب المزيد من الهيبة
للمشهد يصاحبه صوت أنفاس عميقة، ترتفع الكاميرا لتكشف تحتها
عن أمواج من الغيوم المندفعة بسرعة أعلى بكثير من المألوف،
وتبرز منها قمم ناطحات السحاب التي بدأ ضوء الشمس ينعكس على
أطرافها العلوية. تغمر الكاميرا غيمة مع اندفاعتها وتنكشف
لتبرز زجاج أحد الأبراج يقترب ليملأ المشهد وتغوص الكاميرا
بداخله.

DISSOLVE TO:

2 INT. مكتب بهاء - DAWN

تجتاز الكاميرا الزجاج إلى داخل ناطحة السحاب، يتوقف تحرك
الكاميرا ويتلاشى صوت الهبوب بالتدريج لتبدي مكتباً بسيطاً جداً،
عصري جداً جداً، إضاءة خافتة، بهاء (٣٨ سنة) يرتدي جينزاً وتي
شيرت عليه بوستر ساخر لأحد الأفلام القديمة وقبعة جلدية، يقف
أمام الحائط الزجاجي، متكئ عليه بظهره وقدمه، يحمل كوب قهوة
بيديه يتصاعد الدخان منه، إياد (٣٥ سنة) يقف مواجهاً الزجاج
مكتفاً ذراعيه المفتولين، تكاد عضلاته تمزق قميصه الأبيض
والجاكيت الجلدي البني فوقه، يعلو رنين هاتف إياد، آيفون ٨،
يظهر اسم المتصل: Dr. EZ

إياد
(يرد على الهاتف)
الدور ٦٩، مكتب رقم ٦.

يعيد إياد هاتفه ويومئ لبهاء. يتوجه بهاء لمكتبه، يضغط الزر
على جهاز الاتصال الداخلي:

بهاء
الضيف وصل

CUT TO:

3 INT. كوريدور البرج - DAWN

لقطة سفلية مقربة لباب المصعد، يفتح الباب فتبدأ الكاميرا
بالتقهقر للخلف وكأنها تتابع خطوات أقدام، وتظهر الخطوات
الرصينة بالفعل كأن الكاميرا مرت من بينها.

CUT TO:

4 INT. مكتب بهاء - DAWN

الكاميرا من خلف الزائر.. يفتح الباب قبل أن يطرقه يصافحه إياد بحرارة يأخذ كتفه بكتفه، ثم يقدمه لبهاء. بهاء يتقدم بحماس لمصافحة حوجن الذي يبدو كشاب نحيل بسامة البشرة بعينين رماديتين في منتصف الثلاثينات، يرتدي قميص أسود بأكمام طويلة مطرز في الجهة اليسرى لصدره وعلى امتداد ذراعه الأيسر.

بهاء
أستاذ حوجن تشرفنا!

CUT TO:

5 INT. أستوديو بهاء - DAWN

في داخل أستوديو التسجيل، غرفة معزولة مجهزة بإضاءات خاصة تفصلها نافذة زجاجية عريضة عن غرفة التحكم، يجلس حوجن وإياد وبهاء على كراسي متقابلة، ينظر حوجن لإياد نظرة متسائلة، فيبدأ إياد بالحديث.

إياد
سامحني يا بهاء صحيتك في الويكإند..

بهاء
إحنا ما بنعرف النوم لا في ويكإند ولا غيره! وبعدين إنت متى وصلت دبي أصلاً؟!

إياد
وصلت أمس رحلة الساعة ٩، خلصت اجتماع وراجع اليوم بعد الظهر.. ضروري أسجل الفيلم قبل لا أسافر..

بهاء
أنا والأستوديو تحت أمرك يا إياد.. بس أفهم الموضوع،

إياد
أحتاج أصور مقابلة مع حوجن وهو يحكي حكايته.. مسافر باريس بعد بكرة ولازم آخذ الفيلم معايا!

بهاء
طلباتك أوامر..

(CONTINUED)

CONTINUED:

إياد
أهم شي محد يدري يا بهاء!

في تلك الأثناء تدخل يارا (٢٨ سنة - من لبنان) تلبس تنورة غجرية ملونة وقميص أبيض والكثير من القلائد والأساور مع نظارة سميكة، ترتبك لرؤية جوجن تسأل دون أن ترفع عينها عن جوجن

يارا
حدا بدو يشرب شي؟

إياد
(يهز رأسه نافياً)
شكراً يعطيك العافية..

بهاء
(يشير بالكوب الذي في يده)
تريبل إسبريسو بليز!

جوجن يتابعها بنظراته بكل قلق، فيزداد ارتباكها وهي تغادر الغرفة. يومئ بهاء تجاه زجاج غرفة الكنترول التي يجلس فيها نديم (٣٢ سنة - من مصر) يلبس بيرمودا وبولو تي شيرت.

بهاء
أتطمنوا، أنا أثق في نديم ويارا أكثر من نفسي!

CUT TO:

6 INT. غرفة الكنترول - DAWN

يارا أمام مكينة القهوة، تعد الإسبريسو وترمق جوجن بنظرات جانبية من خلال الزجاج، نديم يضع حقيبته جانباً ويتوجه ليجلس أمام الكمبيوتر ويقول.

نديم
خلاص!! حتاكليه بعنيكي!! ماتركزي شويه!!

يارا
بصراحة خزِّ الضيقة ع بكبير!

نديم
أكيد بتهزري!! ده شكله عامل زي ما يكون عفريت!!

يارا
إزا فيك العفاريت طز في البني آدمين!

(CONTINUED)

CONTINUED:

نديم
Desperate!

يارا
Loser!!

تقولها وهي تشد سترتها وتعدل حملتها وتغادر بكوب القهوة.

CUT TO:

7 INT. أستوديو بهاء - DAWN

نديم يجهز الإضاءة، يوجهها نحو حوجن، يركب العدسة على الكاميرا المثبتة أمام حوجن، يارا مرتبكة وهي تحمل حقيبة الماكياج على خصرها، وتقترب بقطعة قطن من جبينه، عرق حوجن لا يتوقف تمسح العرق فيعود للتدفق، تستغرب يارا من عرقه ومن حرارته المرتفعة وأنفاسه المتلاحقة.

يارا
إستاذ حوجن، حرارتك كتير مرتفعة!

إياد
لا تقلقوا على حوجن، بس المهم ننتهي بسرعة. حوجن ما يقدر يجلس هنا أكثر من ساعة ونص.

تقوم يارا بتعليق المايكروفون الصغير على طرف قميص حوجن وتمد سلكه من أسفل القميص، يقترب وجهها من وجهه وهي تثبت المايكرفون، يرمقها بنظرة جانبية تلاحظ عينه الرمادية، بشرته الباهتة، الدم الذي يجري بوضوح في عروقه، أطراف شعره الفاحم الذي تندت أطرافه بسبب العرق ووشم خاتم حوجن على صدغه، تبرتعب من التوتر والارتباك والغبطة. ينهي نديم تجهيز الإضاءة والكاميرا، يرفع إبهامه لبهاء وهو يغادر الاستوديو مع يارا عائدين إلى غرفة التحكم.
يقرب بهاء مقعده ليواجه حوجن من خلف الكاميرا يضغط زر التسجيل وهو يراقب شاشتها الصغيرة ويقول:

بهاء
أستاذ حوجن، تقدر تبدأ وقت ما يريحك.

يعدل إياد جلسته، حوجن منكس رأسه يستجمع أفكاره، تنزلق قطرة عرق من جبهته إلى أنفه وتسقط، يلتقط نفساً عميقاً، يرفع رأسه، ويبدأ بالحديث لأول مرة، صوته عميق بصدى خفيف غير مبرر.

حوجن
أنا حوجن.. حوجن بن ميحال الفيحي

DISSOLVE TO:

8 INT. منزل ميحال - DUSK

حوجن (V.O.) (CONT'D)
والدتي الزهراء ابنة الشيخ إلياسين
المتغري.

في منزل ميحال، أضواء خافتة، تنطلق صرخة الزهراء وهي تلد حوجن، تصرخ ووالدها الشيخ إلياسين يقف عند رأسها يضع كفه الأيمن على جبينها ويحمل مصحفاً صغيراً عتيقاً بيساره التي التفت عليها سبحة بأحجار متنوعة ويتمتم بآيات وأدعية، ميحال يجلس بجوارها ويحتضن كفه بيد ويمرر يده الأخرى على بطنها البارزة التي تظهر حركة الجنين واضطرابه بكل وضوح فيزداد صراخ الزهراء. أمامها تجلس عجوز على وجهها نقوش بشكل خط يمتد من أسفل ذقنها إلى أعلى جبهتها. تدخل يدها في قدر معدني وتخرجها لتنثر القطرات على بطن الزهراء وتعود للانهماك بين ساقيها. تنطلق صرخة الرضيع صرخة تفاجئ الجميع، تزداد لدرجة التلاشي، يتناوله الشيخ إلياسين من يد العجوز، يتمتم في أذنه اليمنى فاليسرى فيهدأ الرضيع، يتناوله والده ميحال ودموع الفرح على عينيه.

إلياسين
مبارك يا ولدي. تستاهل دموع الفرح

ميحال
دموع الفرح والخوف يا عمي..

إلياسين
خايف عليه من أعمامه؟

ميحال
خايف عليه من نفسه!

تقترب منهم العجوز تتناول الرضيع من ميحال وتسأل

العجوز
نوشم اسمه ووسمه؟

التفت ميحال إلى الشيخ إلياسين

ميحال
نتبارك بتسميتك يا عمي!

إلياسين
هذا ابنك، قدوة في اسمه! أنت تختاره!!

يقترب ميحال من الزهراء التي تكاد تفقد وعيها من الإعياء

(CONTINUED)

CONTINUED:

ميحال
(هامساً)
تتذكري أول مرة التقابلنا؟.. في وادي
ورد الخوجن.. إش رأيك نسمي ابننا..
خوجن

تهز رأسها موافقة بابتسامة باهتة دون أن تفتح عينيها. يلتفت للعجوز ويومئ برأسه، تمد العجوز سبابتها المغطاة بأداة معدنية تشبه المخلب، منقوشة وحادة وتلوّحها من صدغ الرضيع، وتغرسه فينزف ويعلو بكاء الرضيع وتخط العجوز عليه وشم خوجن وهي تتمتم ثم تنثر على الجرح مسحوق أزرق فيلتحم بالدم.. يتناول ميحال ابنه ويضعه على صدر والدته ويحتضن هو رأسها، من ذلك المشهد العلوي ترتفع الكاميرا فتفاجؤنا صوت الأمواج التي تظهر فجأة.

DISSOLVE TO:

9 EXT. جدة القديمة - DUSK

تلتهم الأمواج المشهد تستمر الكاميرا في الارتفاع لتظهر مشهد الغروب في البحر الأحمر، وسفينة صيد وتجارة قديمة تعبر وبحارتها يشدون بنشيدهم وهم يشدون الشباك ويجدفون بهمة، ويواصل خوجن.

خوجن (V.O.)
ولدت بنهاية حرب الهندية، تقريباً
عام ١٩٢٧م بتاريخكم.

يستمر نشيد البحارة في الخلفية، ويتوالى دوران الشمس شروقاً وغروباً، المشهد العلوي يبين مدينة جدة القديمة وهي تتسع عبر الزمن وتغطي مساحات شاسعة ويبين مناطق من البحر يتم ردمها وتغطيها المشاريع السكنية وتعاود الكاميرا الهبوط باتجاه إحدى الفيلل الجديدة في أحد المشاريع السكنية شمال مدينة جدة.

DISSOLVE TO:

10 EXT. سطح فيللا عبد الرحيم - DAY

تقترب الكاميرا من سطح الفيلا، مع تحركها بمحاذاة أرضية السطح تظهر قدم هابطة بهدوء وتتابع الخطوات. ترتفع الكاميرا لتظهر خوجن، وتبدأ تفاصيل بيته بالظهور على سطح الفيلا الغير مأهولة. أريكة كبيرة يرقد عليها جده، مزينة بأقمشة بيضاء مطرزة بنقوش ذهبية تحركها الرياح، تجلس بجواره والدته الزهراء ترتدي زياً يشبه ملابس سيدات الحجاز في القرن الماضي، تجلس على وسادة كبيرة، يقترب منها خوجن بوقار، ينزل خشبيته المعلقة على كتفه، يمسح بيمينه على ركبة جده ويقبلها ويمسح بها جبهته، ويفعل ذات الشيء مع والدته ويجلس أمامها على الأرض.

(CONTINUED)